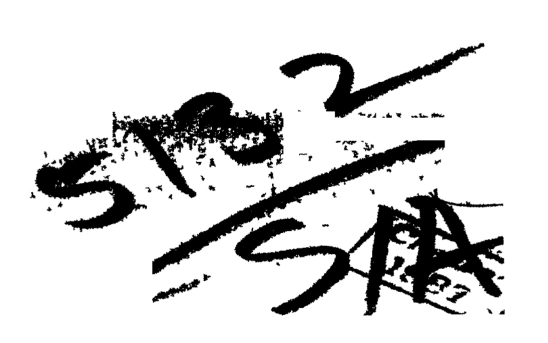



اَصحَابُ اليَمِينِ مَا اَصحَابُ اليَمِين
تاریخ یمینی
باهتمام سید اشرفعلی در مطبع العلوم مدرسه دهلی منطبع شد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته، الباطن بذاته، القريب برحمته، البعيد بعزته،
الكريم بآلائه، العظيم بكبريائه، القادر فلا مانع، والقاهر فلا منازع،
والعزيز فلا يضام، والمنيع فلا يرام، والمليك الذي له الأقضية والأحكام،
الذي تفرد بالبقاء، وتوحد بالعز والسناء، واستأثر بأحاسن الأسماء،
ودل على قدرته بخلق الأرض والسماء، كان ولا مكان، ولا زمان، ولا بنيان،
ولا ملك، ولا إنسان، فأوجد المعدوم ابتداعاً، وأحدث ما لم يكن إنشاء
اختراعاً، وتجلى وتعالى فيما خلق عن احتذاء صورة، واستدعاء

مشورة، واقتفاء رسم ومثال، وافتقار الى نظر وقياس واستدلال، ففي
كل ما ابدع وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد بلا شريك ووزير
والقادر بلا ظهير ونصير، والعالم بلا تبصر وتذكير، والحكيم بلا روية
وتفكير، والحي الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، رفع السماء
عبرة للنظار، وعلة للظلم والانوار، وسببا للغيث والامطار، وحيلة
للحول والقفار، ومعاشا للوحوش والاطيار، ووضع الارض مهادا للابدان،
وقرارا للحيوان، وفراشا للجنوب والمضاجع، وبساطا للمكاسب والمنافع، وذللا
لطلاب الرزق وارباب البضائع، واشخص بجبال اوتادا راسية واعلاما
بادية، وعيونا جارية، وارحاما للاجنة الاعلاق حاوية، وجعل البحار
مغايض لفضول الانهار، ومغاثر لسيول الامطار، ومراكب لرفاق التجار
ومضارب لمصالح الامصار، ومناجح للاوطار تحوي من الدر والمرجان
نباتا، وتنبع بين الملح الاجاج عذبا فراتا، وتقذف للآكلين لحما
طريا، وتخرج للابسين جواهر وحليا، واستخلف على عمارة عالمه من
انتخبهم من خليقته وآثرهم بالهامه ودبرهم باوامره واحكامه وكان
اعلم بهم من ملائكته حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واقام

عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد ويحذرهم الفساد ويرجيهم الثواب
وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما اقامه من الحجج حتى ابتعث الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين بالمعجزات الباهرة والدلالات الزاهرة
والبينات المتظاهرة داعين الى توحيده ومنادين بتسبيحه وتمجيده
فازاح بهم العلة وازال الشبهة وافاد سكون النفس ونفى خلاج الشكوك
ولم يزل يحدث من يشاء من خليقته موسومين بسنن الانبياء ومثل من قام
بعدهم على مناهجهم من الولاة والامراء حتى انتهت نوبة الخلق
الى زمن المصطفى صلوات الله عليه الامين المجتبى الابطحي المرتضى
محمد صلى الله عليه وآله فارسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا وجعل امته به افضل الامم وكلمتهم اعدل الكلم
وملتهم اوسط الملل وقبلتهم اسد القبل وسنتهم اقوم السنن
وكتابهم اشرف الكتب ووعدهم ان يكونوا يوم العدل و
قضاء الفصل شهداء على من يظهر الجحود وينكر الواحد المعبود قال
الله تعالى جده وهو اصدق الصادقين واحكم الحاكمين وكذالك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا فنسخ بشريعته الشرائع وبصنيعته الصنائع وبدليله الادلة

وبدرة الاقمار والاهلة وانتشرت نبوته مُسَلّاة بالخلاص مُلْحَمة بالاخلاص

مُغْلقة بالتمام مطرّزة بالدوام على تعاقب الليالي والايام لم يعترض فيهما من

شيء يقتضي تماما ويستدعي قوة ونظاما قال الله تعالى جده اليوم اكملت لكم

دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق على الدين لفظ

الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال واشتماله عن عوارض النقص والاختلال

الى ان قبضه الله جل ذكره اليه مشكور السعي والاثر ممدوح النظر والفطر

مرضي الشيم والسير محمود العيان والخبر فاستخلف في امته الثقلين كتاب الله

وعترته الذين يحميان الاقدام ان تزل والاحلام ان تضل والقلوب ان تمرض

والشكوك ان تعرض فمن تمسك بهما فقد سلك الخيار من العثار وربح اليسار

ومن تخلف عنهما فقد اساء الاختيار وركب الخسار وارتدف الادبار *

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج الليل عن الصباح واقترن العز باطراف

الرماح ونادى المنادي بحي على الفلاح صلوة تكافئ حسن بلائه و

تضاهي سابق عنايته وتقتضي فرض طاعته وتقتضي قرض شفاعته وسلم تسليما وبعد فان

الدين والملك توأمان فالدين اسّ والملك حارس وما لا حارس له

فضايع وما لا اسّ له فمهدوم والسلطان ظل الله سبحانه في ارضه و

وخليفته على خلقه وامينه على رعاية حقه به تتم السياسة التامة و
عليه تستقيم الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث الفتن وبآلته
تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لانحل النظام وتساوى الخاص والعام وشمل الهرج و
المرج وعم الاضطراب والهيج واشرأبت النفوس الى ما في طباعها من التباغي
والتباين والتمايز حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا ويقيم اودهم
يوما وغدا والى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن اذ كان اكثر الناس يرون ظاهر
السياسة فيردعهم خوف المعاقبة وحذار المؤاخذة عن تنكب الجدد * و
العدول عن السمت المقتصد ومن لنا بمن يستقري آي كتاب الله تعالى
بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل نفسه منها اماما يهديه الى الاصلح ويزمها
يثنيه عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه ومقوم ذاته ورائض خلائقه
وعاداته ومعنى حديث عمر رضي الله تعالى عنه منتزع من قوله جل
ذكره لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم
قوم لا يفقهون فموضوع السيف للعامة ومجموع القرآن للخاصة وان كان
الجميع في معانيه مشتركا وباوامره ونواهيه مرتبطا غير ان العامي يرى السيف
فيرتدع والخاصي يرى الحق فيتبع وشتان ما بين مدبر ومستجيب بغيره

و مؤيد بي مهتد بنور ربه وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله

من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز * لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد

على تنافر ظاهرهما في المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط وشذوذها

عن جواد المشاكلة والمجانسة وسئلت عنه عدة من اعيان العلماء المذكورين

بالتفسير * والمشهورين من بينهم بالتدريس فلم احصل منهم على جواب يزيح

العلة ويشفي الصدر وينقع الغلة حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر *

فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية *

يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض ويتضمن مصالح الابدان

والنفوس وتتضمن جوامع الاحكام والحدود قد حظر فيه التعادي

والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل في اقتسام

الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الارض ليكون ما يصل

منها الى اهل الحظ بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب و

احتاجوا في استدامة حيوتهم باقواتهم مع التنصفة المندوب اليها

الى استعمال آلة العدل يقع بها التعامل ويعم معها التساوي في التعادل

فالهمهم الله اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا

فتحل الفتنة فيهلكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع سوغ ظلم البعض منهم

للبعض ويدل على هذا المعنى قوله عز وجل «والسماء رفعها ووضع الميزان

ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» وذلك

انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات

فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومراقي حيواتهم مضطرا الى

ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا

بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفائدة فيها والعائدة

بها بتكرير ذكرها فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من

المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة

للتعامل بالسوية انما يحفظ العامة على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام

احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحده وعند ونزع

عن صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة

عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالباس الشديد

فجمع بالقول الوجيز معاني اثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع

مقومة المبادي والمقاطع فظهر بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان

خليفة الله على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قدم من سيفه ومكن له

في ارضه واحق الملوك بان يكون شريفا نبيها وعند الله عز وجل كريما

وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام والمسلمين اوفر

واوفى وفي مجاهدته لاعداء الله المارقين عن شرائعه المارّدين دون حدوده

وفرائضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدر واشفى له وقد علم ابناء

البدو والحضر وانشاء المدر والوبر من حيث مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما

للوقوع في افق الغرب ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق

يقينا واوسع علما واوقع حلما واسنى سيرة واخلص سريرة واتم وفاء

واعم سخاء واوفر حياء واغنى غناء واعظم قدرا وافخم ذكرا وامد

باعا واشد امتناعا واجل جلالة واكمل عدة والة وارفع ملكا وسلطانا

واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه

وانفى للشرك ومنتحليه واعرف لكل باطل ومزيله انتسابا ووراثة وطباعا

واستفادة من الامير السيد المؤيد الملك يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم

محمود بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين اطال الله بقاءه ملك الشرق بجنبيه

والصدر من العالم ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من ثالث الاقاليم

وخامسها في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة في

متعلق بالانتظام

قبضة ملكه * ومصرا مراسيما * وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها

تحت حمايته وحيايته * واستبذ أبهم من فات الزمان * بظل ولايته

ورعايته * واذعان ملوك الارض على بعدهم لعزته وارتياعهم من

فائض هيبته * واحتراسهم على تقاذف الديار وتحاجز الانجاد والاغوار من

فاجئ رأفته * واستخفاء الهند والروم تحت جيوبها عند ذكره * واقشعرار

لهب الرياح من رأفته وقد كان ادام الله بقاءه ودولته منذ لفظه المهد و

جفاه الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام * واستغنى بالاشارة

عن الافهام * مشغول اللسان بالذكر والقرآن * مشغوف النفس بالسيف و

السنان * ممدود الهمة الى معالي الامور * معقود الامنية بسياسة

الجمهور * لعبه مع الاتراب جد بجد مستكديا بالملك لا يعلم حتى يقتله

خبرا ويحرز لما يحرز حتى يتممه فطرا وقهرا * وكان الامير الماضي

انار الله برهانه يرى الدنيا بعينه * ويسمع باذنه * وينطق بلسانه * ويستحلي

مذاق العيش به * ويستطيب روح الهواء بقربه * ويستفتح مغالق الامور بيمنه

ويستنجح عواقب الخطوب باسمه ولم يزل بين سحره ونحره الى ان استنزلته رتبة

البلوغ * وبصرة الادراك عن حجره * ولم ينفك يتدرج بين لطائفه وكراماته

وولاياته واقطاعاته من رتبة الى اخرى اعلى منها مكانا وارفع شانا

الضرع

عن الاشارة بالافهام

الى ان وُلّي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان وهي الرتبة التي طالما
يتناجز عليها كباش الرجال، وقروم الابطال، فلم يحظ بها الا العدد
اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق، وتسامع بهم الرجال رجال خراسان
والعراق سناءً وقدرًا ودهاءً ونكرًا ومهابةً وحشمةً ونباهةً ونعمةً
هذا على طراءة سنّه، ونضارة غصنه، وعنفوان امره، وريعان شبابه
وعمره لما قيل قاد الجيوش لخمس عشرة حجة، ولكنه اذ ذاك فى اشغال
قعدت بهم همّاتهم، وسمت به همم الملوك، وسورة الابطال، وهلم جرا
الى ان ملك خراسان باسرها، وزاولستان عن آخرها، وبلاد الهند
بحذافيرها، وجبال الغور على حصانتها، ودوّخ السند فاستباحها، وغزا
الملتان فاجتاحها، وجاس مغانيها وربوعها، وافتتح صياصيها وقلاعها
واقام عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام، وعن مشاهد البهتان
معاهد التوحيد والايمان، فصارت الاطفال تهدهد فى بلادها بالقابه
وتُفزّع باقبال الويته واعلامه، وظل الله بالهم وحيا لهم وكماتهم وابطالهم
كما قال الاشجع السلمى وعلى عدوك يا ابن عم محمد، رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدا، سلّت عليه سيوفك الاحلام، وحاز الله
له من البسطة فى العلم والحلم والهيبة بالاسم والجسم والظفر بما شاء

الاعداء في وقايع يعز صبر النفوس على امثالها ، وتكاد الارض تمور من
اهوالها ، ما لم يسمع بمثله حين لاحد من الملوك الا عن اساطير الاولين ،
أمر يدبّ بها التهويل والتطويل ، والتعجيب والتغريب دون الحقيقة التي يشهد بها
العيان ، ويقوم عليها البيان والبرهان ، فلو نشرت صحائف الدول
الاسلامية وايام الملة الحنيفية ، لكانت دولته غرة تلك الدول ، ومساعيه
فيها طراز تلك الحلل ، اذ لم يقتن احد من سلف الملوك عن غر المآثر وزهر
المناقب والمفاخر ، ما اقتناه هو بنفسه وابيه ، وآثاره ومساعيه ، ولما
حاز الله له كرائم الخصال ، ووفاه طبع المكيال ، في معاني الكمال ، سياسة
ازرت بأردشير في زمانه والمنصور في سلطانه ، وهيبة خفت لها
جنادب الليالي النائمة ، وخمدت عليها عيون الاراقم العارمة و
عدلا اضم به بين الضدين حتى جمع النار الى الماء ، والف بين الذياب
الطلس والشاء ، فلفقت الانياب شبا الاظافر ، والقرون صلابة الحوافر
ولما كانت ايامه مشغولة بمر السياسة ، عن ثمر حلو الدراسة ، وبفرض
السيادة عن نفل الاستفادة ، لطف الله له باولاد كالنجوم الزواهر
بل الليوث الخوادر ، بل السيوف البواتر ، بل العقبان الكواسر ، من لم ترمق
الالحاظ اشخاصا توازيهم فخامة وجلالا ، ووسامة وجمالا ، وسعادة

وسعادة واقبالا وسماحة وافضالا وعلوما وادابا ولفظا

وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا مرة وعذابا نعم وصرامة ومضاء

وشجاعة واباء وسيادة وعلاء ونجابة ورياسة وجلالة ونفاسة

وايالة وسياسة واسامة وحراسة وفراسة وفروسة فما زال ربهم في

حضن الحدب ويصنعهم في مضمار الادب ويروضهم بين الكتائب و

الكتب حتى تجافى حجاب الملك منهم عن شموس الانام وبدور الظلام

وبحور الكرام وليوث الزحام وحد الحسام وفرائد النظام وزينة

الليالي والايام واشرأبت اليهم الامال والهمم وتباهت بهم الدول

والقلم كذلك يصنع الله لعباده في كل زمان ويلطف لذوي

العلوم في جنب كل سلطان فجمع الله له تمام السعادة وقصر

عليه ادوات السيادة وقيض للشيخ الجليل شمس الكفاة ابي القاسم

احمد بن الحسن لوزارته وتدبير امور مملكته من ذخره الله تعالى لزمان

صادف فترة من احرار الرجال وابناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره

ولم يصنع شرواه في مضماره سجاحة شيم ورجاحة كرم وسماحة

كف وفصاحة كلم ترى الدنيا هباءة بين احوالها الثابتة بل نقطة

موهومة من نقط الدائرة فغدت سدته ميقاتا للفضل واهله

وسيادة

ووافق ذلك وزارة

الميمندي

وسوقا للادب منتحلة تجلب اليها بضاعات الفضلاء من منظوم ومنثور
ومخزون منشور وقد صنف طبقات الادباء والكتاب تصانيف في
ذكر ايامهم وتصاريف احوال الزمان بهم بحسب قدرتهم في البيان
وسعتهم من بلاغة الخاطر والبنان حتى ان ابا اسحاق ابراهيم بن
هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في اخبار الديلم موشى
بجزل الفاظه الساحرة ومغشى بحلل معانيه الزاهرة فحل عقد البيان
بما قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده [illegible] ولة تقتضي اثبات
محاسنها بالتخليد وتقييد ماثرها للتأبيد فهذه هي التي تقتضي الادباء
ان يخلدوا بتقرير معاليها كلامهم ويجلوا بتحرير مساعيها اقلامهم ولو
ادركها الماضون من ارباب التصانيف لودوا لو كانت الفاظهم عن
غيرها معزولة والى ذكر محاسنها منقولة ولحدثتهم انفسهم بان
يعتذروا اعتذار ابي نواس بقوله: اِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ
فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي ... وَإِنْ جَرَتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ
لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي ... وقد كنت اقدر ان بعض صنايع هذه
الدولة ممن له حظ في الصناعة [illegible] طرق للبلاغة [illegible]
لنفسه اخبارها وجمع كتاب في تصاريف احوالها [illegible]

الى ان قام الامير الماضي نور الله برهانه امير ابن امير ابي علي محمد بن ابراهيم

بن سيمجور عن خراسان كثيرا وتشمل من نعيم في بر [illegible] سنين [illegible]

امورها سياسة وتدبيرا وما تقدم له في اثناء ذلك كله من اعانة الامير الرضي

ابي القاسم نوح بن منصور رحمه الله ونصرته واستجابته لما لطف اليه من

دعوته والمدافعة عن بيته وخطته واستيفاء ما فضل عن ذوبان الترك

من ولايته وكفهم بترغيبه وترهيبه عن اذالة حشمته واستباحة ما سلم

له من نعمته ومحافظة على حقوق سلفه الاولى طال ما اصطنعوا الصنايع و عليه

اودعوا الودايع وبثوا العوارف والرغائب وانفقوا الاموال والخزائن حتى

كثرت المحامد والمناقب وعرفوا المكرمات اقدارها وحفظوا على البيوتات

استارها ووفوا لنفوس المنقطعين اليهم اوطارها الى ان ورث

السلطان المؤيد يمين الدولة وامين الملة مكانه فخلفه في ترتيب الامور

وتدبير الجمهور وتألف الاخوة والاقارب واستمالة القلوب ببذل الرغائب

الى ان استقل به سرير الملك مطاعا وتناهضت له الاطراف الى

بيعته سراعا فوجدتهم قد عولوا في معانيها على ما سار في اكناف

الحضر من الاشعار الفارسية لازدحام [illegible] على [illegible]

بقصائدهم التي [illegible] ديباجة الذكر [illegible]

ولعمري انها كانت كافية شافية ومزودة للامتاع والاستمتاع اتية

ولكنها دون خراسان لا تعرف من ديارها ارتحالا ولا تألف غير

اقطارها مجالا فاقتصنا في حكم ما اسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمة

وتعرفته ايام الامير الماضي قدس الله روحه من بركة اصطناع

ونعمة ثم ما رسمه الي الامير الاجل السيد ابو احمد بن يمين الدولة

وامين الملة ان امتع اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي

اللسان كتابي البيان يتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر

ويعرفون به عجائب آيات الله تعالى في تبديل الاحوال وتقليب الامور

من حال الى حال مبتديا بذكر الامير الماضي اكرم الله مآبه من حيث

نشأت شعبته وتفرعت دوحته الى ان استعان به الامير الرضي ابو القاسم

نوح بن منصور في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي محمد بن سيمجور حين

نزع يده من طاعته واستحرم بجحفه مسئلته عن دار اقامته لكفاية

ما دهاه من امره وامره من طاقته من الترك على جفوته واطمعهم

برسائله ووسائله في تورد مملكته وما جرى على يده من الفتوح الاثرة

والمقامات المشهورة ومتبعا ذلك بلواحقه من وقائع السلطان الاجل

يمين الدولة وامين الملة في الهند والترك والجنوب وما اتيح له فيهما من

و من النصر والفلج وما يتصل بها من اخبار ولاة الاطراف

في جواره والله تعالى ولي المعونة على درك المنشود وباصابة المقصود

منه وجوده

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمه الله تعالى واحواله

قد كان ذلك الامير في جبلته ابي النفس حمي الانف جري القلب

قوي البطش كريم الخيم رضي النفس كبير الهمة كثير الحكمة تبين ذلك

كله في خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله وحكى لي

ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن انه كان ورد بخارا ايام الامير السديد محمد بن

منصور بن نوح في جملة ابي اسحاق بن البتكين صاحب جيش خراسان و

هو اذ ذاك حاجبه الكبير ووجهه الغرير وعليه مدار اموره ووسيلته

مناظم شؤونه وعرفه اركان تلك الدولة بشهامته وغنائه وصرامته و

مضائه وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع بهمته وذكائه فحين صرف ابو اسحاق

الى غزنة واليا عليها وسادا مسد ابيه بها انصرف هو بانصرافه في جملته

على عادة رجاله ومراعات ما وراء بابه فلم يلبث ابو اسحاق بعد معاودته

اياها ان قضى نحبه وودع عمره ولم يبق من بطانته وقرابته من يصلح لمحله و

مكانته واضطر العدد الذين هم من مواليه وموالي ابيه الى من

زعاقتهم ويتكفل بحسن الايالة خاصتهم وعاقتهم فلم ينفكوا مختلفين في

الاختيار ساخطين غب الاختبار الى ان اجتمعت كلمتهم على تاميره

واتفقت آراؤهم على الرضاء بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتاخيره +

فما بحوه بايمانهم طائعين وصافقوه بايمانهم مبايعين فوكل امورهم براي

صليب وحزم عجيب واهتمام شريف + وقيام بمصالحهم حميد + ولم يزل يركض

بهم في اطراف الهند غازيا مجاهدا اعداء الله الكفرة ومفتتحا قلاعها

ومستاصلا ديارها ورباعها + ومحكما سيفه في اهلها + مومنا من اسلم

وشهد وقاتلا من اشرك وجحد + وجرت بينه وبين عساكر الهند حين عتوا

بامره وتطاولوا على مدافعته واستكفاف عاديته حروب لبس فيها جلد

النمر واورث نارها ريث المتنمر وامطر على اعداء الله بوارق السيوف كماطر

الغيث المنهمر وعض في معاناتها على ناجذ المتصبر وجافى الجنب عن الضجعة واقنع

النفس بالطوى والخمصة ونضى تحته مركب الحمية + وحث اصحابه ورفقائه

على الاباة الامية + اذا جنت المنية + كانما عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري

بقوله ابت لي عفتي وابا بلائي ... واخذي الحمد بالثمن الربيح ... واجشامي على

المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح ... وقولي كلما جشات وجاشت ...

مكانك تحمدي او تستريحي ... وحكي رحمة الله عليه في غمار ما كان

يذكره من مواقفه ومقاماته وآثاره في العدو ونكاياته انى وافقتهم فى بعض

وقايعهم بهؤلاء الرفقاء فنحن فى العدد اليسير وهم فى الجم الغفير وطالت

بنا وبهم ممارسة الحروب حتى اقوى الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار ومقاساة الكر

والاستمداد ولم يكن اماما الا السيوف القواضب ووراءنا الا المهامه

والسباسب ففزعوا الى قمادهاهم وسألوني حيلة الثبات على ما عراهم فعرفتهم انى فصنعوا

كنت قد استصحبت لخاصتى على سبيل الاستظهار صدا من السويق وهو الان قسمة

بينى وبينكم على الاسواء بالغا ما بلغ من قدر الكفاية الى ان يمن الله بالفرج وكشف

هذا الضيق والحرج فكنت اجدح لهم اياما عدة لكل واحد منهم اولا ولى من بعدهم

اخرا قعبا صغيرا فنجتزئ به طرفى الليل والنهار ونحن على ذلك بين معالجة طول

المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة السيوف والسهام بنحور الوجوه والصدور الى

ان وهب الله النصر واهب ريح الظفر وحاق سوء العذاب بمن كفروا فولوا الادبار بين

قتيل مرمل وجريح مزمل وعقير مرهق واسير بالقد موثق وسمعته يذكر ذات يوم

ما كان من حسن تدبيره وتقديره عند افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه

وزراحة حاله من التوسع فى الانفاق والتحرق فى البذل والاطلاق وانه كان

كاحد فقراءه فى المال والحال واحتاج مع ذلك الى ان ياخذ لمؤنة الزعامة عليهم

من نفقاته الراتبة فكان يدخر منها ما يفى لضيافتهم فى الاسبوع دفعة او دفعتين

ولم يزل على هذه الجملة الى ان اتسعت حاله وارتفعت بحاله فزاد بهم بحسب الزيادة

الى ان استكمل اسباب السيادة فكان كما قيل نفس عصام سوّدت عصاما

وعلّمته الكرّ والاقداما، وصيّرته ملكا هماما، ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولا

وعظم حجم جريدته وعمرت ارض خزانته، واشفقت النفوس من هيبته،

تعلّقت الاطماع بمعونته وكان من اعظم فتوحه ناحية بُست وسبب ذلك انّ

بايي تور كان قد ملكها على طغان بعض الامراء كان بها غصبا، واجلاه

عنها حربا ونهبا فالتجأ بسوء الحال الى الامير الماضي مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه

بمال يضمنه وولاء يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة

يلتزمها فلبّى نداءه، وحقّق بفضله رجاءه، وناهض خصمه بمعظم جيوشه حتّى

اناخ بباب بست وبرز بايي تور الى معسكره فتناوشا القتال كاشدّ ما يكون

نفحا بالصفاح، ومشقا بالرماح، واثخانا بالجراح، فلمّا اضطرب الفريقان و

التقت حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب العسكر حملة كشفتهم عن مقامهم

واغصّت شوارع البلد بهامهم وتدارك عليهم الحملات منكرا حتّى

جلوا عنها مفلولين، وتفرّقوا في متون الهضاب وبطون الاودية والشعاب مخذولين واستقرّ

طغان بها شاكرا احسانه ومحقّقا بما وجب عليه ضمانه وبذل اليه رهنه ولسانه وهو

يميل في ذلك سرّا بين وعد واخلاف ويترجّح بين وفاق وخلاف حتّى

مهابته

مظهرا

حتى اذا حان حين الاداء طالبه الامير بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء لما رأى به من فرط
الاباء والالتواء وبما على صحراء عنا صته بغليانهما واتباعهما فحدثته عجرفية الطبع
بالمنع ولم يرض بالقول حتى انتضى سيفه وضرب يد الامير ضربة اوسعت جرحها فلما
تبين غدره ضرب بيده الى سيفه وهي تشخب دما فضرب منكبه ضربة انتصفت له منه
وطلبه بآخرى فحجز عنها اختلاط الفريقين واهاب الامير الى رفقائه وغلمان داره
بطرد الغواة وحطمهم وتحيين تلك البرية من جاد اجسادهم وتبييض تلك النواحي من
سل دهم فلم تتلع النهار الا وبيت له صافية واطرافها عن ذوي الخلاف خالية
وبشعار دولته حالية وامتد باي توز وطغان الى نحو نواحي كرمان وسجستان و
لم يحلم احد منهما بان يلتفت وراءه فضلا عن ان يتمنى لقاءه وكان من جملة ما استفاد
ذلك الامير من صفايا ذلك الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب صاحب
التجنيس رحمه الله فانه كان كاتبا لباي توز فلما استمرت به الكبيفة اعيته صحبته فتخلف
عنه وكل الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان من قبل معتركا له اذ كان
محتاجا الى مثله في آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته وحدثني ابو الفتح
رحمه الله قال لما استخدمني الامير الماضي واحلني محل الثقة الامين عنده في مهمات
شانه واسرار ديوانه وكان باي توز بعد غيبا وحسادي يلوكون السنتهم بالقدح في
والجرح لموضع الثقة بي لما اشفقت لقرب العهد بالاختصاص ان يعلق بقلبه شئ من

تلك الاقوال في قرطاس غرض القبول بحضرة تلك النبال فحضرته ذات يوم وقلت إنّ
همّة مثلي من ارباب هذه الصناعة لا ترتقي الى اكثر ممّا رأى الامير اهلا له من
اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه وترحيبه واختياره لمهمّات اسراره
غير أنّ حرّ أثنائه عهدي بخدمة من كنت به موسوما واهتمام الامير بنفض ما بقي
من شغله موهوما يقتضيانني أن استأذنه في الاعتزال الى بعض اطراف
مملكته ريثما يستقرّ له هذا الامر في نصابه فيكون ما فوّض اليه من هذه الخدمة
اسلم من التهمة واقرب الى السداد وابعد من كيد الحسّاد فارتاح لما سمعه واوقعه
من الاحماد موقعه واشار الى ناحية الرّخج وحكّمني في ارضها اتبوّأ منها حيث اشاء
الى أن يأتيني الاستدعاء فتوجّهت نحوها فارغ البال رافغ العيش والحال سليم
اللسان والقلم بعيد القدم من مخاضات التهم قال وكنت ادلجت ذات ليلة وذلك
في فصل الربيع أؤمّ منزلا امامي فلمّا اصبحت نزلت فصلّيت ودعوت وسبّحت
وتممت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر
مغموقة بالنّور والزهر وامامها ارض كانّها مفروشة ببساط من الزبرجد منجّد بالدرّ
والمرجان مرصّع بالعقيق والعقيان تتسيّب فيها انهار كبطون الحيّات في صفاء ماء
الحيوة وقد نفحني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق والعنبر الفتيق فاستطبت
المكان وتصوّرت منه الجنان وفزعت الى كتاب ادب كنت قد استصحبته لاخذه

لاخذ الفال على المقام والارتحال ففتحت اول سطر من الصفحة عن بيت شعر

وهو واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز فقلت هذا والله الوحي الناطق

والفال الصادق وتقدمت بعطف ضنتي اليها وغنيت ستة اشهر بها في نعم عيش

وارخائه واهناء شرب وامرائه الى ان اتاني كتاب الامير في استدعائي

الى حضرته بتبجيل وتأميل وترغيب وترحيب فنهضت اليها وحظيت بما حظيت به

منها الى يومي هذا فكان اختياره ذلك احد ما استدل به الامير الماضي على

رايه ورزانته ودرجه به الى محله ومكانته وصار من بعد ينظم باقلامه منثور

الاثار عن حسامه وينسج بعباراته وشايع فتوحه ومقاماته وهلم جرا الى زمان

السلطان يمين الدولة وامين الملة فقد كتب له عدة فتوح الى ان زحزحه القضاء

عن خدمته ونبذه الى ديار الترك عن غير قصده وارادته فمات بها غريبا

ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا ولما استتب للامير الماضي تلك النواحي و

استقرت على شعار دعوته الاقاصي والاداني وصفت له اشرابها ودرت

عليه احلابها استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه وكانت بلاد قصدار

قد وقعت من وراء بيضته ومرد عليه واليها لحصانة اطرافها ونواحيها وخفوق

مصاعدها ومهاويها وظن ان بعد الشقة وحزونة المضرب وضيق المدخل ووعورة

المتغلغل اليها تعصمه من النهوض عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه الا صيحة

الغارة واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة فقد طوى الامير اليه تلك الطرق

القاصية والقلل العاصية المتناصية في ركضة لم يزل فيها جنبه قرارا ولا عينه غرارا

ولا خيله جماما الا لماما فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه فاخذ بل فاخذته اخذ

المقتصب شانه عجلان يشوي بما لقوم نزل وكان صباحه كما قيل شعر

اذ اخرس الفحل وسط الحجر وصاح الكلاب وعق الولد ثم راى ان يمن عليه

ويرجع اليه ما كان بيديه فاطلقه تطولا وامتنانا واعاده الى ما كان عليه انعاما

واحسانا وواقفه على مال يعجله واخر في كل سنة يحمله فعمرت باسمه تلك المنابر و

اشترك في العلم بحاله الوارد والصادر والغائب والحاضر ولم يزل بعد

ذلك يدارك الركض على اطراف الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا

كانت مرتفعة في جبالها مطمعة باموالها ممتنعة برجالها وحصلها كلها في يده

ونظم خزائنها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى افتتح بلادا لم

يسكنها قبل الا كافر ولم يطاءها للاسلام خف ولا حافر وحين علم جبال الهند

ما دهاه ممن يطوي مسافة ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلحق الهوان و

الخسار بمن يحامي عن حوزته اخذه المقيم المقعد وملكه المزعج المكمد وراى

الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه وعشيرته واعيان جيوشه وكمائنه

وما خف من ثقال فيلته يريد الانتقام منه بوطئ عرصة الاسلام واستباحة

حلبته الحرام يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا
ان يتم نوره ولو كره الكفرون وسار كاهن حتى جاوز لمغان دانيا من
ولاية الامير الماضى دنو الواثق بطوله الساكن الى قوته وحوله فقد باض
الشيطان فى راسه وفرخ وشوى السوداء فى دماغه وطبخ فهو يظن
الظنون ويعد فى حساب الحسبان ما لن يكون ولما سمع الامير تورده وتغلبه
استعد لمناهضته وجمع اولياءه على محاجزته واستجاش من مطوعة
الاسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف باسه ومعرته وبرز من
غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصده بنية فى الجهاد قوية وحمية للاسلام ابية
وواقعه بين الناحيتين فى رجال كقطع الليل او دفع السيل ومعه السلطان يمين الدولة
وامين الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر والموت الكاشر لا يروم صعبا
الا ذلله ولا يروم عقدا الا حله ولا يزحم منكبا الا حطمه ولا يصاول
قرنا الا اباح دمه ونشبت الحرب بينهم اياما ولاء وادبرت عليهم كؤوس الضراب
والطعن ملاء حتى سكر الفريقان من سورة الطعان وبقرب تلك المعارك
مما يلي الكفار عقبة تعرف بعقبة غوزك يخفض عنها طرف العقاب ويعتكر دونها
جيش السحاب ذات مهاو ومشارف ومثان ومعاطف وفى بعض اوهادها
شريعة ماء كالشريعة الحنيفية فى الطهارة لا تحمل قذرا ولا تقبل غثاء و

ولا عجزًا فار لفي شيء من القاذورات فيها أكفهرت له السماء واختلفت

النجباء وأظلمت الشواهق والأعماق وغصت بالزمهرير الآفاق حتى يرى

الموت الأحمر عيانًا والعذاب الأكبر حقيقة وبيانًا فعندها أمر الأمير الماضي

أنار الله برهانه بإلقائها ضربًا من النجاسات تعمدًا فقامت القيامة على الكفرة الفجرة بالقائها

وتوالت عليهم الصواعق والقوارع وأحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء القوارع

عليهم سرادق البرد والخصر وأثارت ذوابهم الأعصار الفترة حتى عميت عليهم

المذاهب والمهارب واشتدت بهم المسارب والمسارب وتكدرت عليهم

المطاعم والمشارب فاستيقنوا لفرط الهول والوجل وشهدوا بما قد شاهدوا

الموت قبل الأجل وأرسل جيبال وفدًا إلى الأمير الماضي يطلب الصلح و

يستكف الحرب على مال يؤديه وحكم للأمير في قلته ومملكته يمضيه فهمّ الأمير

بإجابته إلى ملتمسه إشفاقًا على أوليائه أو لصواب عن له فنهر السلطان

يمين الدولة أولئك الرسل نهرًا وأبى أن يكون ينفصل الحرب إلا عنوة وقهرًا

حمية للإسلام والمسلمين وثقة بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا من

صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال ما أعياه من الحيلة في أمره إلى إعادتهم

في طلب المكافة خاشعًا والموادعة طايعًا ضارعًا وكانت زبدة كلامهم أنكم قد عرفتم

حمية الهند واستهانتهم بالموت إذا طرقهم طارق محذور وحزبهم حازب

حارب مكر فهان يكن امتناعكم عن الصلح طمعاً في الغنيمة و الفئ والفيلة و

السّبي فما هو الا ضرب يبرم عزم منتظيه في استهلاك الاموال وسمل الافيال و

عرض الغلمان على النيران ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظبات

السيوف ثم شانكم وما يبقى من جمادٍ ورمادٍ ومواتٍ ورفاتٍ فلمّا

سمع الامير ذلك من كلامه واحسّ مصدوقة ما همّ به عند ياسه من مراده

راى حظّ الدين وارباته في موادعته واستنزاله عن ماله وعدّته ارجح من

تخليته وما اختاره من التقاطع بالسيف والتهافت في الوقيد فوافقه الامير

السيّد يمين الدولة وامين الملة على كفّ بين الارهاق عنه على الف الف درهم

شاهية وخمسين راساً من الفيلة ضمنها نقداً وعلى عدّة قلاع وبلادٍ في سرّة مملكته

اشترطها عليه ليسلمها الى من يتسلّمها من جهته بعد ان بعث اليه برهائن

من عشيرته واعزّته على الوفاء بما يضمنه والانجاز بما يعده وقبل المال

والفيلة نقداً ووافقه على البلاد المذكورة وعدا وارسل معه لمسالته

وحاجته دليلين يعدلان به عن المتعسف ويقفان به على القصد في المنصرف

وبعث معه عدّة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة منه فلمّا اوغل به المسير

وراى انه قد خفّ عنه الطلب واسترخى به اللبب حدّثه خبث الضمير بالاخلاف

واركسه عجز الراي في استئناف الخلاف واعتقل من كان في صحبته بدلا

عمن رهنهم من عشيرته وقد ادّى الامير الماضي ان الذي بلغه من امره ارجاف

يردفه خلاف وباطل ليس له حاصل الى ان تناصرت به الانباء فبرح الخفاء

وانكشف الغطاء وعلم ان الله تعالى قد طبع على قلبه وحال بينه وبين شرب تحقيقه

وبان امره ديجى عليه مال كفره وشحذ غرار عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن

خبث خبثه والحاده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من رفقائه واعوانه

متوكلا على الله وحده ومستنجزا في النصر وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار

الهند فلم يبرز له بارز من اعوان جيبال وجيشه الا وسعهم طعنا واستلحمهم

ضربا وطعنا وتعهد لغان وهي كورة بحصانة الاطراف وغزارة الاخلاف مشهورة

فافتتحها عنوة واقتدارا وافنيهم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام

واقام فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما يفتتح البلاد ويقتل الارجاس

الاوغاد حتى اذل المشركين وشفى صدور قوم مؤمنين فلما ارمى على

الغاية في النكاية واربى على قدر الامكان في الاثخان وبردت يداه و

يد اوليائه من غير الحد والعدد من كرائم الاموال وغنائم تلك البلاد عطف

الاعنة وراءه لانحو الظفر حميد الورد والصدر وقد طارت كتب الافاق بذكر

ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الخاص والعام في الارتياح له والانشراح

لموقعه والشكر لله فيما اتاحه فيه من صنعه ولما استبان ما قدمه جزاء

عمّا نقضه من عهده ونكثه من مبائع عقده ووراء رجوع رجاله جزر السيوف
القواطع وطعم النسيء والحوامع سقط في يده وفتّ في عضده ونال منه الندم
وقامت عليه القيامة وبقي زمانا مبهوتا على حالة لا يعرف الرائي في ظهر ادباره
او في وجه اقباله ثم حركته الانفة لاستيناف المناجزة طلبا للثار وطمعا
في الانتصار ففكر ودبّر واقبل وادبر ثم عزم وقدّر ونادى فحشر ثمانين
مائة الف او يزيدون وبلغ الامير الماضي خبره فقابل اقباله بالاستقبال و
حرّض المؤمنين على القتال وسار بقلب منشرح واملٍ منفسح حتى اذا تدانت
الخطط بين الفريقين فرع الامير الماضي ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا
النمل ثائرا منشورا والجراد مبثوثا محشورا وعدّ منهم ما يروع الذئاب الطلس من سوام
الغنم والليوث الجياع من هوامي النعم وحثّ اولياء الله على الكفرة الطغام
فاجابوه سراعا بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدّم اليهم بان
يثبتوا ويولوا الحملات بينهم في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس المحاطمة والقرابيس
الهاشمة حتى اذا ابلوا عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم من ينوب منابهم
رضّا وهضّا وطحنا وطحنا انقض من مواقف الاولياء مثل عددهم الى مقام
لا اراحتهم واجمامهم وخلافتهم على مثل شانهم ففعلوا ما امروا واحتذوا ما رسم
ولم يزل هذه حالهم حتى استغاث الملاعين من حرّ الوطيس ووقع الباس

وهمّوا بان يجعلوها حملة واحدة تزحزح الاقدام وتقتلع الجيش اللهام فعندها
حمي الوطيس واختلط المرؤوس والرئيس وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف
واختلفت الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام وثارت
عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح فلم تعرف الصفائح من الرماح
ولا الرجال من الافيال ولا الابرار من الفجار ثم انجلت عن هزيمة الانجاس
الارجاس واسلامهم عُدّتهم وعتادهم واسلحتهم وازوادهم وفيلتهم و
كُراعهم وقد غصت البيداء بجيف قتلاهم بين جريح بحد الحسام وطريح من
هول ذلك المقام سُنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
ولوت الهند بعد ذلك اذنابها على رؤوسها ورضوا بان يسلموا من خرز الطلب
في اقاصي ديارهم ويتركوا في شعابهم في منابت اشجارهم وصفت تلك النواحي
لذلك الامير ودرّت عليه اخلاف الاموال وانحلت له عقد الجبايات وحصل
له من وجوه الغنائم وغيرها مائتا راس من الفيلة الحربية وكثف سواد جيشه
ودانت له الافغانية والخلج فمن شاء استثار منهم الالاف في خدمته
وامتهن الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته وعند ذلك
اوجب اغاثة الامير ابي القاسم نوح بن منصور والي خراسان واعانته على
جيوش الترك الذين اجلوه عن دار ملكه بخارا وزحزحوه عن وطنه بما سنحي

فترق دهماؤهم واضطرهم الى الانهزام وراءهم كرمًا لم ينشط له غيره من اولياء

تلك الدولة وانشاء تلك النعمة لا جرم ان الله عز وجل جاذ له جماله وذكره

وقصر عليه سناءه وقدره وجعل كدحه سببًا لانسياق الملك الى ولده

وطية لبقاء العز في عقبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر الاسباب التي اطمعت الترك في ولاية الامير ابي القاسم نوح بن منصور وتورط مملكته واجلائه عن بيته وخطته

فقد كان انتقل الملك اليه

سنة خمس وستين وثلثمائة واجتمع اولياؤه وحشمه على بيعته بعد اموال عظيمة اطلقت

وعشيات فرقت حتى تبدد شمل الاموال التي كان وزراء السامانية من قبل

يكدحون لها ويرابون لجمعها كابي الفضل البلعمي وابي جعفر العتبي وغيرهما ممن

ينصب منصبهما في الوزارة وتدبير امور المملكة وكان ابو الحسن محمد بن ابراهيم

ابن سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له في الرضا به وعقد البيعة

له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة لامثاله من اركان

الدولة حتى لانت عريكته وتمت بيعته وفوضت الوزارة الى ابي الحسين العتبي

وقام على مية شبابه بالامر قيام الحدب الشفيق وكفله بمناصحته كفالة المؤيد

بالنصر والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور

وانسدّت الثغور واستطارت هيبة تلك الدولة شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً
وكان الامير عضد الدولة وتاج الملّة على جلالة قدره ونباهة ذكره
ومناعة جانبه وخشونة حدّه يتوخّى رضاه فيما يحتكم عليه به من المطالب
التي تختص بولايته وربما اخذته العزّة باللجاج فيذكر [illegible] من الادواء
المعضلة والامور المستفحلة فيسمح قرونه ويذل صعبه وحرونه وحدثني
احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصّته منسوباً بحمل رسوم كل
عام الى بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم وذويه وتفرقتها فيهم ووضعها مواضعها منهم قال دخلت عليه ذات
يوم عند منصرفي من خراسان فسألني على رسمه عن حال ذلك الشيخ في
سلامته واستقامة الامور في ضمن كفالته ثم قال هات ما استدعاه واعرض على [illegible]
ما بداه وتوخاه فعرضت تذكرة كان سلّمها اليّ بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار
العراق وفي جملتها الف ثوب مستعملة مطرّزة الاطراز باسم الامير السيد الملك
المنصور ولي النعم ابي القاسم نوح بن منصور مولى امير المؤمنين وخمسمائة ثوب
مطرّزة باسم الشيخ الجليل السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد العتبي ومثلها
معلمة باسم الحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تأمل النسخة واحاط بما عليها دخلته
نخوة الملك وملكته حمية العز وطار منه الغضب كل مطار فالتفت الى الحاجب ان ابن

ان ابن العتبي لو اغتنم سلامته في نفسه ما يليه وتفرد بالتدبير فيه لكان اولى به *

وا عود عليه وعلى صاحبه مما يوسمني بهذا الاحتكام وامثاله غيراني

اجعل سواحل جيحون قبل عودك من وجهك مرابط المحافل ومراكز القنا

والقنابل * نقمت من مكاني في متخاذل القوى خوفاً من سطوته وباسه و

اخذت اجر رجلي على الارض تهيباً وارتياعاً حذار الباس على اعين الناس

الى ان ازكبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما ازف ارتحال

المجيح اتاني رسوله فبادرت اليه واحسنت خدمة المجلس بين يديه فزادني

على المعهود بشراً خصيصاً وبراً وترجيحاً وترحيباً وقال قد امرنا في معنى التذكرة بما

استدعاه ذلك الشيخ كراهة لا ستيحاشه وخلافاً على خلاف وفاقه

فتنجز المثال به ليوافي عودك من وجهك فراغ الضياع منه وحصول المراد

به قال فاستعملت ذلك كله على الطرز المذكورة وحملتها في صحبتي الى

بخارا مشفوعة بالنجاح سائرها رسم لي تحصيله وتنجيزه وقد اكثر الشعراء من

اهل العصر في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي ولا سيما ابو طالب

المأموني فانه سير في مدحه قصائد غير معدودة منها قوله من قصيدة يمدحه بها

هذي عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا

ذو همة ملاء صدر الدهر لو برزت من صدره لم تسعها الارض مضطربا

سلامة ما يليه وتفرد التدبير فيه

لما عدت * مشفوعة لسائر

إذا انتضى لندى أو للردى قلما ⁘ أجرى به سحبا أو حطّ به شهبا

يحيي الصعيد صعادا والندى ثبجا ⁘ إذا تهلّل للمعروف أو قطبا

وقوله فيه من أخرى

كتائب منصوريّة ملكيّة ⁘ أبى السيف فيها أن يرى الغمد مضجعا

يؤيّدها عنّي عزم مؤيّد ⁘ بحزم يخلّي خلفه البيض طلّعا

إذا أمر الشيخ الجليل سيوفها ⁘ هوت سجّدا في الدارعين وركّعا

يعود بها وجه الخلافة أبيضا ⁘ بأبيض من أبناء عتبة أروعا

ومن ذلك قول اللحّام فيه

وأعتب الدهر إذ عاتبته فغدت ⁘ من آل عتبة نعماء وصلن يدي

كأنّما جاره في كلّ نائبة ⁘ جار الأراقم في أيّام ذي قار

تجري المكارم في لألاء نعمته ⁘ فالناس في جنّة منه وفي نار

ومن ذلك قول أبي الحسين العلوي الرضي

كأنّما الدهر تاج وهو درّته ⁘ والملك كفّ وهو خاتمه

والبرّ والبحر والأعلام أجمعها ⁘ والخلق والفلك الدوّار خادمه

وقلّد أبو العبّاس تاش الحجبة الكبيرة فولي عمود الباب في زعامة الحجّاب والسفارة بين أولياء السلطان وحشمه في تنجّز حاجاتهم واستطلاع طاعتهم

وعشرسياتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى تحققت النفوس بمحبته وتعلقت   تخلقت

الاهواء بزعامته وفتح ابو الحسين عليه ابواب الفوائد والاصابات حتى كثر

وفره وظهر من واشتد بالاستظهار ظهره وكان ابو العباس من

جملة فتيان ابي جعفر العتبي ملك يمينه اهداه الى الامير الشهيد ابي صالح

ايثاراً له بخدمته على نفسه لكيسه وذكائه ورضي شمائله وانحائه فاستتم

ابو الحسين الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه به والاشادة بضبعه ورفعه

وتدريجه الى المحل الذي توسمه في قوته واضطلاعه وجبت امور ذلك

اللب بتعاضدهما على النصائح وترافدهما على ارتهان المصالح على احسن الوجوه

هيئةً وجمالاً وهيبةً وجلالاً واستقامةً واعتدالاً ونفاذاً للامر يميناً

وشمالاً واستخص ابو الحسين الفائق لطول خدمته ركاب الامير السعيد و

حظوته عنده واختصاصه برعايته واشتراكه في وصايته هيبة السن   فكان شريكهما في التدبير وصيانة

واقترا مراجيش خراسان على ابي الحسن محمد بن ابرهيم بن سيمجور

فتفرد كل واحد منهم بحماية الملك سد الثغور وسياسة الجمهور وحضد

لنواجم الشرور الى ان برئت اكمامها تفتق وجيوبها تنخرق وكان من ذلك

امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد كان استنصر الامير السديد على طاهر

بن الحسين قريبه وخليفته على اعمالها بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام

وذلك في شهور سنة اربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه من ولايته واستظهاره بالمال
والعدة واستمالة قلوب الاجناد والرعايا من اهل تلك الخطة فاحسن نصرته
ومعونته وكفاه كلفته ومؤونته وامده بمن استمد بهم من كماة الجيوش لرده الى
بيته وتقرير مملكته في يده فانحاز طاهر حين احس بالمدد وكثرة العدد الى اسفراز
حتى قر خلف قراره ووضع عنه اصاره وصرف عن ظهر الاستغناء اعوانه
وانصاره ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته الى بادغيس في مزاودي
بشعاره فعاذ الى حضرة الامير السيد مستصرخا اياه وضارعا الى غوثه فيما
دهاه فاحسن لقياه واكرم مثواه واعاد تقويته وانجاده وكثف بالخيول سواده
ورده بهم الى سجستان فوافى وصوله اليها مضي طاهر لسبيله وانتصاب ابن الحسين
منصبه وصراشته في الخلاف مذهبه فخاصم خلفهما مناصبا له الحرب
غاديا ورائحا وماصحا ومكادحا حتى كثر القتل بين الفريقين وطالت يد الانتصاف
على اصحاب الحسين فعندها كتب الى بخارا متنصلا عن سيئة الخلاف ومتلطفا
للاستقالة والاستعطاف ومظهرا للطاعة زوفادة الحضرة ومباشرة تراب
الخدمة متى صادف ارخاء من ضيق الخناق وفكاكا من شدة الارهاق
فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل بالقبول انابته وسهل الى ورود الحضرة
سبيله وحقق بالاحسان والافضال تاميله واستقرت امور سجستان على

على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اولياءه واحكامه وانبسطت

بالعزيزة وباعه وتموجت بزخائر الاموال رباعه وقلاعه وانقطعت عن بخارا

مواد خدمته وطاعته واعفائه بما يوافقه ومقابلة حق الاصطناع بواجبه

وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه

الى ما يجمع صلاح يومه وغده فجرد عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته في

جمرات خراسان ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها فحصره في قلعة ارك ودارت

عليه الحرب زمانا طويلا فلم يغن فتيلا ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وجعل

ابو الحسين العتبي يزيده عددا على عدد ومددا الى مدد وكان من جملة الثقات

بها ايتاش وبكتاش واخو الحسين بن مالك واضرابهم من انياب تلك الدولة و

وجوه انسابها ونجوم سمائها فطال هناك ثواؤهم وقصر عن المراد غناؤهم

لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسدوده واعياء الخندق

المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا وعلى الراجل ان يقطعه خوضا ولان رصد

خلف اياهم بفنون من الحيل تقل استنباطها بالظن والحسبان ايماءا مالبا

واطلاعا من مأمن الجهات وقذفا بجروب الافاعي عن افواه المجانيق [illegible]

حتى يضطرهم ابن ذلك الى الارتحال والتنقل في المضارب والمحال وبقوا هنالك

قرابة سبع سنين على هذه الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الاموال و

ذهبت الحرائب وعطبت المطايا والركائب فكانت هذه من اوائل الوهن على
تلك الدولة ومن هنالك وهى العقد وانبتّ السلك وتزايد الفتق واتسع الخرق ولكل
امر امد ولكل امة اجل ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب وتناكر اركان تلك الدولة فيما بين هذه الحال لزوم صاحب الجيش ابي الحسين
مكانه من نيسابور كلاً على صاحبه لا يناهض خصماً ولا يجبر موصفاً ولا يفتح سداً او
لا يحسن رتقاً ولا يغمس في مصالح الدولة يداً وتناضلوا منهم ما كان الامير السديد
يصطنعه عليه لالتزازه بالمكان وجموده عن نصرة السلطان وبتّوا آرائهم
على صرفه والاستبداد به وكتب اليه في الصرف وقلّد ابو العباس تاش ما كان
يليه من الامر فلما ورد الرسول عليه وادّى ما تحمّله على رؤس الاشهاد اليه
ابت عليه الحمية خطة الهوان ولقّنته الانفة كلمة العصيان وطارت نعرة
الخلاف في راسه وادّعى الامر لنفسه اتكالاً على فرط قوته وبأسه واعتزازاً
باولاده واعضاده واستظهاراً بجيوشه واجناده ثم ثبّت التدبير وخمّر الرأي
والتفكير فلم يرض بان تتناقل الالسنة ذكر استعصائه على شيخوخته في الدولة
وتناهي مدته في الخدمة وتصوّر ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التي تسلب النفوس
جمامها والابدان منامها وتأذن للاموال المذخورة نظامها الى عافية من التعرض للمكروه
النوائب والمهالك محذور العواقب فراى ان قبول الضيم على السلامة من

لواحق هذه الآيات اذهب الى الصواب وابعد من العتاب ودعا الرسول فاستقاله

عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعاً بفرط الخشوع والضراعة وقال انما

انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها بماء كرمه فله المشية في استبقائها

للاثمار او اقتلاعها والقائها على النار وصرفه على جملة الطاعة ولين المقالة

والبدار الى حيث يحل اليه من ديار المملكة وتلطف لتشكيك من كان يعتل في ذروته

من بنيه واوليائه بتسويله واغوائه فعل من استشف ببصيرته استتار الغائب

وانفق عمره في تجارات التجارب ونهض الى قهستان منتظرا ما يستأنف به امره

ويقدر عليه تدبيره الى ان رمى به في نحر خلف بن احمد لاعضال دائه وتجمير

العساكر طول ايامها بفنائه فبادر الى سجستان وبينه وبين خلف مودة واسباب

على الايام مؤكدة فافتتح الراي عليه بالنزول للحسين بن طاهر عن متحصنه و

الانتقال الى غيره من معاقله ليتسبب هو ومن كان من قبل محمد قابه من

اولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه بعلة الافتتاح وظاهر

النجاح فاذا خلا وجهه لوثني العنان اليه منتصفا منه وممضيا حكمه فيه فقبل

مشورته وفارقه الى حصار الطاق حتى دخلها ابو الحسن بن سيمجور وصلى الجمعة

بها مقيما رسم الخطبة للامير الرضى وطالعه بذكر ما فتح الله على يده و

سناه من رياح ذلك الامر بجده وجهده ورتب الحسين بها اميراً وقرر

اعمالها عليه تقريرا وانصرف هو وراءه وسنورد في مواضعه من بعد في موضع مثله ان شاء الله تعالى

ذكر حسام الدولة ابي العباس تاش الحاجب وانتقال الاسفهسلارية اليه

ثم سير ابو العباس تاش من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش وزعامة العساكر وتدبير القاصي والداني من امور الممالك ووصل جناحه بفائق الخاص ونصر بن طغان الشرابي وبني مالك على فخامة اخطارهم وجلالة اقدارهم وسير تحت رايته اعيان الاولياء والحشم بعد ان ازيحت علته فيما شاء واقترح من الاموال والاسلحة والعتاد والعدة فورد نيسابور للنصف من شعبان سنة احدى وسبعين وثلثمائة في آلة راعت الابصار وهيئة اعجبت النظار وجيش شحنت الجوانب والاقطار فدبر الامور بصرامته ونظم المنثور بفرط حزامته والف الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الايام انقطاع شمس المعالي قابوس بن وشمكير وفخر الدولة ابي الحسن علي بن بويه الى نيسابور عن حرب جرت بين مؤيد الدولة بويه وبينهما وسببها ان عضد الدولة ابا شجاع كان قصد فخر الدولة وهو اخوه لاجلائه عن ولايته التي كان ابوهما ركن الدولة اوصى بها وعقد الوراثة على كل منهما على [illegible] ابو اسحق الصابي في كتابه [illegible] الى عسكر من [illegible] وانضم اليهم [illegible] فلما اتاه هذا وهال ذلك [illegible] وندانت الخطى

بينما خفّ معظم جيوشه الى عضد الدولة مستأمنين وولوا أعقاب الغادرين فلما آنس خذلانهم إياه وكفرانهم نعماه وبالاسراف تداعى ابن عمه بختيار كيف قُطِع رَحِمُه وأُرِيقَ دَمُه خالفهم الى طريق الديلم هاما على وجهه وناجيا بحشاشة نفسه ومتقيا بركوب شعابها المضطربة وآجامها الأشبة ما حاذره من الطلب وركض الأكراد والعرب وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها الى جرجان حتى ألمّ بشمس المعالى قابوس بن وشمكير لاجئا اليه ومستأمنا إياه فأمّنه وآواه وأكرم مثواه ومهد له ذراه وأعطاه فوق ما تمناه وأشركه فيما ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذى طالما ضنت النفوس بابتذاله وقاية له دون من همّ باغتياله وسعى فى استفساد حاله وبيان ذلك ان عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه رسولا يسترده اليهما على شرط اموال تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما فى يديه وعلى مواثيق تستأنف فى التعاقد على الصفاء والتعاون فى حالتى السراء والضراء فرجع اليهما ان الرجاء رحم والوفاء كرم وان لا أمام عنده حرمة لا يرى إخفارها فى دين المروة وشرع الحفاظ والفتوة دعاه لوهمه او كاد ان يأتى عليه بعض اللواحظ وزرق الأسنة والعوالى فأحفظهما هذا الجواب وحرضهما على مكاوحته وانتزاع مملكته من يده وكتب ابو شجاع الى اخيه مؤيد الدولة بمناهضته بعد ان امده باوفر الجيوش

من بُهَم الرجال ونفائس الاموال فبرز من الري متوجها نحو جرجان في
جيوش الديلم والترك والعرب وسار الى استراباد متغلبا على ما يرده
من بلاد طبرستان الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي قابوس بن وشمكير بادر
اليها وجمع عسكره بها فلما تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس الى
الزوال حتى احمر بساط الارض من دماء الابطال ثم اتجهت على عسكر
الجيل كشفة اعيا بهم ضبطها لزوال الاقدام عن المقام فتفرقت جموعهم في خمر
الغياض والآجام وعطف شمس المعالي الى قلاعه المشحونة بذخائر امواله
واستظهر عنها بالاهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلما وردها لحق به
فخر الدولة من طريق استوا فالتقيا هنالك واجتمع اليهما من فرقتهم الكشفة
في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتبا الى الامير الرضي ابي القاسم نوح بن
منصور الى خراسان بحالهما في قصد دولته وتاميل الانتعاش
بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بحريم دولته ودعوته
فورد عليهما من الجواب الضامن للايجاب بمعهود الانجاب ما شرح صدورهما
وشد بالنجح القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما واكرام
قدومهما واكرام جوارهما وتقديم الاحتشاد لردهما الى ديارهما ففعل ما رسم
وتلقى بالامتثال ما حتم اليه اعنة الخيول من كل وجه حتى استظهر

يتحبب الرجال وعزم على الارتحال ونهض من نيشاپور قاصداً قصد جرجان اذ كا

ن مويد الدولة بويه بها لينتزع ولاية الامير شمس المعالي اولاً من يد

ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره وعزّ له ان يسرّح فايقا على سمت الري

وقومس ليقطع الامداد والموادّ عنه ويلبّس اخبار تلك الديار عليه فيزين شغل

القلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واحد اقيم به من جانبين فنهض على

السمت المذكور ثم بدا له فيما دبّر ورأى ان الحرب للاستظهار على الوجه

الواحد اصوب ومن الحزم والاحتياط اقرب فاسترده من وجهه الى

آزادوار فاجتمعا على التضافر واتفقت اراؤهم على التساير وسار ابو العباس

حسام الدولة تاش في تلك العساكر الى باب جرجان وفيهم شمس المعالي وفخر الدولة

حتى اناخوا بظاهرها وتحصّن مويد الدولة بويه بها واحتجز بخندق في قعره

ومخترق غوره وفروج للبلد حصّنها ودروب بحفظة الرجال شحنها وداومهم

الحرب حتى عبر شهران ليوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة السلاح

وضاق الطعام في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على البنية

قوتهم وكانوا يرزؤن من نخالة الشعير المعجونة بالطين وعهدي بهم يدبّبون

كتبهم الى اهاليهم بالري يشكون مقاساة الحال ومكابدة الاهوال وطول النزال

خف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على الميسرة مقابلا لعلي بن كامة

فتداعى جيش مؤيد الدولة فاظهر الغناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحه

عن مقامه قليلا وطرحته الى استراباد منهزما ولو أعين بمدد في الحال لفسح ضيق

المجال وجعلها آخرة القتال ولكن القوم نافسوه فخذلوه لاجرام ارتكبها من كتائب

الديلم فعطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش الخراسانية

فطبقوا عليهم حبالة الاسر ثم عرضوا عن آخرهم على السيف وورد بعد

ذلك على ابي العباس تاش ابو سعيد الشيبي في رجال من جنود خوارزم من

اجلادها ورجالها وفتّالها وابطالها وقّاد الضرام وابناء التهامة والسهام

فاقترب الحرب بينهم فلم يضعوا نبالهم الا في منافس الاشداق ومواضع

الثغر والاحداق وافشوا القتل والعيث والغارة في الديلم ثم تحاجزوا يومهم

ذلك ولم تزل الحرب تقوم بينهم على ساقها ظاهرة وغبّا وتنتصف لبعضهم

من البعض وكان ابو الفضل الهروي المنجم اشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم الى

ان يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم منحيا ومحققا فاسرّ

ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة

احدى وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعساكر اخيه على اختلاف اجناسهم

وكان [illegible] خراسان يظنون ان خبرهم تلك عارض ينقشع وعن قريب

وعن قريب على الرسم في مثله ينقطع فلما رأوها غماما ركاما وشاهدوها

غراما ولزاما اقبلوا عليها مضطرين فاذا الاقران والخطب جد والحد حديد

والباس شديد وبنو الديلم من وراء الخندق الى العراء محرجين من جهد البلاء

وضنك البوس واللأواء فاستعرت وقدة الحرب ودارت رحا الطعن والضرب

وتحدث الناس بان يمين الدولة قد خبب فانقادوا اصحابه بمال حمله اليهم سرا

واطمعهم في امثاله حيلة ومكرا وواطأهم على التاخر في الحرب ليوم المرتقب

والاجل المضروب فلما حمل عسكر الديلم منتصبين ولوا اولئك ادبارهم نفورا

وثبت بينهم حسام الدولة تاش وفخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف والقنا

وبين ذين الحملات المتداركة يصدق البيان في الثبات الى ان ألفت ذكاء

يمينها في كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك الجموع فخذي فخر الدولة

فضل المقام لتكاثر الاقبال من كل وجه عليه وتوجه الاطماع من كل افق

اليه فانقلب اذ ذاك بين المعسكر فساخت قوائم الفيل الذي كان حصن القلب

في بعض تلك المخاضات واعجله حث الاعداء عن التوقف لازعاجه واخراجه فتركه على

حاله ونجا براسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه من الاموال المعبأة والاسلحة

المنضدة والغلمان الجمادية والغلات المجبية ومضى على حاله الى ان عاد

نيسابور فدخلها ليلا وكتب الى بخارا بالواقعة وما حدث من الوجعة فعاد

الاحوال
الآمال

الجواب بتقوية الآمال وتمنية الرجال وتهيئة الامداد والاموال وطير الصاحب كتبه في الاطراف بذكر الفتح على ما تنطق به رسائله وانشدني البجلي الشاعر لنفسه في مؤيد الدولة من قصيدة ٭ ما حال غيرك في هيجاء ملحمة ٭ مذكوة آل ساسان وساسانا ٭ فاكتب لمن بخارا آمنة لقد ٭ غادرته عند نوم الناس يقظانا

والبجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد العارضة وانقطع الى الامير شمس المعالي بجرجان في آخر ايامه ففرض له في جملة حاشيته الى ان قضى نحبه فمن شعره فيه من قصيدة قوله ٭ لله شمسنا تذكير لخيرهما وللمؤنثة النقصان ملتزم ٭ ازرى بتلك سنا من غير معرفة ٭ فما وزين هذا العلم والكرم لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا ٭ لما تمدى الينا الشيب والهرم ٭ يا ايها الملك المأمون طائره ٭ وخير من في الورى يمشي به قدم ٭ ووصف ابو الحسين المجاهدي الجرجاني الفيل المقبوض عليه في الحماء اللازب بقصيدة اولها

قل للوزير وقد تبدا ٭ تستغرق الكرم المعدا ٭ افنيت اسباب العلى ٭ حتى ابت ان تستجدا ٭ لو مر راحتك السحاب ٭ لامطرت كرما ومجدا ٭ لم ترض بالمجد التي ٭ شدت الى العلياء شدا ٭ وصرائم الراي التي ٭ كانت على الاعداء جندا ٭ حتى دعوت الى الهدى ٭ من لا يلام اذا تعدى ٭ متقمصا تيه العلوج وتبطشا عيث سعداه تعسفا طرق العوالي ٭ حيث لا يستاف فهدا

ثم لا كرفوني حين تلبس ؞ من رقاق الغيم بردا ؞ مثل الغمامة مُلّئت ؞ أكنافها

برقا ورعدا ؞ راس كقلة شاهق ؞ كسيت من الخيلاء جلدا ؞ فترا

من فرط الدلال ؞ مصعرا للناس خدا ؞ يزهى بخرطوم كمثل ؞ الصولجان يرد ردا

ردا ؞ متمددا كالافعوان ؞ تمت الرمضاء مدا ؞ اولم راقصة تشيريه ؞ الى الندمان

وجدا ؞ اوكالمصلب شد جنباه ؞ الى الجذعين شدا ؞ وكانه بوق يحركه ؞

لينفخ فيه جدا ؞ يسطو بساريتي لجين ؞ يحطمان الصخر هدا ؞ أذناه قرحتان

أسندتا ؞ الى الفودين عقدا ؞ عيناه غايرتان ضيقتا ؞ لجمع الضوء عمدا ؞

فك كهوهة الخليج ؞ يلوك طول الدهر حقدا ؞ تلقاه عن نعت فتحسبه ؞ غماما قد تبدى

متناكبان المخوذتين ؞ مابدا في الدهر كدا ؞ ردفا كدكة عنبر ؞ متماثل الاوداك

قدا ؞ ذنبا لمثل النوط ؞ يضرب حوله ساقا وزندا ؞ يخطو على امثال ؞

اعمدة البناء اذ اتصدا ؞ اومثل اميال نضدن ؞ من الضحى الصم نضدا

متوددا حوض المنية ؞ حيث لا يشتاق وردا ؞ متمكنا فكانه ؞ متطلبا لا يؤدا

متلفعا بالكبرياء ؞ كانه ملك مفدى ؞ احدى الى الشئ البعيد ؞ يد ادمن وسمو واهدى شنبا

اذكى من الانسان ؞ حتى لو رأى خلا لسدا ؞ لو انه ذو لمحة ؞ وفي كتاب الله سرا

عقته ارض الهند حتى ؞ حل من زنبوهم ندا ؞ قل للوزير عبدت حتى ؞ تداتاك الفيل عبدا

سبحان من جمع المحاسن ؞ عنده قربا وبعدا ؞ لو مس اعطاف النجوم ؞ جرين في

المتربيع سعداً، وسار في أفق السماء، لا نبتت زاهراً ووردا، يا ايها الملك

الذي، اجدى وعلم كيف يجدا، ما بال عبدك لا يرى، لتاخر التشريف حدا

يرجو الزمان وليته، مما يلاقي مات بردا، قد صد عني تلكم الآلاء حاشا ان تصدا

قال وهذه جرجان الذي جرت تلك الحروب على سواحله وسهوبه في ارض

جرجان تلوي الحيا كثير الاوديات والعطفات ومنابع عيونه جبال دنيا زاذيه

تنصب العيون منها الى العين حتى تملاء النهر وتزيده الصيف ... وواصل ابو الحسين العتبي

كتبه ولاء الى ولاة الاطراف بخراسان في استنهاضهم واستنفارهم ليحدوا الى

... ويجتمع معهم ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه من رجالات خراسان على

رفو ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وحسم العجز واستعادة رونق الملك واقبل

يستعد للامر بجهده ووالى اصل الكتب الى نيشابور بجميل وعده وخلع الرضى

عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الاقلام والقواضب واضاف له الى رتبة الكتاب

ذوي ارباب الكتائب فكانت خلعة خالعة لروحه قاصمة لظهره قاطعة لعمره تمة

لامر ذلك لان ابا الحسين بن سيمجور كان يشكو الى افتوادها من قصده

اباه حين عزله عما كان يليه وكادره في نفسه وذويه ولم ينفك يرصده بالغوائل

يطلبه بوجوه الاوتار والطوائل الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان السلطانية

كانوا رؤوس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب بفرط القوة والغلب ودس

ودسّ إليهم من أغراهم به بنفائح ينجزها إليهم حتى تواطؤوا فيما بينهم على

قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلو مجلسه عمن يحميه أو يحامي عليه

وأحسّ عليه أبو الحسين بما دُبّر من الأمر وأشفق على نفسه مما استطار

من شرر الشر فشكا إلى الأمير الرضي صورة الحال وما أُرصد به من الاغتيال

فبعث إليه بعدّة من الغلمان ليحملوه إلى الدار احتياطاً له مما كان

يخشاه وصيانة لروحه عما كان يتحاماه فتسامع طائفة من المشتركين في التدبير

عليه بخبره فطاروا بأجنحة الركض على أثره ووضعوا فيه السيوف والدبابيس

حتى أثخنوه ضرباً وحطماً ورضّاً وقصماً وأشفق من كان في مسايرته على أنفسهم فخذلوه

وأسلموه فكان مثله كما قيل * كأنه وجزّيه ضباع وابن شيء بلحم امرئ

لم يشهد اليوم ناصره * وترك على الشارع صريعاً مجرداً مجيعاً وعندهم

أنه قتيل وأن ليس للحياة إليه سبيل ونقل كما هو إلى باغ قريب من مصرعه لينظر

ما يحدث من الرأي في غد فلما غشيه موج الظلام وهبّ عليه رخاء

السحر أنّ أنّةً سمعها الباغبان فبادر إليه ووضع يده على منخريه فإذا به رمق

تلو نفس محتضر فسعى إلى دار السلطان مخبراً بثبات حشاشته واضطرابه على نفسه حتى

أُمر به فنقل إلى القهندز وأُلزم الأطباء التنائي عليه طمعاً في إنعاشه

فاستصعب داؤه على الدواء وقضى الله عليه عمره

بالانقضاء نحضر لسبيله عظيم القدر واخطر كريم الورد والصدر عديم

المثل في سعة الرحل فقيد النظير في الفضل الغزير لم يزن وفي كنف الاين

ان احداً من الوزراء استنحت همته لمشاطرته على مروته ومنازعته

فضل افضاله وفتوته سماحة كالغيث يقترن بالوبل او الريح تعصف بالرمل

وسياسة خفيت لها جنادب الليل وغصت بها مثاعب السيل وانشد ‏عليها

ابو جعفر الخازن لنفسه فيه يرثيه :: لهفي عليك ابا الحسين :: عينا رمتك بكل عين ::

جرعتني غصص الجوى :: وارتني يوم الحسين :: ولبعضهم فيه وقد

زار قبره في جماعة من اصدقائه — مر على قبرك اخوانكا

وكلهم قد هاله شانكا :: فلم يزل يرفك علي فوقهم :: عز على العليا فقدانكا ::

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور على انتظار معونته

واستفاضة ما يسفر لهم من غدته فحدثني ابو نصر العتبي خالي آسه وكان

على البريد بنيسابور قال دعاني ابو العباس تاش اخص نهاري يوم فلما وصلت

اليه وجدت الثلاثة يتداولون بينهم الآراء في معاودة الحرب واستيناف

معاودة الخطاب فخاطبوني بانفسهم فيما تداولوه وسألوني ان اكتب الى ذلك ‏معالجة

الشيخ صدق انتظارهم لمعونته واستعدادهم للبدار الى امره واقبل على شمس المعالي

من بينهم فقال اكتب الى ذلك الصدر بان الحروب لم تزل بين الرجال

سيما لا وانما تستصعب مرة وتصاب اخرى والحازم من يستفتح بالجد باب

الظفر وبالنجح يتلطف بين العجز والضجر واضرب له ابيات المتنبي مثلا: اذا غامرت في

شرف مروم ۞ فلا تقنع بما دون النجوم ۞ فطعم الموت في امر حقير ۞

كطعم الموت في امر عظيم ۞ يرى الجبناء ان العجز حزم ۞ وتلك خديعة الطبع اللئيم ۞

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله وذكائه ووفد عليهم بعقب ذلك

نعي ابي الحسين الوزير فاوسعهم وجوما وشق عليهم من التدبير ما كان منظوما وورد

على ابي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته الى الباب لتدارك ما اختل من تدبير

وتلافي ما انحل واعتل فاغتنم البدار وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك

الامور ونظم المنثور وتتبع الجناة على ابي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير و

عمهم بالنفي والتسيير واستوزر ابو الحسين المزني فمطل بالتدبير وحل من النقد

والتاخير لتهافت الاعمال واستبداد اخرين عليه بالايراد والاصدار الاصدار

وقد كان ابو الحسين بن سيمجور انكفأ عن سجستان الى خراسان خراسان

من غير امر صدر عليه استشرافا لنجوم الفتن وانتقاض الاعمال بما بين جمع

العسكر عن باب جرجان وتشوفا لنفاق سوق فيما بينها فكتب اليه ابو الحسين العتبي

مقبحا اليه فعله وناعيا عليه عقله وسامه ان يعدل الى قهستان منذرا

وعن ملابسة الاعمال متورعا وان يسم ابناء الدولة الذين في جملته و الذين

وتحت رايته الى ابنه ابي علي ان يعاود سجستان فيكفي امرها ويلم شعثها
ويرأب صدعها وجعل اذغيس وكنج رستاق برسمه على ان يزداد في لينه
وحبائه متى عرف في الطاعة صدق نيته وغنائه ولما استقر ابو العباس
تاش ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه وعن المتصلين به والمناضلين دونه
فراسل فائقا يبنيه على المخالفة والجهار بمنابذته وترك الرضى بن عامته
فوجده سمح القياد سلس المقاد طوع الزمام في العناد واجتمعا بنيسابور على
توكيد العقود وابرام المواثيق والعهود وبدأ ابو علي بمصادرة عمال حسام الدولة
بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم من اموال دواوين وارتفاعات اعماله ثم مضى
الى مرو سد ادون الولايات وجبايتها دون الاموال والارتفاعات حتى
اضطر حسام الدولة الى مناهضتها ومداواة ما استعجل من شرها وكفاية
ما ابهم من امرها فاستفتح الخزائن عن ذخائر الاموال ونفائس الاسلحة
والاثقال وبرز من بخارا الى امل الشط فخيم على طرف الرمل وتردد السفراء
فيما بين الفريقين على حفظ نظام الالفة واستبقاء جمال الدولة واخماد
جمرات الفتنة فوقع الاتفاق على ان يكون نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي
علي وتفرق كل منهم الى دار عمله وللخوارزمي في ابي علي عند حصوله
بهراة قصيدة يهنيه بالامير بهراة اذ قد علا عزان يمنى عز ... وكيف

وكيف تمنّت الدنيا جميعاً بمنزلة من الدنيا احتواها ✿ وانحدر ابو العبّاس بناحية

تاش الى مرو وقد كان قبل فصوله من بخارا تقدّم الى عزل المزني عن

الوزارة بابي محمد عبد الرحمن الفارسي المتوفي كان لامور كرهها وانفة

لما تبيّنه من ميله الى ابي علي وفائق ومداهنته في امرهما فلما استقر بمرو

صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عُزير وهو المعروف بتعنّت آل عتبة و

شاحنهم ونصب العداوة لهم ولصنائعهم وحقّق الآثار كياداً عليهم وتشييداً

للمعضلات اليهم فبدأ بصرف ابي العباس تاش عن قيادة الجيوش ونقلها

الى ابي الحسن بن سيمجور مضادّة لابي الحسين العتبي فيما بعد وتداركه

لما وسمه من اصل تقديمه وتقريبه وامر بالكتاب عن السلطان اليه في نقل

العمل عنه وتفويضه كرسي نسا وابيورد منه والايعاز اليه بالامتداد

اليهما والاقتناع بما يدرّ عنه خطاب الناس عامّة واقتصر به على

ما كان موسوماً به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه واحسّ بامارة الشرّ و

دلالة المختل والمختر علم ان ذلك فاتحة الخطب عليه والتنغيص منه والوضع

من قدره والثلم في جاهه ومحله فاستحضر وجوه القوّاد واعيان الحشم وعرض

عليهم الكتاب وعرّفهم دأبه ودينه في طاعة سلطانه ومناصحته

والاخلاص لدولته والذبّ عن حوزته والشكر لما وسعه قديماً وحديثاً

من نعمته واقباله مدة مصاحبتهم اياه علمهم بحسن رعايته ورفق زعامته وايالته
نيابة عنهم في تجاز اوطارهم وتزيين مساعيهم واثارهم ومواساة لهم بما اقتسمت
لديه من خاص ماله وحاضر ملكه وانه يرى ذلك في نفسه ومهجته مقصورة و
عن باب مالكه وولي نعمته مردودة ولا منع لاحد من جهته عن رأيه
واختياره في معاودة بخارا والمحاماة في جانب شاء فليختر كل منهم
ما احب غير منازع في قصده ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما
يتعللون من دوابهم من اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم من
الرأي في المقام والارتحال وتجمعوا بعد ذلك دفعات متباعدين
في الاختيار مرة متقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على مرافقته
وترك مخالفته ومفارقته والاذعان لرياسته وموافقته على ما يلقاهم الزمان
به من سلم او حرب وذلول وصعب وسهل وحزن وسرور وحزن وخوف
وامن وكتبوا الى بخارا سائلين رد الزعامة عليه رعاية تحوط منهم و
تحكيما للكرم في تحقيق مسألتهم واستبقاء لوجوههم بماء ما عندهم فابى
ابن العزير ان يقع لهم نجاح او يشعر بين اولياء الدولة صلاح وكتب اليهم
يمنيهم الزلف ويريهم الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم وتنفيقا للنفاق عليهم فلما

فلمّا عرفوا صورة الحال ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرّفا بتصاريفه وبخوعا له في وجوه تكاليفه ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولايته وما جرى بينه بعد ذلك وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المكاتبة في التعاون الى اخر عمره. اقترب معاودة ابي العباس تاش لبخارا انقضى مؤيد الدولة نحبه ولقى ربّه وقبل انقضاء الحرب التي كانت بينهما بجرجان لوفاة عضد الدولة اخيه فتماسك عزائم القواد للصاحب انابة بالخطب الذي كان اما مه حتى يكفيه بحنيظة الرّي ويقضيه بعزيمته المستمرة وشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد في الرياسة مسدّه فاشار الصاحب اسماعيل بن عبّاد الى فخر الدولة اذ لم يكن في ذلك البيت احق بالامارة واتمّ استقلالا باعباء السياسة والرياسة سنّا وكفاية منه فطيّروا البريد اليه في البدار الى ما ورثه الله من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا لا منّة لاحد ولا تجشّم لسانه لشكر واستخلفوا اخاه ابا العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة على ضمّ المنتشر وتقويم المتاود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتوقّى عنه تحمّل ما ينشئه برأيه ويمليه وبادر فخر الدولة من نيشابور الى جرجان تطاير البرق بين جناحي الافق واستقبله العسكر خاضعين طائعين وعلى صدق الموالاة والمولاة مبايعين وتبوّء

مفعمن مرسى بالملك وارثاما اوحده به لم يزل ولم يرث ما كان بين ابيه واخيه وكذلك يؤتي

الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد و

لقد احسن ابو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة يرثي فيها مؤيد

الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة: رزيت اخا لو خير المجد في ٭ من الناس لما اعتد

ولا استثنى ٭ وقد جاءت الدنيا اليك كانها ٭ طفيلية جاءت قبل ان تدعى

طلبت بك عشقا وهي معشوقة الورى ٭ فقد اصبحت تياه عهدك بما ليلى

ولما رات خطابها فيك همهم ٭ لم ترض الا زوجها لا ول الا لى

ولم تتساهل في الكفو ولم تقل ٭ رضيت اذا ما لم تكن ابل معزى

على انما كانت جفتك تدللا ٭ فجئتها حتى انت تطلب الرجعى ٭

وانشدت لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة يرثي بها مؤيد الدولة هذه

ولو قبل الفداء لكان يفدى ٭ وان جل المصاب عن التفادي

ولكن المنون لها عيون ٭ تكد لحاظها في الانتقاد

فقل للدهر انت اصبت فالبس ٭ بزعمك درعا ثوب الحداد

اذا قدمت خاتمة الرزايا ٭ فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب فخر الدولة الى ابي العباس تاش بن كريما اصاره الله اليه واعلقه بيديه

وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف الى اقسام ارادته

وانه لم يرتح لاستجابة ابائه المنابذة واجتياب العابة المتغايرة ارتياعه لما تمكن به

من معاضدته على مصالح احواله ومرافدته على مناجح اماله شكراً لما كان مهده

من مقامه قبله وقدمه من جهده في ايثار النجح به وارتياد النجح له فاجابه عنه مهنئاً

بما اتاحه الله له من كريم صنعه وزفه اليه من هدي ملكه وشاكراً له ما اوجبه

ورآه وشاكياً اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه بانه سيهجر فيما يليه وقيه على ما

يحبه وان امره ممتثل في كل ما يرومه ويقصده فليبن امره على ما يقف عليه اقتراحه

منتظراً لما يقتضيه شركة المفاوضة من التسمح بالملك والمال وترتيب الرجال على اعقاب الرجا

وكان قد انفذ ابا سعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل فخر الدولة رسولاً

فصفق في العاجل بقدر من المال وزهاء الف فارس من سرعان العرب والاكراد

فوردت نيشابور وانضم اليه ابو محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق موالياً لابي العباس تاش

على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا على التكاتف والترافد وانحدر

تاش الى نيشابور فسبقه اليها ابو الحسن وانحاز المقيمون بها انتظاراً لوصوله في سواد خيله

ورجله فصارت الايدي واحدة والقلوب على الاختلاف متعاقدة وقصد باب

نيشابور من جانبها الغربي فخيم بظاهرها وناوش ابا الحسن الحرب اياماً عدة وهو متحصن

بالبلد ودروبه ومتحجياً بضيق مداخله وسد دروبه ولحق بابي العباس تاش زهاء الفي رجل

من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم ابو العباس فيروزان بن الحسن في

كبار القواد ممن يعتزون على الزبير وبني خلوني ولو خرجت الابرة لاحسّ ابو الحسن

سيمجور بانا خبتهم عاقو ثم على حرب الضيف واعجاز بهم باطراف الزانات والمزاريق فاتخذ

الليل جملا وترك البلاد هملا وسار يريد قهستان ساترا عودة الانهزام بلباس الظلام وسمع

فشدّوا عسكر ابي العباس تاش باجفالهم فعدّوا الى آثارهم واثقالهم و

اصابوا منهم غنائم موفورة واثقالا غير محصورة ودخل ابو العباس تاش

نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها فاما بالجانب الشرقي حميد الطعن حتى الاثر

وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة: قل للذي انا في هواه خاشي

صاد الفؤاد لصدغه الجماش ... صدغ يرى عند الرياح كانه قلب ابن سيمجور لحسن تاش

وله ايضا في ذلك: ان الشتاء مضى بقبح فاش ... واتى الربيع لنا بحسن رياش

ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله ... واتانا ابناء الكرام بتاش

ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة والاستقالة

والضمان لانف الطاعة وعرض النفس والمال بلسان الفضل عند فلج بابن عزير

صلابته في عداوة آل عتبة من مغايظته ومعاداته ومعاندته وطفق

ينفق على الامير الرضي والدته التي كانت كافلة بالملك ان تاش معتصم بالديلم

وقاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ادخر عنانه فيما يستدعيه وجب

التعزي عنها والتكبير عليها حتى ظنا ان الامر كما زعم فوكلا التدبير اليه و

وجعلا رباط الخيل والشرب بيديه وقد كنت أروي لصديق لي في تلك الايام بيتين

لابن المعتز سمعتهما في الشباب وبهما شيئان لو بكت الدماء عليهما : عيناي حتى تؤذنا بذهاب

لم تبلغا المعشار من حقيهما : فقد الشباب وفرقة الاحباب : فقال ان الاولى بحكم

الوقت والحال بيتان في ذمهما وصياغتهما للحين من المرد وذوي الشباب

يعجز ذو الرياضة عنهما : راي النساء وامرة الصبيان : اما النساء فميلهن الى الهوى

واخو الصبى يجري بغير عنان : فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به

العيان ويتجلى بصحته الامتحان وابى الله ان يكون ظئر في شفقة الام

وخال بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب ووزير محل الملك الغالب المستبد

برايه الصائب وفكره الثاقب واهتم ابو العباس تاش بما ابتدر من

ابي الحسين بن سيمجور وقصده مداراة ولاة التدبير ببخارا واستمالة

لهم واستذراء بهم وامساكا للوحشة من الازدياد وصيانة للقروح من الادماء

وهم فيما بينهما يهتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة الامهال والامهاء

ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستعداد ومداومة الاستمداد والاستنجاد

وكتب ابو الحسن بن سيمجور الى ابي الفوارس بن عضد الدولة بفارس فامده بالفي

رجل من نخب الاعراب وانضم اليه فائق في خواص غلمانه وسائر من

استجاشهم من اطراف خراسان وكروا باجمعهم على ابي العباس تاش في

خيول غصّ بها عرض الحبوب وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب فلما

قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى البلد لامتلائه عليه ومساورته الحرب

عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعارضهم ابو العباس

تاش في سرعان جيشه بعبد الله بن عبد الرزاق وابي سعيد الشبيبي وخواص غلمانه

وناوشهم الحرب من حيث متع النهار الى ان صارت لعين الاحول وظلّت

حملاته تحطمهم حطماً وتوسع اركانهم هدّاً وهدماً وكانت الجماعة ما بين

سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغاً اجهر صدورهم واقنعوا بالاجفال

جهودهم ايثاراً للفيئة المضطرب والخلاص عن ضيق المعترك وحمل

ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدّ بها ناقة القتال واخر النزال فلقاها

ابو الحسن بن سيمجور وابو علي ابنه بشكائم قوية وعزائم في الثبات مرّة وردّوا

مطلقات الاعنة بشبهات الاسنة ومسرعات الزحوف بمرهفات السيوف

فلما انقلب الى مقامه وتفرّق في تلك الحملة سواد حماته وحفظة راياته

شدّوا الحملة عليه دفعة واحدة فاضطروه الى الانهزام واسلام

المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فائق فتزعزعت

صفوفهم واضطربت جموعهم فتداعوا الامان من قرع السيوف

خلا من الجنة صهوات الخيول لجئوا في بيت الاسار على حال الذل

والصغار ثم حملوا الى بخارا على الجمال في الجوالقات ونكالا وتشفيا ممن سار قبلهم الى
خراسان ارسالا فاستقبلهم الخانات بالدفوف والمغازل بدلا عن السيوف والعوامل
واودعتهم الى محابس القهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال ابى العباس تاش الى جرجان ومقام ابى الحسن بن سيمجور بنيشابور على قيادة الجيوش

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان ففصل عنها فخر الدولة متوجها نحو
الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة محفوفة بالفرش الفاخرة
والخزائن العامرة والاهب الوافرة حتى للطابخ بما فيها من الالات الصفرية
والاواني الذهبية والفضية وتقدم بان يسلم اليه خزانة كان قد اعدها
للحمل اليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين الف دينار والفي الف وخمسمائة درهم و
خمسمائة تخت من الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب
والدواب واعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع
وجواشن وترسة وزانات اكثرها مغشى الظهور والمضب ومحلى بحلى الفضة و
الذهب وسوغ له دخل جرجان ودهستان وابسكون واستراباد الا قدر ما
كان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق مستحفظيها الخواص فاما ابو العباس تاش
بتفرقة تلك المبار والاموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الاجناد حتى جبر

كرايم وقرّب اسبابهم وواصل لهم الانعامات والاطماع حتى اذا تاشبت احوالهم
واخصبت رحالهم فصاروا بجهابهم احسن منهم بخراسان حالا واوارغد عيشة
وانعم بالا وجعل فخر الدولة ينابيع المحمول اليه من طبرستان زيادة
في اثبات حاله واستبقاء لنظام جنوده ورجاله فعل من لا ينفس على اخيه
بنفايس ما يحويه ولا يضن على صديقه بجليل ملكه ودقيقه وقد كان
الفنا يستوفي ما يوجبه له من الاجمال والمواساة ومواصلة الصلات والكرامات
ومن قبل ما نفع له في استنجاده من خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما اختاروا
من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم اوحقوق ابي العباس
تاشي على حقوق ولو نزلت معها عن جميع ما افاء الله علي من ثمرات هذا
الملك حتى احصل له عن هذا القميص لوجدتني في ادنى درجات المكافات
وايسر مراتب الامارات من الواجب والمجازات واشار الى واحدة تكفيه
امارة على ما اوجبه له ايام مقامه قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبا
عنه في حال غربته وهي ان اخويه عضد الدولة ومويدها ارسلا اليه يسترشيانه
على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان اولا وله ثانيا
مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب وقرم العتاق واغليا في الاستيام
والتأبيم حتى لم يبق للرد مجال ولا لانشاء العذر مقال واتاني خبر الرسالة

فاستطلت ضوء النهار واستخشنت جانب القرار ووقفت من الحيرة على شفا جرف
هار اذ لم يكن في الهرب مطمع ولا في قوس الرجاء منزع وبت بليلة انقد
الشتا كانقد الى ان اصبحت وقوى متخاذلة واركان متهافتة خوف الاذن
بالداء العيا والداهية الدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغ من الاذن داعيا
وآذنا فلو ادني اداع هوام ناع وآدب هوام نادب وطالع ضيافة ام طارق
آفة وخمنت في القرى كناية عن الحنق وتورية دون القدر المقدور
فركبت اليه وسير عاني اضعف مرة من باني عليه الى ان حصلت في
مجلسه فما دفت من حسن القيام وفوق الالتزام وفرط الاكرام والاعظام
وفضل البر والايناس ونصرة الرجاء على الياس فلم اكن عهدته فيما مضى
من مجالسه ومآنسه وما زال يرقيني ببشره ويسحرني بلطفه ويبن الى ان ثابت نفسي الي
وانحلت عقدة الخوف علي وتطاير الهم عني شعاعا وذهب سوء الظن جفاء
ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فتشرتها عزانياب الاقتبرو اقداح العلاقم
وحمات العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقارب ثم اقبل علي وقال
كنت على ان اكتم الامير صورة ما ادرج صيانة لقلبه عن نوازع الظنون
والاوهام لكني فكرت في حكم الحال التي تجمعني وإياك فرايت اطلاعه
طلع ما كتب والافضاء اليه بحقيقة ما طلب آمالك لسكونه واوقع لطائر نفسه

و انفي لجلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان البيعة انه لا يعدل خاتم
العراق باسره على نفاسة قدره بشعرة من بدنه ولا بذرة من ذرته وان جميع
ما املكه من صامت وناطق وقاعد وقائم حتى نضر هذا الخاتم وزر هذا القرطق
وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعد لدرء الحوادث عن ساحته * و
مبتذل في الانتقام له ممن نافسه في ملكه ونازعه حوازته حتى ياذن الله له
فرده الى بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم على الخصم
ايستحي من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة ولا ميل
الى نيل ولا تطلع الى وجه مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل
دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وهو ركن الدولة
لا اعرف الناس نسيا في هذا الحق العظيم وقد استسهلت طريق المكافاة و
لسبقه على اصبت عون الله تعالى على حسن المجازاة على ان الفضل لمن سبق الى
البر وان جهدت في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون
من هذا الكلام والكرم الذي لم يسمع مثله في سالف الايام واحتشد الصاحب
من بعد لمصالح ابي العباس تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما
يقتضي الحق عليه ويقيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس تاش بجرجان
ثلث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجفن دون الغرار شوقا الى

شوقاً الى خدمته وتسلطاً نه وحرصاً على عرفان حق اصطناعه واحسانه واشفاقاً من تأويل
حساده في شذوذه عن خراسان انكاره حق الولاء ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء
وجلّ بهم معاودة بخار الاستيفاء في الخدمة والسلامة من المذمة فارسل ابا سعيد الشبيبي الى
فخر الدولة في الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه ابا سعيد اسفار بن كردويه وعدة من اعيان
القواد في زهاء الفي رجل من خلّص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان
وهو يومئذ من بقية جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم واصدارهم والصدر في ذلك
كله عن رأي حسام الدولة ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله و
تاريسه وقتاله وحمل في صحبته من المال لاقامة اهل عسكره ضعف ما كان
يخلفه عليه عند فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى ... نصر لقراه و
قرى القواد في صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها ابن الخطفى حذو النعل
بالنعل وذلك انه امر به في صحن داره حتى اخذته السيوف يمنة ويسرة
حتى برد وعمد الى الاخرين فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسد منافذ
السرب دونهم حتى اختنقوا بين حر المحبس وعدم المتنفس وانتهب الاموال
المحمولة والدواب المقودة راضياً بسمة الغدر وقاضياً على نفسه بالخزي ابد الدهر
وانتقل الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على الاخر الى ان وردوها
فقدوا الصورة وقرأوا الصحيفة المنشورة فورد من ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعه

وهاج داء عدو على حسام الدولة ابي العباس تاش ما اقلقه واكمده واضعف
من حيلته وشتت قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة بذكر ما راه من تجهيز الجيوش
اليه ويستحثه الى استراباذ ليصير المقصود محصنا ابن العسكرين ومضغوطا
من كلا الجانبين الى ان ياذن الله فيه بالبوار او الانتقال عنها من الديار
فانحدر ابو العباس تاش الى استراباذ وخيم بها زحف فاخذ نصرا ما
قدم وحدث وما تم وخبث ورأى الحيف فغرفاه والسيوف تطلب
وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاستسلام وطفق
يكتب في الاعتذار الى الجانبين بانه كالعائذ حياء مما ارتكبه و
خجلا من عوار ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستصفاح واستقالة
ما تخبط فيه من سوء الاختيار حتى كتب في بابه بما نفس من خناقه ولكن مع
فخر الدولة بقبول انابته رعاية لحق شيبه وقرابته وعاد ابو العباس تاش الى
جرجان على ان يستانف تدبير خراسان وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن
اخيه بهاء الدولة لاحوال اخل فيها بحقه وترخص معها في المفروض من اجلال
قدره ومحله فانهض في معظم جيوشه من احاط له في اعمال خوزستان
بدر بن حسنويه في جنود الاكراد اولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على
تزويرها مدلا بالقوة السابقة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان

بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستضافتها الى اعمالهما فلما عبر نهر سے   الحسين

استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة اهل البصرة عليه فنهض منهم خلق   فيه

عظيم الى المسالك بينه وبينهم فبثقوا سكور الاهواز عليها حتى عميت الطرق

واعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات وحول سدت عليهم

وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم الاقبال والادبار ووافقهم اقبال

خيول من الموصل على عوادل الطرق لطاهرة المقيمين بالبصرة فلما

اخذتهم ابصار اصحاب ابي العباس بن فيروزان وراوا فيهم شوكة ووفرة

ولوا على ادبارهم نفورا وكان زيد بن حسنوية قريبا منهم فلما راى الكشفة

جاء مانعا وثبت بنفسه مدافعا فاغناه سد ما اختل ورد من اخل   وعقد ما انحل

فاستمرت الهزيمة بهم الى فخر الدولة وهو بسوق الاهواز وشكوا اليه ضيق

المجال وتجمعوا على رسمهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الاول من

عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم واثرهم فانكفا

بهم راجعا الى همذان على ظاهر هنية وقع التغاضي عليه ومنها الى الري   القراضي

وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء بارض جرجان

خارج عن الحد في هذه السنة فهلك من اصحاب ابي العباس ناس

ووجوه قواده واعيان رجاله والمذكورين من كتابه وعماله وسائر

حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت له بأخرة علة صعبة حتمت نحبه

فقضى لسبيله وقد كان اصحابه اوغروا قلوب اهل جرجان بسوء ذميمة ابدعوها

ومعاملات قبيحة اخترعوها واعمال عنيفة اوقعوها فلما افشا خبر وفاته

صاروا يدا واحدة على اصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت كل

حجر ومدر وجعلوا القتل جفلى فانتظم الصغير والكبير والشريف والمشروف

في سلك القتل والتنكيل والابادة والتمثيل وشغل وجوه اهل عسكره دهاء

المصيبة عن الفراغ لقمعهم وردعهم واخماد جمرهم واستكفاف معرتهم و

اقتضتهم صورة الحال البروز الى ظاهر البلد لضبط الامر وضم النشر واتقان

التدبير في اختيار من يصلح للتامير فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على ابي

احمد بن اخت له فقدموه وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم ما وجد في خزانة

الماضي مضافا الى ما امكن تمحله واحتيال عشرينية واحدة حتى هدأت

فورتهم وسكنت سورتهم وتوالى النفير من البلد بمد اهله ايديهم الى عورات

نساء الخراسانية بغيا وكيادا فحركتهم الحمية للانتقام من اولئك الاشقياء الرعاع

والاوغاد فركبوا على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار اولئك الاشقياء اليهم

ينشدون في الديار تهافت الفراش الى النار فلم ينشبوا ان حمل اهل العسكر

عليهم حملة كشفتهم عن رؤس بلا غلاصم وايد بلا معاصم ونفوس بلا عواصم

تمحله

وفرشوا ارض ذلك الفضاء بجثث القتلى تتشحط في الدماء وضربت الدور
وانتهبت بالنفاطات وبسطت عليهم الايدي بالغارات فجرى عليهم
ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة قامعة
وعندها ارسل مشائخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان وينشدون الله
والايمان فكفوا عن القتال وانكفاوا الى الرحال فسكنت نائرة الفتنة
ووقع طائر الهيج واللوثة واختلف العسكر في الاختيار فمال القواد
وكبار الغلمان الخاصة الى خراسان واستحب الدارية الانقطاع الى فخر الدولة
والاختصاص بخدمته وكتب الصاحب اليهم اجمعين بالتوقف ريثما
يلحق بهم الاستاذ ابو علي ويطلق لهم اموالهم ويحقق في الولايات وزيادة
الاقامات آمالهم فحفزتهم حب خراسان عن التوقف واعجلهم طول
العهد بالاوطان دون التثبت فساروا على سمت الروغن معاودين بنيسابور
للاتصال بابي علي بن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه و
انما الباقون من الدارية الى ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم واثبت
اساميهم واطلق اموالهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار
وتوفيرهم على امثالهم بمزيد الاكرام والايثار رعاية منه بحق ابي
العباس تاش من جانب واستظهارا برأيهم من آخر وقد كان استحكم

تموج بالفاغة وذوي العيث والخرابة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع الاستاذ ابو علي الارصاد لهم وبث العيون عليهم وقتل من حمل منهم يوما واحدا حديدة واحدة زيادة على ثلثة الاف رجل صلبا وصبرا وغيلة ومكرا فقمت بتلك سياسته واستفاضت هيبته واستقامت امور ه وصفت جرجان في ايامه ممن يعوث في فساد ويحلم بغير استقامة وسداد

ذكر ابي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيش الى ان قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابي علي

استقامت بولايته وقراره نيسابور وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان مخليا امور خراسان وانصرفت عساكر ابي الفوارس الى كرمان وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة قراره وكان ابن عزير يستميت ابا الحسن على قصد جرجان وينبهه على القاعد عنها وهو يتم على المعلوم من عادته في استشعار الحلم واستيحاب السلامة والسلم اشفاقا من عثرة قدم تقضي الى الندم كالتي عرضت لابي العباس تاش بجرجان من الكثفة التي جلبت على الدولة من الوهمة بما سار في البلاد خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن عيسى الدامغاني للوزارة وذلك في جمادى الاخرة من سنة سبع وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم فجهد ابو علي في تسديد الاعمال وحفظها على الاعتدال

فاعياه ما زاد لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستيشراء الخصم الحشو
وضراوة الاتراك وتمردهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب خلعاً للجام المراقبة
وامنا من السياسة وصدق المواخذة فصرف بابي نصر بن ابي زيد وهو
المتهم الذي يصيب الحز في اقواله ويطبق المفصل في افعاله ويسن الكفاة
بغنايه ومضايه وصوائب تدبيره واراته بن الهمر في امر ابي علي فرد ثانياً الى
مكانه من صدر ديوانه واتفقت لابي الحسن بن يحيى بين هذه الاحوال
نهضة الى خوزستان بعض مهاته بولحرة من خطاياه فخانته نفسه خلال
الرفث اليها وخر الى الارض عن صدرها ميتاً واخفي خبره وفاته الى ان
رد الى داره واستعد لاظهاره وورث ابو علي رياسة بيته وتولى
وجيشه فسد الثلمة الحادثة بابيه بوفور سياسته وحسن رعايته وحفظ آلته
وولايته وحسنت طاعة ابي القاسم اخيه وساير اخوته له وعمهم رضاه
به وبلغ ابا علي ان هراة شقيت لفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على
ما استجازه من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة لفايق ونيسابور
مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب كل واحد منهما اصحابه بناحية عمله و
حملت الخلع والحملانات من بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علي
يظن انه هو المقصود بها والمحبو في الكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول

منتصف الطريق عدل الى فائق بما صحبه فعلم انه مكر مكروه وغدر اسرّه و
انه المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فائقا شخص عن هراة نهض ابو علي
من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد حتى انقض فيما بين هراة
وبوشنج فعل من اتخذ الجد حزنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب
جانبا وعلم انه متى استمرت تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة
وعرف جنده وجنوده لم ترتفع له ولا لاهل بيته راية ولم يعرف
لانتقاض الامور عليهم وانتياب المحذور اليهم من كل وجهتها
فصمد قصدا له آخذا بفرط الجد والتشمير ودق عسكر فائق المضيب
استاره المسامير فولى فائق منهزما الى مرو الروذ وارتقم ابو علي بعدة
من قواده للتشريد به في مهربه فاقاموا بقنطرة مرو الروذ مستعد للمدافعة
ومحتشد للممانعة فقارعهم حتى اسر عدة منهم وحملهم الى بخارا وسار
ابو علي الى مرو خاطبا على ابيه ومن لابسا لوجه مانه ومساعيه و
متكثرا باخوته وذويه فحقق الرضى سوله وجزّ فضله فيما استدعاه رسوله
وقرر قيادة الجيوش عليه وناط مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور
وهراة وقهستان ولقبه بعماد الدولة فاكتفى النيسابوري وقد نال ما اراد
هذّب الاعمال ورتّب الاحوال والرجال واخذ امره يزداد نموا وبهاء

ويتضاعف حقوق واستعلائه الى ان لقب بامير الامراء المؤيد من السماء، وامتدحه

ابو بكر الخوارزمي بقصيدة اولها: ان الاولى خلف الخدور: هم الضياغم في الصدور

وقع الغبار عليهم: فغدا عبيرا على العبير، واعرتهم نظرة فما: رد المعار على المعير

فغدوت في حال الاسير: ورحت في حال الحسير، وكذاك من عشق النجوم:

ورام صيد البدور: يا سائلي عن البراقع: والهوادج والستور: فيها الرضاع من المنية

والفطام من السرور: وسالت من زوج المنابر: حين تخطب والسرير

فهو الامير بن الامير بن الامير بن الامير: المشتري للمدح القليل بالدائم الكثير:

من سيفه لسر الجبير (?): وسيبه جبر الكسير: والناظم المعنى الطويل بلفظه النزر القصير

يرمي اعاديه بسهم: من سعادته طرير: حتى لو افترشوا الحرير لما اكلهم مس الحرير

ويؤنث الذكور: بتلكم البيض الذكور، وسهامه نوب الخطوب: ووسعت الدهور

ورماحه حشو العيون: وعداته حشو القبور: استغفر الرحمن بل: حشو الخوامع والنسور

ويصوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور: واذا اتاه سائلا: رب الشويهة والبعير

البسته بغنائه: رب الخورنق والسدير، احمد بن محمد: هذا الذي من اليحى (?) لو كانت الدنيا تدور

على الحقائق في الامور ما صيغ تاج محمد: الا من القمر المنير، واتاه البديع ابو الفضل الهمذاني وهو يومئذ

يمتدحه بالقصيدة التي اولها: على ان لا اريح العيس والقتبا: والبس البيد والظلماء واليلبا، واترك الخود معسولا مقبلها

وانهر الكاس تغدو شربها طربا: حسبي الفلاة مجلسا والبوم مطربة: والسير سكري من مت تعبا (?)

وطفلةٍ كقضيب البان منعطفًا ∴ اذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظلّ تنثر من اجفانها حببًا ∴ دوني وتنظم من اسنانها حببا

قالت وقد علقت ذيلي تودّعني ∴ والوجد تخنقها بالدمع منسكبا

لا درّ درّ المعالي لا يزال لها ∴ برقٌ يشوقك لا هونًا ولا كثبا

يا مشرعًا للمنى عذبًا موارده ∴ بيناه مبتسم الارجاء اذ نضبا

طلعت لي قمرًا سعدًا منازله ∴ حتى اذا قلت يجلو ظلمتي غربا

كنت الشبيبة ابهى ما دججت ودرت ∴ وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا

استودع الله عينًا تنحي دفعًا ∴ حتّى توذب وقلبًا يرتمي لهبا

وظاعنًا اخذت منه النوى وطرًا ∴ من قبل يقضي الهوى من حكمه اربا

غضّ عليك جفون الصبر ان لنا ∴ اليك اوبة مشتاقٍ ومنقلبا

ابى المقام بدار الذلّ لي كرمٌ ∴ وهمّةٌ تصل التخويد والخببا

وعزمةٌ لا تزال الدهر ضاربةٌ ∴ دون الامير وفوق المشتري طنبا

يا سيد الامراء افخر فما ملكٌ ∴ الا تمنّاك مولى واشتهاك ابا

اذا دعتك المعالي عوف هامتها ∴ لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا

اين الذين اعدّوا المال من ملكٍ ∴ يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا

والليث مختطًا والسيل مرتطمًا ∴ والبحر ملتطمًا والليل مقتربا

امضى شبا منك ادهى منك صاعقةً ۞ اجرى يمينا وادنى منك مطّلبا

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً ۞ لو كان طلق المحيّا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ۞ والليث لو لم يُصَد والبحر لو عذبا

يا من يراه ملوك الارض فوقهم ۞ كما يرون على ابراجها الشهبا

لا تكذبنّ فخير القول اصدقه ۞ ولا يهابنّ في امثالها العربا

فما السموأل عهدًا او الخليل قرىً ۞ ولا ابن سعدى ندىً والشنفرى غلبا

من الاميه عشارا اذا اقتسموا ۞ مآثر المجد فيما اسلفوا نهبا

ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشرني ۞ ولا المزني ولا القيسي منتسبا

هذا لركبته او ذا لرهبته ۞ او ذا لرغبته او ذا اذا طربا

ثم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعها فجبيت له عن اخرها وكتب اليه
الرضي يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه وعوارض مؤنه فاعتلّ عليه
باستغراق اَعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة
يتحملها لتتمة اطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء ويُبين حسواً
في ارتغاء ونصب ابا علي النسفي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة
والاستخراج كشّ خراسان فلم يبق بها ذو درّ الا ادمى خلفه والصق بطنه بظهره
بطنه ثم طالبه باداء ما دفع عليه وامر بدقّ يديه على رجليه الى ان

اعفي ببعض المال ومات بآخره على شر حال فصار يكاتب الملقب

بشهاب الدولة وظهير الدعوة هرون بن ايلك بغراخان وهو ببلاد الترك

يسأله على ان يتشبث بخراسان وما وراء النهر حتى يستولي على الرقعة ببخارا

فكان كما قيل محمد سلوا سيوف محمد فضحوا بها اموات آل محمد

وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا لا بزعمه للتقية او تجملا

الى الرعية وقد كان طائفة من دهاقين ما وراء النهر قوم املتهم ايام

تلك الدولة فقرمت نفوسهم الى الاستبداد والاحماض به عن خلة الالف

والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحريم وشاحذين

عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالبازي

يحل نضاح اجفانه على التدريج تأنيسا له من الوحشة وتسكينا من الروعة

وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا انج

الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوائب

وانارت الكواكب ثم انجلت عن اسر انج الحاجب في الكبار من القواد و

الكثير من الافراد واستحكم بذلك طمعه في تورد سائر البلاد

ذكر فايق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

فاقام فايق بناحية مرو الروذ على رم الرث وجبر الكسر وانسوا فيئا في عسكر من

من كلوم الحرب فلما التحم امره وانصم نشره سار يريد بخارا عن غير استبمار واستطلاع راي فارتاب الرضي به فلما قاربها برز الى فضاء السهلة ببابه ورماه بانج وبكتوزون الحاجبين وسائر مواليه وموالي ابيه وذلك يوم الاحد لثلث خلون من شهر ربيع الاول سنة ثمانين وثلثمائة فلما رهقهم الكفاح وعضهم السلاح اجفل اجفال الظليم وقسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر والتذليل واوى الشط منهم موجد السفن مغيبة فركب الخطر واحتال حتى عبر وسار الى بلخ على ارتياش منه وبرياش وافام بها اياما ثم عبر الى الترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار ويحثه على البدار وخوطب من بخارا والى الجرجان ابو الحرث احمد بن محمد الفريغوني بقصده وحصده فجمع جيشا عظيما وساق من ارض الجوزجان برغا فانتدب لهم احد غلمانه وكان يعرف بارسلان اخرسا لا في زهاء خمسمائة من الترك والعرب فانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطير ففرقوهم بددا وجعلوهم طرائق قددا وفرشوا الفضاء بجثث القتلى وغنموا ما لا ينفد ولا يحصى وعادوا الى بلخ ظافرين وقد كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان خرج على ابي المظفر محمد بن احمد وهو والي خراسان

ارادوا بالامير التسليط ... الاحد يعرض بسوء الراي ...

الا انقضاض الحر هوى الجوارح على الصيد يقال انقض البازي اذا هوى على الصيد وطوى جناحيه

البغاث شر الطير ...

يقال فلان واحد دهره ... الفريغوني

جلالة قدره وبراعة ذكره ومتانة رأيه وحجره ورصانة نظمه ونثره وانقطع
ابو المظفر الى جانب فايق صارخاً فزعاً فاجاب اصرخه وامده بمن يرده
وراءه فاغتنم طاهر بن الفضل خفة اصحاب فايق ببلخ فلفت لفتة اليها
طامعاً في الاستيلاء عليها فزحف المقيمون بها المرافعته ونهض المناجزته
وتناوشوا القتال وصدقوا المصاع والصيال وثقف بعض العرب مكان
طاهر بن الفضل فقصد قصده بطعنة اذريته عن مركبه وبادر اليه
فاجتز راسه عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى اصحابه على الادبار هاربين
بين سمع الارض وبصرها وهائمين اثناء حجرها ومدرها وللمجرى في امر بلخ ما
ما جرى ونقل الى بلاد الترك في جملة الاسرى انتقضت مرايرا الاعمال بما
وراء النهر ووهت قواها وتراعت قواعدها وبناها واشفق الامير الرضي
واد كان دولته من ان يتفاقم الامر ويتراكم الشر ويعضل حادث الداء و
لاينضب باقي الماء فخوطب فايق في الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة
واستنهض الى بخارا للاستظهار به على سد الخلل وتعديل الميل وبشر
عنها بحسن القبول والاقبال وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند فلم
يرعه الاخبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استغا
انيه فوادم الطير كفنا المرسل فيه جماما ولا عمضا فولى فايق من بين يديه

هزيما ولو يلوا على تعرّف الحال مقيما وجعل من كان معه من اصحاب السلطان
عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف وتواقفت الشهادات على ان انهزامه
كان مواطاة منه لبغراخان على آل سامان ففعل من لا وفاء بدعه
ولا حياء يزعه ولا نفعة تحقّه ولا حرمة تكفّه وسار كما هو حتى اقتحم بخارا
فراع السلطان بالداهية الدهياء والخطّة النكراء والقضاء المبرم
من السماء حتى اضطره الى مفارقة الدار والياذ بزمّة الاستتار ذكر
ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضى عنها وانصرافه
ثانيا اليها بعد فصول بغراخان عنها ودخل بغراخان
بخارا فاستقبله فائق مختصّا به ومنخرطا في سلكه ومكثّرا لسواده وملقيا
اليه لين قياده كانهما كانا على ميعاد وتلاقيا على سابق صحبة ووداد
ولما استقرت الدار به قرارها استاذنه فائق في النهوض الى بلخ لانتزاعها
الى ولايته واثارة اموالها لخزانته فاذن له فيه وسار الى ترمذ و
بعث بعثا الى بلخ فاحاط عليها ونصب بها من يجبي الاموال ويدير الاعمال
واهتبل الرضى فرصة البروز من مستتره في بزة النكر حتى عبر النهر الى
آمل وقد كان هاجر اليها امامه عدة من خواصه وحجّابه وغلمان داره
عائذين بها من ... فاعتدوا بمقدمه عيدا وظنوا انهم انشئوا خلقا

جديداً وتلاحق بهم ابناء الهجر فتموا عدّةً وعديداً واعتمد الامير الرضى ابا على البلعمى
للوزارة وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير لضيق الحال
والمجال وانسداد وجوه الاموال والاعمال وتزايد عدد المهاجرين من الرجال
وقد كان نُفي عبد الله بن عزير الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر
الرضى بالكتاب اليه فى استحضاره لاستيناف الاعتماد عليه
فيما كان يليه واستكفائه المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنما لخدمته فى
تلك الحال ومتوصلا الى ترضيته بوجوه الاحتيال وقد كان الرضى من
لدن طلوع نجوم الشر واستطارة شرره باعلى ما وراء النهر من جهة الترك
يكاتب ابا على محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد لحياطة
الحوزة وحراسة البيضة فى الاستنفار والاستمداد ويتلطف له فى
التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوى البغى والفساد بعد ان سامحه باموال
خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها ترضيا واحتمالا منه واستبقاء
للصنيعة عنده وطمعا فى الانتفاع بشانه والاستظهار بمكانه فيعده
الاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز حتى استغرقت مواعيده شهورا
عدّة ثم نهض من نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو فى مثلها من المدة
يتربص فى اثناء ذلك زحفة القوم وتغلبهم فيشاطرهم الملك له على حاجز

على حاجز النهر فيكون فاسدونه له ولهم ماوراءه وكان اتصل به وبخدمته
طائفة يزينون له هذا الرای ويحلونه فی عينيه ويجلونه فی معرض التهذيب
لديه تقربا اليه ويوحون اليه انها دولة قد تمت ايامها وحان ان تنوح
عليها اصداؤها وهامها لاستمرار العثرات عن الاطراف بها واشال الفتوق
من كل الوجوه عليها وان المعنی بنصرتها مخذول بخذلانها ومحلوم عليه
بالادبار لادبار ما بها وهی قواعدها واركانها فلما استقر ذلك السلطان
بامل الشط كتب اليه بان الخفاء قد برح والبلاء قد نزح وانه ان يستاثر
بعز الاحدوثة فی مظاهرته والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته
ودولة آبائه فی طاعته ونصرة دعوته وكف الاذی عن وجهه ورده
الی دار قراره ومعشر اوليائه وانصاره فقد قطع طمعه الامنة واستشعر
الياس الامن لدنه وقبل هجوم بغراخان علی بخارا ما واصله بكتبه فی
الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطف الی التضرع فی الاستنفار
والاستجاشة فمن تلك الكتب فصل حفظته عن انشاء ابی علی الدامغانی
وهو وانما يحتاج الدولة الی عمادها اذا قصدها من يزعزع راسياتها
اوتادها فالله الله فی هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة ايا لعمر لا ينزه
بك وكان تاثير فيه تاثير الرخاء فی الصخرة الصماء لاخدش ولا

حقّ ولا شقّ ولا شكّ وفرش خلال ذلك بساط الدالة والاقتراح
يستزيد الرضى رتبته في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره من
اصحاب الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب والتكنية
على العنوان منسوبا الى الولاء الى امير المؤمنين وانما ولاؤه لآل سامان
فقابل الرضى جميع ذلك بالايجاب ووفّاه ما اشتهاه من شريف الخطاب
وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضى وَرَدَ عليه رسولا
يُعرف بارسطاطاليس ايام مقامه بأمر زيادة على الجبر ول له وانه يجري
مجرى الشطط والمحال فقال ايها الامير ان السلطان اليوم بحيث لو
اقترحتَ عليه مخاطبتك بالتامير لفعل ولكن وراء اليوم غدا فاختر
لنفسك ما هو اجمل بك وازكى في الاحدوثة عنك فكادت عند ذلك
العيون ان تصبو والقلوب ان تذوب واستمرت القسوة به فلم يرده على وعد
مُطال وتسويف ومِطال لا جرم ان الله عز وجل كفى الرضى شغل
ما دهاه ونصره واواه واعاده الى خطته ومثواه وختم بالخير عقباه
واسلم الغادر لما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد ذكر

انصراف الرضى الى بخارا بعد جلاء بغراخان

عنها واتفق ان مسّت بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فازعج

فانزعج عنها عائذاً وراءه مغاوداً هواه وعمد اهل بخارا الى نفاضات
عسكره فطحوهم طحياً ودحوهم دحواً وجالوا حواليها دحراً وبادر الاتراك الغزية
على اثره شلاً وطرداً وعركاً وطحناً ولم ينفك يمضى على الاحجام والانهزام
على ما به الم السقام حتى ذاق كاس الحمام وحين احسّ الرضى باجفاله
على حاله استبشر بالعبور الى بخارا فيمن ثاب اليه من حاشيته و
رجاله فتباشر الناس بما اتاح الله عزّ وجلّ من عوده الى دار ملكه
وقرارة عزّه تباشر الصيّام بهلال الفطر وذوى المحول والاعدام باستهلال
القطر وصفت له بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولايته وسائر مملكته و
لما راى ابو على ما استقام له من الامر وسقط من ناجم الشر وخمد من نائرة
الفتنة التى قدّرها صمّاء لا تسمع ودهياء لا تنقطع وانضاف الى ذلك ان
بغراخان لما الفى عصى القرار ببخارا كاتبه على الرسم الذى كان ولاة
خراسان يكاتبون اصحاب جيوشهم بها غير واف له بالشريطة التى [illegible]
تعاقدا عليها وتراضيا بها من النزول عن رتبة التماثل واقتسام جانبى الملك
بحكم التناصف والتعادل سُقط فى يده وفُتّ فى عضده وذهب
عليه امره واظلم عليه رأيه لاسفار الاختبار عن خلاف تقديره وانكشاف
العواقب عن ضد ما احاله من قِداح تدبيره فاستشار نصحائه فيما دهمه

واستقدح آراءهم فيما عراه فاشاروا عليه بمعاودة التقرب واستيناف
التلطف واحتيال ما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويسد خلل
التقصير الواقع في الطاعة فاعد من صنوف المال والهدايا ما رام ترضيه به
واستمالة قلبه عليه واستلانة جانبه بمكانه وسنح لفائق بعد احساسه
بعود الرضى الى قرارة ملكه ان يميد الى بابه متغلبا عليه ومتحكما على رسمه
فيه وقد كان ذهاب الرضى من جهته مثل ما دهاه من جانب ابي علي
تصامما عن ندائه وتقاعدا عن فنائه وتقاعسا في فرض طاعته و
ولائه فضرب الرضى وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه ودنا وشم الحرب
بغلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العرك ذا الحجم من الفريقين وفرشت
الفضاء بالقتلى من الجانبين ثم انفل عنهم هزيما وحث مركب النجاء
حرصا على النجاة الى الشط هشيما فعبر الى بعض الاطراف وتلاحق به من
اخطأتهم ظباة السيوف وحلق الاسار من اصحابه فانحدر بهم الى
ابي علي منفتلا في حبله ومنخرطا في سلكه ولائذا بذمته ومستذريا ظل طاعته
ووافق ابو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه و
يعدها على الحادثات احد سلاحه واستقبله باهل عسكره على
اتم اجلال واعظام واعم اكبار واكرام واحسن ترتيب وترحيب

وترحيب وبشر وتوير وتخصيب وتشمّم بمكانه روح الغنى عن الرضى
فصرف اليه ما كان بعده له من الهدايا مفصحًا بالجفاء والخلاف
ومصرّحًا بالتمرد والانحراف وتحاملا على الوفاء والصفاء والتظاهر
على الاعداء وتعمّدا الى نيسابور للاستعداد وتخمير الراى فى هيج
جيم الفساد ولما يئس الرضى من صلاحهما لدبّر فى الاستغراء عليهما
والانتصاف منهما من شدة باسه ويجدد فى اللقاء مراسه فوقف به
التدبير على الامير ابن منصور سبكتكين لما توسّمه فيه امارة الجزاء
باعتكافه على غزو الهند احتسابًا لثواب الله تعالى وادّخار الكريم
القربة الى الله فارسل اليه ابا نصر احمد بن محمد الفارسى النائب عنه
ببابه وكتب على يده بذكر ما عاناه من الداء بمكان موليته ابى على و
فايق وخطبهما على دولته وقصدهما اياه فى نفسه ومملكته واستيثا
عليه بارتفاعات خراسان غير راجعين الى حشمة ولا راعين
لحق نعمة ولا مستمسكين من الحياء بعصمة وان الذى دهمه من
امرهما قد سدّ عليه وجه الخلاص وطريق الانتصاف الا
من جهته وما يرجو من معونته والطف القول فى استدعائه وتطميعه فى
جميل ما يتكلفه من نصرة اوليائه بفرط قوته وعنائه فصادف

وصول الكتب والرسول نفساً منه مرتاحة لاجابته منشرحة
لطاعته تواقة الى مقام الجمال بمظاهرته بارتهان رضاه وموافقته
وبادر بالعبور الى ما وراء النهر للقاء الرضى ومشاهدته واستماع
المقصود من رائه واشارته فنهض الرضى الى ناحية كش فخيم بها على
موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا هناك على احسن ما سمع به
في مثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول والكتائب وقد كان
الامير سبكتكين يستعفي لشيبته عن متنزل الخدمة وملتزم الارض
على رسم الطاعة فاعفي عنه اكتفاء بصدق العناية والرعاية
منه حتى اذا اختلطت الخيول وامتزجت الصفوف وامتدت
عيناه صفحة وجه الرضى ازعجته روعة الملك وابهة العز
للنزول والتبرع بما كان يستعفي منه قبل الوصول فتلقاه
الرضى باتم الاكرام والاعظام ورعاية الحق والذمام وجرى
مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وتباشر العامة والخاصة وامر الرضى
باقامة ما وجب اقامته له من صنوف الانزال واتباع ذلك بما يصلح
لاتباعه من طبقات الرجال وساله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه و
يصرف الى قصد ابي علي وفايق وكفاية شرهما غروه فضل حسن الطاعة

وبذل الوسع والاستطاعة واستأذنه في الانكفاء الى وطنه ريثما
يجمع متفرق الاهبة وينظم منتثر العدّة ثم يواجه الخطب بجدٍّ
جديدٍ وحدٍّ حديدٍ وبأس شديد ورجالٍ يموجون في بحار من
حديدٍ فأذن له وصرفه ورداءه وامر له من الخلع الفاخرة والاخبية
الباهرة والمبار الساهرة بما طغى جبلا لتقديره واكد الثقة بصادق
وعده ورجع كل منهما الى مكانه واقبل على استصلاح شانه
ومحادثة سيفه وسنانه وورد على ابي علي من ذلك ما ابهم عليه
وجه التدبير وسدّ عليه باب التقديم والتاخير وجعل الامور الراى
شورى بين اصحابه فيما كشف الامر عن نابه فكانت زبدة
مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومقاربته وموادته ومعاهدته وتاثيل
حال في جانبه يرجيه ليوم العثار ونايبات الليل والنهار فارسل
اليه ابا جعفر بن ذي القرنين بما اصحبه من تحف خراسان
واوفد للصاحب بن عباد بمثل ذلك طمعا في حصول الغرض
المقصود من الاتحاد على يد بحسن سفارته ووساطته
وحدثني ابو جعفر انه دخل على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه
ثم قال له مخاطبا علينا ان نصنا مثلث في حمل هذا التافه الطفيف

الى الصاحب الجليل مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب
قد ينقل التمر من مدينة الرسول عليه السلام الى هجر لا للحاجة
اليه ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد اسباب
الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة ودرت المكاتبة و
استحكمت المصادقة وقد كان مامون بن محمد صاحب الجرجانية
وابو عبد الله خوارزم شاه قد احسنا التقرب الى الرضى ايام الحيارة
الى ان ساعدهما الوقت على ما رسل ورجال فعرف ذلك
لهما واحب ان يجزيهما عما اخراه به وقدماه من قدم الطاعة له
فجعل نسا برسم مامون بن محمد وابى ورد برسم خوارزم شاه وعقد
لكل واحد منهما على عمله عقدا فانفذ كل واحد منهما من يقوم
بضبط عمله وتدبير ما اصغى له فاخرج ابو على مامون بن محمد عن نسا لحال
فى اللحمة بينهما قريبة واسباب فى الاتحاد وكيدة ودفع ابا عبد الله
خوارزم شاه عن ابى ورد اعتلالا بانهما ولاية اخيه ابى ابراهيم
وانه لا يمكنه النزول عنها وتسليمهم دونها فاسر ذلك خوارزم شاه
فى نفسه الى ان تمكن من الفرصة فى امره فاستشفى منه على
ما سنشرحه عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال ذلك رايات

رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعد و
قد جمع واحتشد واستعد واستنجد وقام في الاحتياط والاستظهار
وقعد وساق امامه الفيول التي كان ملكها على ملوك الهند في غزواته
ومقاماته وعبر الرضى الى جوزجان والتقى مع الامير ابي الحارث
الفريغوني واليها واقام بها الى ان وصل اليه الامير سبكتكين و
لحق به الشار ملك غور ومن جرى مجراه من زعماء البلاد في
طبقات الاجناد فاجتمع سواد شرقت بهم المسالك والمذاهب وجفت
عليهم المراتع والمشارب ونهض ابو علي وفايق من نيسابور الى
هراة وبها ايلمنكو غلامه وصاحب جيشه فخيما بها مرافعا عنها
ومراميا دونها وضوى اليه من كان مقيما من جهته بمرو
الروذ وباذغيس وغيرهما اخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة وسار الرضى بالامير سبكتكين
حتى اناخ بناحية بغ وارسل عند ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه وبين ابيه
في المواتّ المهينة والحرمات الوكيدة وما استمرا عليه بعد من سيرتهما
في الاتحاد والوداد والاشتراك والاشتباك وساله ان يتوسط بينه
وبين الرضى على ما يجلو حزازة قلبه ويطفئ حرارة غيظه ويسترد
شارد اناته ويمسح جانب مرضاته محتكما عليه بما يستصوبه في

حسم الداء وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتأليف الاهواء فاحسن الامير
سبكتكين الاصغاء الى ما سأل وشدّ النطاق لما التمس واعمال
جهده الى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته في كراهة الفتن
واماتة الاحقاد والاحن وسأل الرضى في مجالس عزة شفاها و
رسالة ان ياخذ بادب الله تعالى في العفو والغفران واقالة العثرة
بفضل البرّ والاحسان ايثاراً للذى هو اقرب للتقوى واحمد في
البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال نفرته واشتعال جمرته حتى
سمح بالاجابة واسمح بالعفو والاقالة على ان يفتدي من ارش عصيانه
بخمسة عشر الف الف درهم يؤديها في ثلثة انجم على رسم المواقفات
فكتب الامير سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يده وانتظم
من عقد الصلاح بسعيه وجهده وكدّه وتشاور اصحاب ابي علي و
وجوه قواده في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة
واغتناماً لما يرجون عليه به من السلامة فصادف ذلك حدّة من
شبّانهم ونزقاً من احداثهم وذهاباً منهم بانفسهم عن الاذعان
للكافة والرضا بالصلح الجامع لمصلحة الكافة وثار من ذؤبان
الاكراد والاتراك وسرعان الصعاليك طائفة الى معسكر الامير

سبكتكين فاختلسوا منه غلاما له كان يلي امر فيلته وقتلوه في عدة
ممن اصابوا غرتهم وانضاف الى ذلك ان رسول الامير سبكتكين اباً
كرّ وراءه بجواب ما تجهد وافق ابا الفضل الزيادي احد انياب
ابي علي موكلاً ببعض تلك الثنايا والمخارم فقال له هيهات ان سعيك
لفي ضلال وان صاحبك ما ينطق الا في محال اما نحن فاحلاس الصلح وابنائه
ما دامت هذه العيون حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها
يعني به قول القائل شعر كذبتم وبيت الله لا تأخذونها
مراغمة ما دام للسيف قائم ، فلما نمت هذه الاخبار الى الامير
سبكتكين استشاط غضبا وقضى من ادبار القوم عجبا وعزم على
المناجزة واستخار الله عز وجل في صدق المجاهرة وارسل الى
ابي علي ان خذ في ارهاف سيفك وسنانك فقد جئتك بما
لا يغنيك منه غير حدة الحسام وثبات المقام وزحف الى الفضاء
الرحب بقرب هراة يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان سنة ثلث
وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول مقانب ومناسر وعبى الجيوش ميامن
ومياسر وشحن الصفوف بفيلة المجففة كانما شوا هق اعلام او اطوار
غمام ووقف الوسط منه بوالده الامير محمود ولكن في القلب مشحونا بكماة الرجال

ومحق فابكفاءة الابطال شعر من كل اروع يرتاع للمنون له:
اذا تجرد لا نكس ولا جحد: يكاد حين يلاقي القرن من حنق:
قبل السنان على حوبائه يرد: وسار فخيلت الارض سايرة والجبال
مايرة والنجوم منكدرة والسماء منفطرة وثار من وقع السنابك نقع
اوهم كسوف النهار الشامس او عود ظلام الليل الدامس و
قد كان ابو على رتب جيوشه اسوة للامير سبكتكين فجعل فايقا في
الميمنة واخاه ابا القاسم بن سيمجور وايلنكو في الميسرة وثبت في القلب
مع حماته وذوى الوفاء والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة
جيش الطواويس من وميض الحديد ولمعان الحمر والبيض واشرقت
عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتلالات لها الافاق حتى اذا
ترامت الخطى بين الفريقين بدأت الفايقية بالحملة على ميسرة الرضى
فبددوا انظامهم وزعزعوا عن المقام اقدامهم وثنى ابو القاسم بن سيمجور
بمثلها على من قابله وصنع صنيع الاخرين وحمل دارا بن شمس المعالى
قابوس بن وشمكير من قلب ابى على فطنوه يسعى لشرف المقام او رعاية
حق الذمام والانعام حتى اذا بلغ بين الصفين وقى ظهره بترسه واقبل على
موقف الامير الرضى بوجهه فاستامن اليه ووقف للقتال

بين يديه فانخزل اصحاب ابي علي لما اخفرهم من الذمة وقطعهم من العصمة

اشفاقا من مواطاة اضرابه اياه على مثل صنيعه وعندها حمل الامير

محمودٌ على قلب ابي علي في سوادٍ قد حج بثقله كاهل الارض وسد

بقسطله مناكب الافق فلم يثبت احد من اصحاب ابي علي لكفاح

او مدافعةٍ بسلاحٍ بل انفضوا عن مواقفهم انفضاض العقد خانه

النظام وانسل منه الفرد والتوام وجعلوها هزيمة انتكست بها

الاعلام وغصت بجموعهم الاباطح والاعلام وركب الامير محمودٌ

اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي النفوس سما ذعافا فلم

يفته الا من عاقه الجموع ومن خففت عن ظهره ثقل الجواشن و

الدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدى ببعضها على الصلح المعقود

لبقيت الوجوه بمائها والنفوس بمارها ووضعت الحرب الاوزار عن ابنائها

وسار ابو علي بالفل من اشياعه الى نيسابور فاقبل بها على جبر الكسير

وريش الحسير استعدادا للانحياز عنها قبل رهق اللحاق وموقف التلاق

وخيم الرضي والامير سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركائبهم وتوفرت

على الاولياء رغائبهم ولقب الامير الرضي الامير سبكتكين بناصر الدولة

ووارث ملكه السلطان بسيف الدولة وقلده قيادة الجيوش بخراسان

مکان ابی علی به وسار الی نیسابور فی هیئة اشعرت النفوس مهابة

وملأت قلوب الاعادی کآبة ورجال کالقروم المصاعب وافیال کالاسود

الغوالب مخطومة بالاساود وفی ذلک یقول ابو الفتح البستی بسیف الدولة

شعر بسیف الدولة اتسقت امور ... رایناها مبددة النظام

سما وحمی بنی حام وسام ... فلیس کمثله سام وحام

وسیجری ذکر انتقال سیف الدولة الی ان افاء الله عز وجل الملک منه

الی مظنة الاستحقاق وشهر بلقب الیمین فی کور الافاق وفی هذه

الوقعة یقول ابو عامر النجدی قل للحوادث غضی الطرف خائبة

فقد اضاء بسیف الدولة الملل ... بصاحب الجیش محمود العلی بن خف

اذ کان ملک علیها غیرها ظلل ... تاج الزمان وسیف الملک عاصمه

وخاتم الملک فی یمناه یشتعل ... فی تاجه قمر فی درعه اسد

فی جوده امل فی باسه اجل ... تاهت به الخیل والخال السریه

واقبلت طاعة تسعی به الدول ... لو صافح الشمس من عزت مثلا

او خاطب النجم لبی صوته زحل ... رای خراسان من هیبة قهرت

حتی تزعزع منها السهل والجبل ... اضحت رعیته والله یکلوه

حمامة ملة مضروبا به المثل ... لما طغی آل سیمجور رمیتهم بالخیل

بالخزشُعثاً عليها القصيد والاسل ۞ حتى اذا ما التقى الجمعان لم يقفوا ۞
ذُلاًّ واضحوا كعباد ما لهم ظلل ۞ فالهند والغور قد شابت شعورهم
لما راوا منك من باس وقد قتلوا ۞ لله درك يا محمود من ملك ۞
اذا النفوس استماتت والوغى زجل ۞ ارويت سمر القنا والبيض صادية
وعدت وهي لا كباً العدى نهل ۞ وانت اجود من شؤبوب غادية
فى اثر سارية حبتها بسل ۞ ثم رتحلوا على وجه نيسابور ولما

نسا مع ابو علي بنبا ئهم فارقها متحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة فى بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الم بها وكتب اليه بالحالة التى الجاته الى قصد ولايته والانقطاع الى جناب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب اليه فى تقرير حاله واستدعاء معونته بزاته وماله واستناب الصاحب فى تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله ويعده لها من ثمرة وداده فامر بمال يقام مياومة لوكيله و بالفى الف درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره فاقام هو و فايق حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء وانكشف عن الزمهرير افاق السماء وقد كان الرضى انحرف عند انحدار الاميرين سبكتكين وسيف الدولة الى نيسابور

بعبد الله بن عزير الى طوس التجاء فابه ثماصونه لديه من ارصادهما اياه
بالمكروه على ما دعت النصيحة اليه من مناقشتهما في بعض
الاعمال والاموال فنهض الامير سيف الدولة محمود على اثره انهاراً
للبراءة واستشعاراً للطاعة واستتماماً للخدمة وازاحة لعارض
الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي الليل الى
مرو على عوادل الطرق اشفاقاً على نفسه من عادية التصريب
فعل المتهم المريب وتلقى الرضى مورد سيف الدولة باتم
اقبال واشبال وصرفه وراءه على احسن حال وانعم بال
وارتحل بعقبه الى مرو لاحقاً بوزيره ثم منها الى بخارا حتى
استقر بها على سريره وقد كان الامير سبكتكين وسيف الدولة
لما وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل ورفعا عماد الامن و
تتبعا رسوماً كانت جائرة من قبل فنسخاها بسنن
الرافة وخيم المخافة وارتادا مصلحة الكافة فانشرحت
الصدور واستقامت الامور وامنت الطرق واتصلت القوافل
والرفق ثم مضى الامير ناصر الدولة سبكتكين الى ارض بلخ هراة ملتقاة
وكان يومئذ... فاقام سيف الدولة بنيسابور على قيادة ... زعامة الجيوش

وقد كان ابو علي طمح الى زيادة من المال تحمل اليه من الري معونة له
على اقامات عسكره فكتب اليه ابو نصر الحاجب بأني عرضت الكتاب
وقررت المراد فكان جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الانهار
العظام تصطفق مياهها وتزخر شعابها فيرى الناس ملتقى عبابها
ومصطفق امواجها ويغفلون عن اعداد الجداول التي تغترف منها
والسواقي التي تنشعب عنها ولو انا قدرنا على مؤن اهل خراسان
لاستضفناها الى ما نليه من شرق الارض وواسطة الاقاليم لكن فقد
شهد بما نشير والعذر ظاهر فيما نعتذر فاستوحش ابو علي من جوابه و
استشار رفايقاً ووجوه قواده في تدبير الامر بصوابه واتيانه من بابه فاختلفت
آراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة وروايتهم في استشفاف العواقب
المستورة فاشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي
بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك ولاية قد
اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها بأيمن العساكر وطلاء
اياها بسمر الرماح وبيض البواتر واذالتهم عليها مصونات الرغائب و
تغريرهم فيها بكريمات النفوس والحرائب وقد حصلت له عفواً صفواً
وانفتحت عليه سهواً رهواً وبيع الغيب بالضمار محال وآفة النقد

متدفق

استشفاف

بالشيء النسيّ ضلال واشار فائق بمنابذة سيف الدولة ومناهضته
لاعتراض الفرصة عليه بتفرّق الجموع عنه وانحلال اسبابه ولمخالفة
هواء جرجان طباع عسكرهم ونكاياتهم فيه قدر ما يتيسر لهم الفصل و
يحتدم عليهم الحرّ وافق هذا الرأي جمهور العسكر لحرصهم على الوطن و
نزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا الراى وتطابقوا على
الانكفاء واضطروا ابا علي الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند
ذلك كرّ راجعا بعض اصحاب اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معينا لمصالح
ابي علي وتحسين آثاره والاشارة على فخر الدولة باغتنام جواره ومعاونته
على ثاره فكرّه الى ابي علي نعيُّه فضل المقام واغراه بتعجيل الانتقال
والانتقام ولما استأثر الله عزّ وجلّ بالصاحب اكثر شعراء العصر في مراثيه
منها لابي محمد الخازن الاصفهاني ع يا كافي الملك ما وفّيت حقك من
مدح وان طال تمجيد وتأبين :: فُتَّ الصفات فما يثنيك من احد
الا وتزيينه اياك تهجين :: هذي نعاء العلى قد قمن نادبة
من بعد ما ندبتك الخرّد العين :: تبكي عليك العطايا والصلات كما
تبكي عليك الرعايا والسلاطين :: ماتت وحراك بل كل من ولدت
حواء طرّاً بل الدنيا بل الدين :: قام السعاة وكان الخوف اقعدهم

استيقظوا بعد ما نام الكلاب عيون : لا يعجب الناس منهم انهم انتشروا
مضى سليمان فانحل الشياطين : ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصفهاني
ابعد ابن عباد يهش الى العلى : اخو امل او يستماح جواد :
ابى الله الا ان يموتا بموته : فما لهما حتى المعاد معاد : ومنها
قول ابي عيسى المنجم والله والله ما افلحتم ابدا : بعد الوزير ابن عباد ابن عباس
ان كان منكم نبي مرسل قطعوا ودي : اوجاء منكم رئيس فاقطعوا رأسه
ومنها قول ابي العباس الضبي وقد جزع بابه بعد موته
ايها الباب لم علاك اكتئاب : اين ذاك الحجاب والحجاب :
قل بلا رقبة وغير احتشام : مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه : فهو الان في التراب تراب
ومنها قول ابي الفتح البستي الكاتب مضى صاحب
الدنيا فلم يبق بعده : كريم يروي الارض فيض غمامه : فقدناه لما تم
اعتم بالعلى : كذاك كسوف البدر عند تمامه : ومنها قول ابي
سعيد التغلبي الا يا صاحب الدنيا : وعين السؤدد المنى : : منصور
اما استحي ابو يحيى : لقبض العالم الكبرى : لئن خمت بك الدنيا
لقد فتحت بك الاخرى : ورحل ابو علي من جرجان على سمت جوين

غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فايق على طريق
اسفرائن حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به
وسارا مسير المستعدين للحرب المجدين في الطعن والضرب وبلغ
سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين باقبالهما وبرز الى
ظاهر البلد في خف من العدد وخيم به على انتظار المدد فاعجلاه
عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول الامداد فاقدم عليهما نازعا
وباشر بنفسه وخاصته اوارها من حيث ترجل الضحى الى ان القت
ذكاء يمينها في كافر فتعصفرت ارض الوغى بدماء القتلى واضجعت
مناسم الفيول رجالا كانوا اركانا للصفوف عند اشتجار الزحوف و
اختلاط الاسنة والسيوف وهم اصحاب ابي على بالانحراف اجبنا
عن النزال ثم تداعوا ولات حين مناص طلبا للخلاص فكانت حملة
وافقها القدر وانحاز سيف الدولة بمعظم جيوشه الى مناخ ابيه الامير
سبكتكين في اوائل من لباس الظلام انصاتا للخصوم بيوم الكرور على
الثار واسلامهم افراد الاقران وتخلف عند ذلك عنه ما اعياه
استصحابه من اثقال وفيلة ثقال وعجز عن خدمة صحبته طائفة من
رجالة المنوح وسائر اوباء الجنوح فذكت عند ذلك لابي على شعلة

شعلة الطمع في استقلاله وعوده الى المعهود من حاله لكن الله تعالى
قضاها سببا لاجتياحه واستيصاله واشير عليه عند المامه بنيسابور
ان يتبع اثر الامير معجلا لهما عن عزة الارتياش والانتعاش وقوة
الاستنجاد والاستعداد فارتبك بما فعل من كلت بصيرته وانحلت
فريرته وعمي عليه قصده ونبا اليه جده واخذ يعتل بنفود [illegible]
يده وخلو خزانته واشفاقه من خذلان عسكره اياه ان دعاهم
الى البراح وسامهم خطة الكفاح واخذ يكتب الى بخارا معتذرا
عن جنايته ومستقيلا من بادرته ومستقبلا عاما من عثرته و
مستميحا قبول عذرته وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الواهي جملته
المتناهي كرمه للتخاذل لئلا ويدين يحيل بالكشفة التي استمرت بالامير سيف الدولة
على فائق وتوسائر اهل عسكره لاكراههم اياه على مفارقة جرجان
ومعاودة خراسان وانه لو وجد الى مراده سبيلا او في ذرعه اختيارا
وهواه مقيلا لما التفت الى خراسان ما عاش تقاديا عن وحشته وتحرزا
من كراهته وسأله ان يسبل ثائره ويتوهب الرضى خطاه [illegible]
فلم تزده رسالته الا زيادة على التطميع في اغتياله والتنبيه على انحرا[illegible]
والتضريه على اقتناصه والاعلان من قوته وخلله

سبكتكين كتبه الى من تفرق عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من
قواده واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى مقرهم و
انهض ابا نصر ابن ابي زيد الى الامير خلف بن احمد والي سجستان يحتثه
اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان ابي الحارث الفريغوني بمثله فطالع
حضرة الرضي باستعداده وانتظار ما يرد عليه من مثاله فكتب الى
القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب
عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجو لاستنزلوا طيارته
او وردوا البحر لابدوا قرارته وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه
والسيل ضاقت به مذانبه وقد كان فايق عدل الى طوس يكاتب
الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في الانحياز اليه مهادنا فلقي وجهه
مثاله ويكيل عليه ملاء مكياله وتكفل امير ك الطوسي احد الامراء
النادوقية لابي علي بن الطاعة والمناعة والموافقة والمنافقة
بقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه
اليهما للاستمالة وتحذيرهما قدم الضلالة فنفض اليهما واخذ له الميثاق
عليهما وكتب اليه يستعجل اللحاق بهما فنهض ابو علي وتلقاه فايق وامير ك تباعة
الطرازفين تنفست كلمتهم على التظاهر والتظافر وخلصت نيتهم ثم

بأسهم في التساعد والترافد واختاروا معسكراً بقرب اندرخ فخيموا به   التوافر

وقد كان ابو القاسم اخو ابي علي قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة

وثمرات اعمالها عنه الى ايلنكو غلامه وتقصيره فيما كان يخطبه ويقترحه

عليه من امثالها على وفائه له وولائه اياه والتزامه حكم المشاركة له

في كل ما نابه وعراه فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور اعتلالاً

عليه ببقية من اشغاله حتى اذا تنفست مدة ارتحاله آيسه من وصوله

وصلة احوج ما كان الى عونه ونضاله فزاد ذلك في انخزاله وكسوف

باله وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ

بطوس مقابلاً لمعسكره وذلك لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة

خمس وثمانين وثلثمائة فتباتت الخيول وشبت الجنود الى التطارد و   ثلاثين

التجالد فتقول على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل منافذ ابصارهم

عادوا الى مصافاتهم ومقاراتهم وشاور ابو علي وجوه قواده في معاودة   معاودة

الحرب فاشار عليه اميرك الطوسي وزرو والخصاف منهم بتلجئة

الخيل والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة ارجائه وغزارة

مائه وسعة العلوفة من ورائه ومماذقته الحرب على اغراء الرجالة

الطوسية باطراف عسكره مبيتين وغادين مغيرين وعاشين الى

ان يدرك الملل ويلحقه الفشل ويتفرق عنه الحشر فهو هاينا جزونه على بصيرة
وقوة من بيرة واستماحة خيرة فشغب من سمع بهذا الراى من احداث
العسكر وقالوا ما لنا نطاول القوم ونمكن افنع الوقت لا يعرف الناس اننا
غيل عن المصاولة الى المطاولة وعن المساورة الى المصابرة فهانحن
نساقيهم المنية ونصبحهم منها كاسا روية فانتقض عليهم التدبير و
صار المامور هو الامير ووثب كلا العسكرين عند انفلاق الصبح الى الاستعداد
للقاء والاحتشاد لحرمة الهيجاء واقبلوا على تسوية الصفوف متحفزين بالالو
كاجام الليوث من ذبل القنا والسيوف وحصن الامير سبكتكين مواقف
عسكره بنجب فيلته فحكت تحت التجافيف اطوادا فارعة وامواجا
مترافعة ودنا الفريقان بعضهم من بعض فلم يرع ميسرة ابى على الا
زنج ثار عليهم من وراء قرية فرضهم ذات اليمين فاذا هم بالامير سيف الدولة
فى الطم والرم والليل المدلهم فتزلزلت اقدامهم وضلت احلامهم
وافهامهم وراوا قلب ابى على قد حمل على قلب الامير سبكتكين فاعادوا
على حملتهم تفاديا عن ايقاع الامير سيف الدولة بهم فى قوام صفهم ونفضوا
عن الزحام موقفه فوقف الامير سبكتكين فيمن لحق به والتف عليه
من خواص غلمانه وردّ حملتهم فى وجوههم والزموا على ادبارهم وقد

١٠٧

وقد اطلّ سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين بين العسكرين واخذتهم السيوف من كلا الجانبين وثارت ناجذ البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على المفارق وحطم الدبابيس بالطلى والعواتق وظلت خراطيم الفيول تستلب الفرسان عن صهوات الخيول وتلحو القائل بالمقتول

وبلغ سيف الدولة من الايقاع بهم والايجاع فيهم والانتقام منهم وصب السيوف عليهم ما لو سمع به رستم في زمانه لزهت بخوف عنانه وهذه اداب سيفه وسنانه ووقف المحصورون بقايا المهج تحت غواشي الرهج وبين زوايا الارواح من بين مشجر الرماح فانجلت المعركة عن قتلى مضرجين بالدماء وجرحى مطرحين على العراء واسرى آيسين من الفداء وركب سيف الدولة اكتاف الفل فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل وعمى عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان من جملة المأسورين ابو علي بن نوشتكين وابو علي بن بغر الحاجب وبكتكين الفرغاني وارسلانبك وابو علي بن نوشتكين واما سار بن سجاروز الجيلي ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي وهؤلاء اعيان عسكر ابي علي ووجوه قواده ووجوه اركانه واعضاده وسار ابو علي وفايق بين مهاوي تلك الجبال ومضايق تلك القلال الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تحفى الرياح بين نعافها وتزل الابصار دون ذوايبها

وشيعا فيها وافيا فيما بها امرك الطوسي الى ان ظهر لها عدد من سبق ومن

لحق وجملة من اجتمع بعد تفرق وكان ابو على قد سرب الفيلة التى قبض

عليها بباب نيسابور الى كلات فى جملة ضبنته وكتب ابو على بن نصر الحاجب وبكتكين

الخزغانى وارسلانك وابو على بن نوستكين وسائر الامراء يذكرون له ان الامير

سبكتكين استدعاهم وشافههم ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج عنهم

متى ردت تلك الفيلة الى مرابط امثالها من مناخه وسألوه ان يفعل

ذلك تنفيسا عنهم وتخليصا لهم فتقدم ابو على الى امرك بردها والافراج عنها

ففعل ونهض هو وفائق الى سجستان ورد مصحرين عن تلك المضايق فبعث

امرك تلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه انه المتقرب بردها

المتفرد بالخدمة فيها فاستتم بذلك رتبته ولحظ على ابى على قرشته

وفى ذكر هذه الواقعة يقول ابو الفتح الكاتب: الم تر ما اتاه ابو على

وكنت اراه ذا لب وكيس :: عصى السلطان فابتدرت اليه ::

رجال يقلعون ابا قبيس :: وصير طوس معقله فاضحى :: عليه طوس اشأم

من طويس :: وسار ابو على وفائق الى سواد ابيورد على ان يقصد آكورة

نسا ففسح لفائق ان يعدل الى سرخس لراى راه فخذل ابا على على المكان

وسائر من معه من الغلمان فلما سمع ابو على بنبأه ارسل اليه بانى غيره

غير مفارقك على اية حال تصرفت بنا من لجراب واخصاب واحزان
واسهال وان ركبت هذا الطريق على ما سنح لنا بادي الرأي من
الصواب واذ قد بدا لك في التدبير فاني تابع لرائك وها انا من
ورائك فوقف الى ان لحق به وسارا الى سرخس ومنها الى مرو وحين
تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما عن سمت ابي ورد نهض الى اثرهما
واستخلف الامير سبكتكين الامير سيف الدولة على ما فوضه اليه من
اعمال نيسابور ضامنا عنه كفاية امرهما فتقضيا اوطار بهما بمرو ثم اخترقا
مفازة امل الى الشط محجزين بمجدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد
المسالك وانسدام المناهل والقيا بها عصى القرار وارسل ابو على ابا الحسين محمد
بن كثير وفايق عبد الرحمن بن احمد الفقيه وزيرهما الى بخارا في استعتابها
الرضى واسترضائه واستفاته الى رعاية حقوق مواليه واوليائه
فاما ابو الحسين بن كثير فانه صرف وراءه على وجه جميل وكتب الى
ابي على في تمنية وتاميل ورسم له ان ينحرف الى الجرجانية فيقيم بها الى
ان يستانف تدبير امره بموجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر
باعتقاله ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا
بعض المسودة بكتاب الى مامون بن محمد والي الجرجانية ليتقدم

بتقرير حاله وذكر ما انتشى من الراى في بابه فاستعطف فايق لما قويل به
رسوله وعمد الى ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجيا الى ايلك ومستصرخا اياه
ومستعينا به على امداده واشار على ابي علي بان يساعده ويجمع اليه يده
ويساعده فان الغرض المقصود في طرحه الى الجرجانية تفريق
ذات ما بينهما في المساعدة والمرافدة والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة
وان الذي عساه في ايديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا كان
او اختيارا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته والذهول عن نفثات انياب
حماته فاختار ابو علي مباعدته على مساعدته ومجانبته على
مقاربته سر الله فيما حكم به من صدع شمله وقطع حبله ووضع محله
كما قال: فليس لمن حطه الله رافع، وليس لامر شاءه الله دافع.
وافترقا عن مناخهما فاما فايق فعبر النهر الى ما وراءه عائذا الى ايلك خان
مستجيرا اياه واصلا عروته بعراه فانهض من بخارا على اثره بكتوزون
الحاجب فتصادما بحدود نسف وولى كل منهما صاحبه ظهره بعد ان ابلى في
اللقاء عذره فقبله ايلك احسن قبول وقراه احسن مقبول ومفعول *
ووعده الوفاء بامله والترقية الى ما استنزل عنه من عمله واما ابو علي
فاخطا الطريق وحرم التوفيق فسار متقلعا عما اجتهده من العصيان نحو

لما فاته من فرصة البر والاحسان قد كحلته يد القرب بمرود الحيرة والسدر

وغمت عليه غياهب القضاء مذاهب القضاء فهو يخبط خبط

عشواء مستبسلاً للمقدور مستلماً لطوارق المحذور انشدني ابو محمد الحنفي الذكر

في مثل حاله لبعضهم، اذا اراد الله امراً بامرءٍ ... وكان ذا رأيٍ وعقلٍ وبصر

وحيلةٍ يعملها في كل ما ... يأتي به مكروه اسباب القدر

اغراه بالجهل واعمى عينه ... وسله من عقله سل الشعر

حتى اذا انفذ فيه حكمه ... رد اليه عقله ليعتبر

نعم ومر ابو علي قدماً على سمت الجرجانية الى ان بلغ المسير به هزارسف

وهي قرية تقابل بلد خوارزم من الجانب الغربي فارسل اليه خوارزم

شاه من اقام له نزلاً وقدم اليه عذراً ووعد العبور اليه غداً

لمشاهدته وقضاء حق وفادته وقد كمن له زهاء الف رجل من افناء

عسكره في خمر الغياض والاجام لاغتيال جنح الظلام وحكى لي ابو علي

الحسنامي احد ثقات ابي علي وكان قد تصرف فيما مضى من ايامه

رسولاً من جهته الى ابي عبد الله خوارزمشاه انه انشده ابياتاً لابن

المعتز ورسم له تبليغها الى ابي علي على معنى النصيحة نظم

اذا امكنت فرصة في العدو ... فلا تبد شغلك الا بها

فإن لم تلج بابها مرغمًا .. أتاك عدوك من بابها

وإياك من ندم بعدها .. وتأميل أخرى وأنى بها

قال المخبر فأولها له وذلك قبل استيحاش أبي عبد الله منه فقبلها منه
بمنة ثم ذهل عنها كأن لم يقرع بها قط سمعه ولم يستودعها يومًا من
الدهر ذرعه ولم يعلم أنها كانت رمزًا من الأيام له بارتقاع النوائب
واتقاء العواقب ولم يدر أن للأفعال والأعمال جزاء يحيق بأربابها وحيًا
أو بطيئًا محسنًا أو مسيئًا وغفل ليلته تلك من الاحتراس واقتدى بغفلته
سائر الناس حتى إذا أثقل العيون كراها ونفقت النجوم سُراها ضجت
الآفاق بخفق الطبول وغطغطة الخيول وأحيط بالقصر الذي نزله أبو علي
على غفلة أو نيل المراد من استنزاله فثار من خف حوله من غلمانه
للدفاع وثارت جمرات المصاع وخف بنفسه إلى زعيم القوم يسأله
ما خطبك ولمَ أذ حربك فقال له إن خوارزمشاه أمرني فتقرب إليه
برفق الإذعان دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة أطفأ وللإحنة
أنفى ولباع الانتقام أقصر ثم أنت بالرأي أبصر فبادر أبو علي إلى
النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل
الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة و

وامر به الى بعض القصور معتقلاً فيه وشدّ الطلب على اصحابه وقوّاده
فأسر منهم الاعيان والاركان وافلت اينانكو صاحب جيشه من
نحو الجرجانية ونودي في الافراد خرّام الفوّاد من اقام يومه
بهزار سف انيح دمه فتفرّقوا ايدي سبا في الاقطار كتوارد الامثال
واعتقل الباقون على صغار وخسار الى ان اذن الله تعالى في خلاصهم
بوالي الجرجانية مامون بن محمد وذلك انه لما سمع بنبأ ابي علي وما
ارتكب منه خوارزمشاه اضطرب قلقاً واضطرم حنقاً وبات يرعى
النجوم ارقاً الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستخفّون
مثاقيل الاعمال ويخوضون مشارع الاهوال وينفذون رواسي الجبال
ويستنزلون العصم من شعف القلال وساقهم اينانكو في خواص على
برجال قد اوغرتهم الحفائظ والاحن واحرجتهم النوائب والمحن فهم
يسعون الى النار لنفي العار ودرك الثار فعبروا الى كاث مدينة
خوارزمشاه واحاطوا بها احاطة الاطواق بالاعناق وناوشوه
الحرب من كل اوب ودرب فظلّت تلفح وجوه رجاله بجمراتها
حتى اجلتهم عنها مدحورين وحصّلتهم في ربقة الاسار مقهورين و
دمروا على خوارزمشاه في قرارة بيته فاعطاهم بيده ووصل الى

ابن علی محمل ثقل قدره علی کعبیة وتبادلت حالاهما فی رقعة من ادیم النهار فصار الاسیر منهما امیراً والامیر اسیراً وکان ذلک علی الله یسیراً و تحمل ابو علی نحو الجرجانیة فی احسن دثار وانعم شعار وحمل ابو علی عبید الله علی قتب عار من خزی وعار فاستقبلهما مامون بن محمد فقابل ابا علی بالاعظام والاجلال وعومل ابو عبد الله من ضروب الاذلال بما یجل عن المقال وانسلخ مامون بن محمد عن مجهوده فی اکبار ابی علی واجلاله ومشاطرته صنوف ماله واقام العطایا لعامة رجاله حتی انتظمت احوالهم واخلّ بهم اختلالهم واخصب بجنابهم وقرار ذات یوم وکان قد اتخذ مجلساً کاغا عمل علیه صناع صنعاء تزیناً وتحسیناً وتنضیداً وتنجیداً فاحتفی علیه فی الشراب احتفاء لطف ومسئلة اذ قد کان قد هجر الشراب وودعه منذ زمان فلما اخذت الکوس ماخذها منهما اقترح احضار خوارزمشاه فاحضر محجل فی قیده ولم یزد فی جواب ما سئل عنه وعبر به علی الاطراق وسم الارض بالاحداق وجملة امره انه امر به فاذربت هامته عن منکبیه فقد خرجت الی الارض شیبته البیضاء کذلک یفعل الله ما یشاء وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب بها من اقام الخدمة و الخطبة برسمه وجبی اموالها علی حکمه وتابع کتبه الی الرضی مستشفعاً

في امر ابي علي وسائلا تن ساءه ... ابو نصر وحشته ونجح خلّته فخطب
هو وابو علي في التمس بصحيفة المتلمس رضاً عما انطوى عليه حقدٍ
دفينٍ وداءٍ في الصدر كمينٍ ودويٍّ واقام ابو علي بالمسير الى خدمة
السرير فلاحت له اماني فعلّقها بها جدّه واصلد عليها زنده فشخص نحو
بخارا سائراً الى دمه بقدمه وقد اغلقت الايام باب قلبه عن ذكر
فعلاته وزلاته ليلقى قدراً مقدوراً وليقضي الله امراً كان مفعولا
ولما شارف بخارا استقبله الوزير عبد الله بن عزير والقواد على طبقاتهم
مهنئين ومبرّكين ومضى فيهم الى السهلة ونزل بها واخذ يلثم الارض
الى ان بلغ السدة فرفع له الحجاب وسار امامه الحجاب الى ان وصل الى
الرضى فاستوفى ادب الخدمة ولبس ذلّ كفران النعمة واستنزل
بعقبه ايلنكو في كبار اخوانه وقواده حتى اذا نودي برايته
للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والاخرون في القيود
والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي الاولياء والحشم فطبقوهم
بالسلب والنهب وسلخوهم من كل مضيق ودرب وختمت
حال ابي علي يومه ذلك يوم تطاير فيه صورة واستقام ...
ونضج ... واكثير ... كذلك كفران النعمة ...

اعطفت الايام قلبه

الا بنحط صاحبه وليباد الزمان عليه بانيابه ونوائبه رحم الله من قال فلقد احسن للمقال :: اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من فعله ازينه :: واعجبه العجب فاقتاده :: وتاه به التيه فاستحسنه :: فدعه فقد ساء تدبيره :: سيضحك يوما ويبكي سنه :: وقد كان الامير سبكتكين منيخا بمرو فلما بلغه ايقاع خوارزم شاه بابي علي عدل الى بلخ فغني بها على جلته في الطاعة وازيادة مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا واوعز نفي بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب الرضى عليه بما يمور به ايلك من الانحلال عن الاعالي وحياما في ايدي عماله من اعمال تلك النواحي بالتحزم الخفوف في وجهه والعبور لكفاية شغله متمما للصنيعة عنده في استحياء دولته واستبقاء ملكه وحوزته فاستشار في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه فترجحت الاجوبة بين تبعيد وتقريب وتخطية وتصويب فاخذته العزة بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة النصحاء الى صريمة العزيمة والراي واقبل على الاستعداد والاحتشاد وبث كتبه الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود وتقديم الوفود وتوجه الى العبور

قبل تلاحق الجمهور وبعض الى ما بين كثر ونيف فخيم بقرية تدعى بنازي الى
ان وصل اليه ولاة الجوزجان والختل بصغانيان ورؤساء الاطراف
من خراسان وورد عليه الامير سيف الدولة من نيسابور في هيئة
راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجال يوزن احادهم
بالآلاف وافرادهم بالاضعاف قد ربتهم الحروب في حجورها وارضعتهم التجارب
من شطورها فلم يسمع بمعسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك و
اعيان القروم وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك خان عبورهم
للقائه فارسل الى الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه وثقات
اصحابه يذكر انهما اخوان في ذات الله تعالى لاتفاقهما على
نصرة الاسلام واقتسامهما ديار الترك والهند بالغزو والانتقام و
انهما بحكم مساعيهما في اظهار دين الله واقامة حجة الله تعالى احق
بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مستحليه على غي مآرب
نفسه وشهوات بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا
وان اجتماعهما على حظيهما اعود عليهما من ركوب الخطر والجلاد
الضرر لحظ يخلص الى غيرهما وانه لا يستحل في دينه ان يعدل
بالسيف عن اعداء الله الى وجهه الا اذا اضطر اليه ابتداء وسامه

الدفاع عن نفسه اعتداءً فليختر أيّ الامرين رأى من وفاق وافتراق و
ايتلاف واختلاف فهو ثَمّ بناره ويحذو على غراره فرجع اليه
انّ اعتماد الرضى اياه تأميله حين خذله ابناء دولته وكفر
انشاء نعمته يزيّن ثم اليه الاغماض دون حيف يجري عليه و
ملك يراد انتزاعه من يديه وان تعززه بجميع ما يحويه على استغراقه
ايام العمر فيه احبّ اليه من سمة الخذلان واختيار الاساءة على
الاحسان فليقطع طمعه عن النزاع حول تلك الرباع او فليأذن بحرب
تحطّم فيها متون الصفاح وتتقصّد معها عوالي الرماح وترخص عنده
غوالي المهج والارواح فلمّا علم ايلك الخان جدّه وذاق بلاء الاختبار ما
عنده قرع للامر ظنبوبه وشدّ للحرب حيزومه ودعى احياء الترك بقداح سهام
هي فيما بينهم علامات الاستنفار فثار اليه الطمّ والرمّ شعر
جيوش تضلّ البلق في حجراتها ... ترى الاكم فيها سجّداً للحوافر
وكتب الامير سبكتكين الى الرضى يستعجله اللحاق به ليقدمهم هيبة
في مناهضة الخصم وفلّ حدّه وزحزحته عن صدر الملك [illegible]
ما وراءه [illegible] وأشفق ابن عزير على نفسه من حركته لهنات التي كانت
الجأته الى الهرب والتذاب به منحر الطلب وتنصّر للرضى بأنّ الامير سبكتكين

وعامة ولاة الاطراف عبروا النهر في احسن عدة وعتاد وابلغ استعداد
واحتشاد وان المحن التي استمرت بك قد نقصتك عن تجمل مثلك و
رحلت بزينة الملك عن رحالك فقبيح بك ان تجاور من حاله احلى
من حالك ورجاله اتم استظهارا من فرسان رجالك والراي لك
ان تستعفيه عن شهادتك بنفسك على ان تحشر اليه وجوه القواد في
جماهير الاجناد من اطراف البلاد وتحكمه فيما يراه من محاكمة او مسالمة
او مكافحة او مصالحة ليكون فصل الامر بيده على الوجه الذي
هو اخف عليه فكتب الرضي بذلك اليه فعلم انه من تسويل ابن
عزير وافتعاله وتمويهه واحتياله وقصده ان يحبط عليه سعيه الذي
سعاه في العبور واستجاشة الجمهور وتحمل الاثقال واستنفاق الاموال
فرتب الامير سيف الدولة واخاه بغراجق في قرابة عشرين الف
رجل الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير معهما ابا نصر احمد
بن محمد بن ابي زيد لتدارك امر الديوان كان برسمه فلما احس ابن
عزير باقبال الهمر اسى ليث الموت كاشرا عن انيابه وعقاب الحتف كاسرا
ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فابتغى نفقا في الارض او سلما في
السماء حتى اذا اعيا ما توخاه فزع الى الانجاد

ولاذ بالاستناد فولّى الرضي ابا نصر محمد بن ابي زيد ما كان يليه في

سوالف آبائه النقابة والنقابة التي هي رتبة النقباء فاقام بكفايته عماده وقوّم

منآده وحذف ما كان عنه قذاده ووصفه ابو الفتح البستي بابيات في

الصدق بها حقيقة فديت ابا نصر المرتجى ... لتفريج كل ظلام يظل

له قلم حدّه لا يكلّ ... اذا كان في الحرب سيف يكل

فيوجز لكنه لا يخل ... ويطنب لكنه لا يملّ

ويكفل وتوفيق من ... افاد العقول عليه يملّ

تجود قريحته بالبديع ... عفوا كجود القراح المغل

مدق مجل وافي الكفاة ... باعلى الصفاة مدق مجل

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه بهذه الابيات

ابلغ مقالي كل غاد مجتدي ... وموقل في قصده كي يهتدي

عرّج على الشيخ الجليل المرتجى ... وزر الوزارة احمد بن محمد

فرواؤه ملأ العيون وحبّه ... ملأ القلوب وسيبه ملأ اليد

يفري امور الملك رأيا فيصلا ... وعزيمة تزري بكل مهنّد

ويفيض نائله بسيل راعب ... فيقول سائله غرقت قدي قدي

فاثن الرجاء الى علاه فانه ... غوث الردى غيث الصدى بدر الندى بحر

لا زال في يوم أغرّ مبشّر ... بسعادة غرّاء تطلع في غد
ليقيم كلّ مائد ويقيم كل ... مستهر ويضمّ كل مشرّد

وكان الأمير سبكتكين قد احسّ بانفاذ ابن عزير على ابي علي وجنوح الفائق عنه لما يقدره في الأيام من التسلّط عليه فلوّح الرضي بميله الى ما يقع من نقله الى جنابه فأوجب قبل وصول سيف الدولة اليه اسعافهم به وحمل هو وابلنكو في عمارية كانت خاتمة لعمره وقاصمة لظهره وامر الأمير سبكتكين فنقل الى جرديز في محمل الورى من قبل مثله في منامه لقبا برد الماء زرقة جمامه واستعفى عن طيب الحيوة بباقي ايامه واتجه رفيقا بين نهوض سيف الدولة الى بخارا ايلك في قبائل الترك واستأنف مسئلة الصلح فأوجب الأمير سبكتكين اجابته الى ملتمسه لقعود الرضي عن مشاهرته وفتوره في امر نهضته واشترط عليه ان يترحزح عما دون قطوان فلا يطلق عليه عنانا ولا يسرّح اليه عماله واعوانه على ان يقرّ سمرقند على فايق ايجابا للشفاعة ودعا لما سلف في بيت الرضي من سوطاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة بمشهد الفقهاء والاعيان من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الأمير سبكتكين الى

ببلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور وهد اعلى الرضى ما كان
متموّجا من امور الاعمال واقبل ابو نصر على مهمات الوزارة واكثرها
شغل الاثارة لتقلّص الولايات وقصور الارتفاعات عن الوفاء
بما كان مثبتا في القديم من وجوه الاطماع والاقامات وجعل
يزجّي فيها يوما بيوم ويغسل دما بدم الى ان ثار به بعض غلمانه
فقتلوه وذلك على راس خمسة اشهر من وزارته فضاق الرضى
ذرعا بما دهاه لاشفاقه من ظن الامير سبكتكين به ان له هناك
قصدا في امره او رضا بالذي دهاه فاظهر الاكتئاب واستعظم
المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته وامر باقامة التكميل و
التسبيل على الفتكة وانشدني المعمراني الفوشنجي له فيه شعرا يرثيه
قالوا البأس لهم سقاما :: ونفس المجد والهمة سقيمة :: وما فجعت بك الدنيا ولكن
تركت بفقدك الدنيا يتيمة وفيه لبعض اهل العصر يرثيه ولا ادري
لما توى صدر الوزارة احمد :: وهوت نجوم المجد في محموده
اذ بيت من فرط المصاب مدامعا كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد راى فرط الجوى :: والطرف يمزج دمعه بصديده
خفض عليك فقلت قولا لاجل :: دعني ابكيه بنسخة جوده ::

ذكر ابي القسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه

ولما انحدر ابو القسم عن اخيه اقام بجرجان الى ان ورد الامير سبكتكين
خاتمة من نيسابور فنهض اليه متقربا بالقرابة وتمهيد حال في
مما لاته وولائه فرعى حقه ورفع قدره وقوى اسر حالته و
ضمن له ما سره وخطب له الرضى ولاية قهستان فاجابه اليها وامر له
بالمنشور عليها واوحى الى ذلك بخلع عرفت يمنة الطاعة و
كشف يمنة العزم في الانخلاط بالجماعة فاوى الى قهستان ساكن الجاش
ظاهر الرياش اثيث الجناح مريع المسرح والمراح الى ان سنح للامير
سبكتكين عبور النهر لتدارك امر الترك فكتب اليه يستنهضه الى مجمع اركان
الدولة واعيانها ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحازب
ومما نعت الخصم المغالب فحملته بقوى العواقب في اساءة الظن
بالنوائب وطراءة عهده بمجرى اخيه فيما ادرع من لباس الهوان وجرع
من كاس الذل والامتهان على ترك المسير والادلاء ببعض المعاذير
وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه عند فراغه ابتداء عقابا شديدا لا
ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا فجد الى نيسابور مغتنما خلوها

خراسان عن جماعته وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب على فعله وراى

فتظاهرا على الاستظهار بجمع المال واتباع اصناف الرجال وحين سمع الامير

سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الانحدار الى نيسابور

وامده باخيه بغراجق والى الهراة لنقض ما ابرماه وحصد ما نجم

من شرهما فنذا اليهما ولم يرضهما حتى انحط على اثرهما من بلخ

كالشهاب في اثر العفاريت فلم يرع ابا القسم وابن محمود غير اظلال

الجيوش عليهما فارتحلا مطايا الهرب وسالا الى استوا متقين حر

القضب وركب الامير اكتافهما يتلانهما شل النعم حتى لفظتهما

حدود خراسان الى تخوم جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس

فاناخ بها الى ان تطاير اليهما جراقبا له فزاد في حفزهما للانهزام

واعجالهما دون المقام وعطف الى سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما

من تفريغ خراسان عنهما مجاهدين العهد به وقد كان فخر الدولة على بن بويه

قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة

من الهدايا والمال من العين والجين على سبيل الشكر اقتناصا لصفائه لمحبته و

استخلاصا لرضائه وحسن رائه وموافقته فقابله الامير سبكتكين باضعافها

من الالطاف وزاده عليها ثلثة من الفيلة الخفاف وارسل بها المعروف بعبد الله

الكاتب احد ثقاته فنمى الى فخر الدولة تجسسه عليه عدد اجناده
وغوامض الطرق المفضية الى بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى
ان رسول المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه وان فلانا ورد في خلاف
باطن افعاله ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو اراد لعلم
ان سرير الملك لم يستقر في شرق الارض لانغلب غلب واسود سود
فخرهذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال التي كان
خطبها فخر الدولة الى ودّه ثم اردف كتابه ذلك بابي القسم الرسول
احد وجوه بابه واصحبه رسالة مشافهة مشتملة على ذكر
الحال التي يروم عمارتها في مودته وتحصيل رضاه وموافقته
وان الرضى تبرع له بالرعاية الوافرة وبل الحال ببلال المصاهرة لكنه
يرى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه من مواصلته وعمارة حاله
من ذات صدره وسالدان نستق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف
بما تحتسبه من ملكه وملكه وان ينطوي له على مثل ما يبذله من نفسه
لتستحصد المرائر وتتاكد الاواصر ويستمر التالف والتحالف ويرتفع التجانف
والتخالف فاحسن الامير سبكتكين جانبه الى ما طلبه وانكحه من سرّه
ما خطبه وصفت الحال بينهما عن الشوائب وانتفت عن

وجوه المقادح نحو المعائب واستأمن ابو القاسم بن سيمجور الى فخر الدولة
عند اليأس من خراسان فاستدناه الى الدامغان وقومس وجرجان
وفرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله
ما لا مزيد عليه وسنأتي على بقية ذكره في موضعه وورد
على الامير سبكتكين مونس الخادم رسولا عن الرضي يستشيره
فيمن يرشح للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمن
يراعيها ويستقل باعباء الكفاية فيها وفوض الاختيار الى رأيه
واظهر مظاهرة من كان من وزرائه فاختير ابو المظفر محمد بن ابراهيم
البرغشي لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها وكفل بالامر كفالة المهذب
المحنك وقام بالتدبير قيام المنقح المتشدد الى ان اختطف الرضا جلده
عن نجوته امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك الى بلخ وعاد
سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسين بن ابي علي بن سيمجور مقيما
بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع بانكشاف عسكر ابيه ركب
المفازة نحو الري فآواه فخر الدولة واكرمه وخلع عليه وفضله وكرمه
وامر له بخمسين الف درهم مشاهرة تدر عليه عند ولاء كل شهر و
اضاف اليه من المباني والصلات وجوه الاجنة والكرامات ما تميز به

عن اشكال البين عليه في جوابه وتبجحا بحصول مثله في جملة اوليائه وحماة
اياديه فاغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بالهرب من مفترش الراحة
ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتفق السلامة والعافية حتى زج
بنفسه في قحمة الثبور من كورة نيسابور مطاوعة لهوى له كان زعم
بها وظن ان استتاره يطوي خبره ويخفي عينه واثره الى ان يقضي
من هواه وطره فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حوالي مستتره
فاخرشوه كما يحرش الضب من جحره وعجلوا به الى الحبس من فوره
وحمل بعد ذلك الى معتقل ابيه الى ان نفذ محتوم القضاء فيا له من
اسر هدّ اسرة وختم بطابع الشقاء عمره ورحم الله ام المؤمنين ام سلمة
حيث تقول شعرا لو كان معتصما من زلة احد كانت لعائشة الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم ... حتى يتم الذي يقضي على الراس
وكان اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سبكتكين فلما عنّ
له عبور النهر لتدبير امر الترك راى الاحتياط في الاستيثاق منه فالحقه بابي علي
وذويه الى ان حاق بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء كذلك
يفعل الله ما يشاء ولما استقر الامير سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس
ورد الخبر بنفوذ قضاء الله تعالى بابي علي ومن كان معه في

خلق الوثاق واستتبع خبر موت الملوك والعظماء باطراف خراسان و
العراق في مدة اتصلت كعوب ايامها وتناسقت فرايد نظامها فكانهم
كانوا على معاد وذلك انه تلا خبر خبر مأمون بن محمد بن علي والي
الجرجانية في فتك طائفة من اصحابه به في مأدبة صنعها صاحب
جيشه له واستحالت المأدبة مندبة والدعوة مناحة والفناء عوض
والسرور حزنا طويلا وورد فيه خبر الرضى في مرضة لم تمتد بها ايامه
حتى الوت به حمامه وانتقل الى ترابه بماء شبابه وكانت وفاته يوم الجمعة
لثلث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة ولقبه كتاب
بابه بالرضى فرحمة الله عليه تبرد ضريحه وتروح روحه فقد كان
طود الملك زال بزواله وذل عز اسيه بزلزاله وتتابعت المصائب
على الامير سبكتكين بعده في تلك المدة لشقيقة له كانت اعز اهله عليه
واولاد صغار وغلمان دار وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وابن
من الانتعاش فتاق الى غزنة استرواحا الى طيب هوائها و
استشفاء بنسيم ارضها ومات افاخذه المقدور عليه بالمرصد واخترمته
يد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن العجب العاجب
في امره انه حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في

في اقبالها وزوالها فقال قبيشر الى كاتبه ابي الفتح مثلنا ايها الشيخ

للمنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الضائنة منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوائمها للجز

فلا تزال تقلق لخلاف العادة وتضطرب خوف الابادة الى ان يقضي الجزار منها وطره فيخلي عنها

ويحل رباطها فترتاح الى ما يتاح لها من النجاة ويعاد اليها من روح الحياة حتى اذا كان من قابل عاد الجزار لعادته

فيها فطفقت لها بين امل ويأس ونفرة واستيناس تظن الامر كما عهدت

تارة وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان يقع الافراج عنها فتظفر قد

بالنجاة وتعود مرحى في النبات فما هي الا الثالثة حتى يسلمها الجزار الى

الجازر فيمر الشفرة على ودجيها اوثق ما كانت بالعادة وابعدها من

المخافة وامنها من الافة كذلك نحن تتعاقب علينا من الامراض

وتسنح منها من الاوصاب بينا نحن نحن نظن بما يطرق منها اذ قامت الداعية

وسابها الناعية فكان بين هذا التمثيل وبين ان قضى نحبه قدر عفا

النحل اياما سواء فقضينا العجب بعده لما املاه المقدور في شأن على لسانه

وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار المعروفة بسهلاباذ و

انفق عليها الاعظم فلم يتمتع بسكناها حتى خذله الرجاء وحق

عليه القضاء واعتاقها ولده من بعده فلم يملوا امرها

حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل ينشد

وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة. عليك سلام الله من منزل قفر

فقد هجت لي شوقاً قديماً وما ترى ... عهدتك من شهر جديداً ولم اخل ان

صروف النوى تبلي مغانيك في شهر ... فلحى الله دنيانا من ضيعة تاكل الردى

افلاذها عقوقا وفجاعة لا ترعى لاضيافها ذمة ولا حقوقا والى الله المشتكى

من صرف الزمان وريب الحدثان ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه

بقوله شعراً قلت اذ مات ناصر الدين والدولة حياه ربه بالكرامة وتراعت

جموعه بافتراق هكذا هكذا تقوم القيامة ... و

قولـه توكل على الله في كل ما تحاوله واحزم وكيلا

ولا يخدعنك شرب صفا ... فانى قليلا واروى غليلا

فان الزمان يذل العزيز ... ويجعل كل جليل ضئيلا

الم تر ناصر دين الاله ... وكان المهيب العظيم الجليلا

يباعد الفيول وقاد الخيول ... وصير كل عزيز ذليلا

وحف الملوك به خاضعين ... وزفوا اليه رعيلا رعيلا

فلما تمكن من امره ... وصال له الشرق الا قليلا

واوهمه الغرّ ان الزمان ... اذا رامه ارتد عنه كليلا

اتته المنية مغتاظة ... وسلت عليه حساما صقيلا

فلم يغن عنه حماة الرجال . . ولم يجد فيل عليه فتيلا

كذلك يفعل بالشامتين . . ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتاب اهل العصر

مضى الامير نصير الدين منتجعا . . في قبره بمساع اشبهت علما

قد كان مذ ما قد عاش منتصبا . . لله والدين والاسلام منتقما

كالليث والغيث طبعا ان حمى وهمى . . والنجم والرجم شكلا ان سمى ورمى

يا من يسائل عن حال الكاشحين لو قطا . . من بعد فقدك ابكيت العيون دما

لئن اناخ صروف الدهر ساحته . . فانظر الى الملك والاسلام لا جرما

فالدين منثلم والملك منهدم . . وظل جبل العلى والمجد منصرما

وردت الحادثة بمنعى فخر الدولة على بن بويه وكانت

وفاتهما في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب انقراض

ايامه انه فرغ القلعة التي استحدثها على جبل طبرك مرتاحا

للانس فاشتهى طرائح من لحم البقر فنحرت بين يديه واحدة فطفق

اصحابه يضهبون له من اطائبها ويشوي النيل منها واتبعها بقنانى

الكرم دارت عليه الكؤس بينها ملاءً وولاءً فلم ينشب ان

ذرب عليه جوفه واتصل على الاوصوته الى ان ختم

عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

ولا يغرركم حسن ابتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي

بفخر الدولة اعتبروا فانّي ... اخذت الملك منه بسيف هلكي

وقد كان استطال على البرايا ... ونظّم جمعهم في سلك ملك

فلو شمس الضحى جاءته يوماً ... لقال لها عتوّاً اُفّ منك

ولو زهر النجوم ابت رضاه ... تأبّى ان يقول رضيت عنك

فامسى بعد ما فرع البرايا ... اسير القبر في ضيق وضنك

اقدّر انّه لو عاد يوماً ... الى الدنيا تسربل ثوب نسك

دعي يا نفس فكرك في ملوك ... مضوا بل لانقراضك ويك فابكي

فلا يغني هلاك الليث شيئاً ... عن الظبي السليب بقيص مسك

هي الدنيا أشبّهها بشهد ... يسمّ وجيفة طليت بمسك

هي الدنيا كمثل الطفل يبكي ... يقهقه اذ بكا من بعد ضحك

الا يا قومنا انتبهوا فانّا ... نحاسب في القيمة غير شك

هلمّوا ايها الاحباب طرّاً ... على حين البلاء نبكي ونبكي

على حين يمزّق كلّ عضو ... وما يغني عن المرء التبكّي

وفاة مامون بن محمد فان ابنه عليا ولي الامر من بعده . وتسارع الناس
الى بيعته وعاد الملك به الى بهائه ورونقه واما الرضي فقد كان
عهد بملكه الى ابنه الامير الحارث منصور بن نوح فلما استعربه ومضى
لسبيله تناصر على بيعته الاولياء والحشم وفرغ بقايا الاموال و
خبايا الذخائر والاعلاق في اعطياتهم وتحقيق اطماعهم حتى استوسقت
امور الجماعة واتسقت الكلمة في الطاعة وبقي ابو المظفر محمد بن
ابراهيم على الوزارة واما الامير سبكتكين فقد كان عهد الى ولده
اسمعيل واستخلفه على اعماله واوصى اليه بامور اولاده وحيا
وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومتابعته والرضا بايا
وولايته فلما طرق الناعي به تبادروا الى عقد البيعة له وامضاء
الوصية فيه واستقر اسمعيل بعد قضاء الماتم على سرير الامارة و
امر بفض الختوم عن بيت بدر الخزانة وصب الاموال حتى
ارضى الرجال واما فخر الدولة فان عسكر الري اجمعوا على ولده
الامير مجد الدولة ابي طالب رستم بن ابي الحسن على فخر الدولة ففوضوا
الامر اليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان مجد الدولة
كهف الملة وسنتكلم في بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الاثر

وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة وتبدل احوالها
ونقل في امرائها قصيدة هذه منها الابيات نظم

الم تر من عاماين املاك عصرنا :: يصيح بهم للموت والقتل صايح
فنوح بن منصور حوته يد الردى :: على حسرات ضمنتها الجوانح
وبابوس منصور في يوم سرخس :: تمزق عنه ملكه فهو طايح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى :: اسيرا ضريرا تبتغيه الجوايح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله :: ووالي الجبال قد علته الصفايح
وصاحب جاجانيه في نزامه :: ترصده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا :: كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه :: وعن له يوم من النحس كالح
اوكان علا في الارض يخبطها ابو :: على الى ان طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر عصل :: وعن له طير من الشوم بارح
وصاحب ذلك الضيغم الذي :: براثنه للمشرقين مفاتح
اناخ به من صدمة الدهر كلكل :: فلم يغن عنه والمقدر سانح
خيول كامثال السيول سوابح :: فيول كامثال الهضاب سوارح
جيوش اذا ارزت على عدد الحصا :: تغص بها ابياتها والصحاصح

ودارت على صمصام دولة بويه ... دوائر سوء بلهن فوادح

وقد جاز والي الجوزجان قناطرا ... للحيوة فوافته المنايا الطوائح

وفايق المجبوب قد حب عمره ... ففات ولم ينبس به في الارض نابح

مضوا فمن بين عام فاختطفته ... عقاب اذا طارت تخر الجوارح

وكان بنو سامان اطواد عزة ... فاضحت لصرف الدهر وهي اباطح

اما لك فيهم عبرة مستفادة ... بلى ان نهج الاعتبار لواضح

تنزه عن الدنيا ولا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح

فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها اما تدبرت راجح

لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمرك صالح

سلاف قصاراه ذعاف ومركب ... شهي اذا استلذذته فهو جامح

وشخص جميل يونق الناس حسنه ... ولكن له اسرار سوء قبائح

ولما افضى امر الامارة الى ابي الحرث منصور بن نوح وهو في حد البلوغ وريع الشباب عند مشتعل الحداثة و مستصحب النجابة و مستوضح الاصالة والاصابة اقام ابا المظفر محمد بن ابراهيم وزيرا و فوض الملك الى فايق كفالة وتدبيرا وكان عبد الله بن عزير اتقى شوكة سيف الدولة عن قصده بخارا بالاصعاد الى الاعالي فلما انقرضت حيوة الرضى اطمعه ابا منصور

محمد بن الحسين الاسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان وحمل على الانحدار

به الى بخارا مستعينا بايلك الخان على نيل الارب المنشود واصابة

الغرض المقصود فنهض ايلك بمصاحبتهما وسار الى سمرقند بهما حتى اذا

اناخ بعرج على ظاهرها اتاه ابو منصور في خف من غلمانه زائرا

فاحتبسه بعلة الطعام واصحابه بين التخييم والاستجمام فامر به وبابن عزير

فنزلا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال وارسل الى فايق فلما

اتاه اجله ورفع محله وخفف عن مكانه اكبارا له وضم اليه ثلاثة

آلاف رجل وامره بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على رسمه له فلما

بلغ ابا الحارث خبر اقدامه انزعج عليه وجه الصواب وضرّ عليه رجل

وا عجلته فظاعة الجزع عن التدبير فبادر الى العبور بمن معه من غير

ونكير ودخل فايق بخارا فبادر الى الباب ولثم خد التراب وجلس مجلس الحجاب

واظهر القلق والالتياع لاختلال ابي الحرث بل اعظم وشرفه ومقره

الماضين من سلفه ووجه مشايخ بخارا اليه في مسئلته تقديم الاياب

وتعجيل الانقلاب فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه في احمادة

على طاعته وتقربه فكان مفتتح ما خوطب منه جعل المخالصة

وليكون دأما ما عرّم والمناصحة اماما يهديه ويرشده لمستحق

وقوفه حيث وقفته هزم محمود تصرفه حيث صرفته تلك وارتاح ابو الحرث للانصراف حين امن جانب الخلاف وسير قبل صريمة الرأي بكتوزون وهو الموسوم بالحجابة الكبيرة على باذ ساله بنيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه فايق مقيما رسم العبودية ومؤديا فرض الطاعة المحمودة وانكفأ به الى بخارا فاستقام له الامر وخمد ذلك الجمر وقد كان بين فايق و بكتوزون سخيمة واحنة في الصدور قديمة فاستحلفهما ابو الحرث على الاغماض لها فيها والاغضاء عنها والعفو عما جرى في صدره منها استبانا لاقدامهما في الطاعة واستجماعا لاهوائهما في المتابعة فاظهرا الانقياد وحلفا بما اراد واستقرت امور السالارية على بكتوزون فجبى اموال خراسان لابي الحارث من غير منازع و لامدافع الى ان طارت النعرة في راسه وجثمت الوحرة على صدره فارتقى من قصاص سلطانه وولي نعمته الى ما عرض به الملك للهلاك والدولة للعولة وارخ الدهر بما لا يرحض عنه وضره ولا يرفع عن وجهه قتره ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسمعيل اخيه بعد انتصاب ابيه

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل العسكر

الى مال الخزانة فامر به فاطلق لهم استحقاقهم المعين استصلاحا

لذات البين ثم احس القوم خورا في عوده ورخاوة في عنان

تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولاشفاقه على نفسه من جانب

اخيه وقصده وانتزاعه الامر من يده فاستوطئوا مركب الطمع واستسهلوا

جانب التحكم وتحربوا للمطالبة بزيادات على الرواتب لهم حتى استغرق

ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت الخزانة عما جمع الا استنظفها ربه

فاضطر اسمعيل الى ان يفزع فيما نابه آنفا من مؤن اطماعهم الى

العدة التي كانت مذخورة له بغزنة فلو بقوا على جملتهم في

التسحب عليه لاسرع تمزق شمل تلك الاموال وتفرق جميع جمع

الاولياء والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى

ايام المصيبة فيه بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته

عن عارض الرزية واتبعه بابي الحسين الحموي في اذكاره بحق الكبر وما

يجب له بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين

الباصرة او اعز واليد الباسطة او امر وانه سيبلغ في امره كل ما

يهواه ويرضاه ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين انما افرده

انما افرده بالوصية لاعجال المنية اياه عن وضعها منه موضع الاستحقاق

للضرورة العارضة من بعد المقام وتقاذف الشقة وان الراي

فيما يقترن له من توفيته حكم الرياسة ومشاطرته الارث من تخاير

الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحامته ومعشش

خاصته وعامته على ان يحفظ عليه مكانه من بلخ وما

يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان يؤثره من اعمالها وتوليها

فاستشعر اسمعيل ما كتب الله تعالى عليه من النكبة في ايامه حتى كانه

يراه راي العيان او يدرس عليه كتاب البرهان فلم يرده الا على الاباء

والالتواء وتعريض تلك الاموال للاتواء وتوسط والي الجوزجان

ابو الحرث الفريغوني بينهما على ان يسكن نائرة الخلاف ويقف

بهما على نقطة العدل والانصاف واراد كلا منهما على التلاقي

قبلا ليشافه كل منهما اخاه بما يقترحه من مراده ويقترحه من زيادة

اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر البعاد

في حالة التحيز والانفراد فاما سيف الدولة فانه راى ذلك

صوابا واوجب من نفسه اسعافا واطلاقا واما اسمعيل فانه نزع عن

الاجابة ولحظ الامر بعين الاسترابة وراى التسمح بما يقترح عليه

من قال الارث وان كان رقا دخا كأنه اهون عليه من
ذلك من أمره أيسر خطباً الا والتراسل ذرعاً تمكن من نفسه وذو عباس رى
الى صميم قلبه وحقه سالت به في أودية الظنون ونفرته عن ضميم
الفؤاد ثم للسكون وشدته ذات يوم أبياتاً لسيف الدولة الحمداني في أخيه
ناصر الدولة معرضاً بالالفة التي هي أوطأها داً والخصب مرتعاً ومراداً

رضيت لك العليا وان كنت أهلها ... وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يك لي عنها نكول وانما ... تغافلت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصلياً ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فرجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون الغرض
المنصوب لها من سمعه وتغير سيف الدولة بتدبير أمره لاستحبابه
الرفق على الخرق وإيثاره الرفق على الخرق وميله للمداراة على الملاحاة
والمواتاة عن المناواة واختياره البر على الجفاء وادخاره الكي
لآخر الداء حتى إذا غار نجم المودة ورقت الخشية استعد
لاتيان الأمر من بابه ورد المنتزع عنه الى نصابه وخاطب
الأمير أبا الحرث بما عن له من الهم الذي لا يسعه غير تلافيه و
شمل كنانة الوسع والطاقة فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله

وقواده المترددين لاتباع مثاله الى هراة واستأنف بها
مكاتبة اسمعيل بين وعد ووعيد وتمنية وتهديد وترجيح بين
اليأس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم يغن ذلك
منه فتيلا ولم ينقض من قوى عقده سحيلا وترددت المكاتبات
بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد لفح الخصام واعيا ثم ميل
الامر الا بحد الحسام ودعا الامير سيف الدولة عمه بغراجق الى
مساعدته وموافقته واتباع مصلحة البيت بما بينا وتسارع الى
طاعته واقر بالحق عليه في متابعته واتباع رأيه وخف معه
الى بست وبها الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فحاد
الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا
هوى منه ان يروض بزمام وخطام ومحبة لم تذلل باسراج والجام
فتسرع بالانقياد وتسرع الى المراد وجرى في حلبة الطاعة
كالجواد ولما سمع اسمعيل برحيل الامير سيف الدولة على جانب
غزنة سبقه اليها من جانب بلخ متجردا للممانعة محتشدا للمدافعة
والمقارعة وسار الامير سيف الدولة في عمه واخيه وسائر
اوليائه ومواليه حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل

كتب الاعيان من قواد اسمعيل في مما لاته عليه لما عرفوه من وهي امره
في الرياسة وضعف يده عن السياسة وتردد السفراء بينهما في
الاستصلاح وكف عادية الكفاح فابى الله تعالى الا ما كان
مقدورا وجعل الحق مشهورا والمحق منصورا وانتدب الامير سيف الدولة
للحرب فعبا المواكب ورتب الجيوش كواكب وزحف الى القتال في
رجال كالرماح او كالنبال لا القداح للقراع هشاشة الاطفال
للرضاع ويرتاحون للكفاح ارتياح الهيم للماء القراح

سفع الدروع وجوههم فكانهم ∴ وابوهم سام ابوهم حام ∴
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا ∴ سكانها الارواح والاجسام ∴
متسرعين الى الحتوف كانما ∴ بين الحتوف وبينهم ارحام ∴
آساد موت مخدرات مالها ∴ الا الصوارم والقنا آجام ∴

وبرز اسمعيل عن شايعه من مواليه وتابعه من رجال ابيه و
قد حصن الصفوف بفيلته العظام كانها اركان يذبل او هضاب
شمام ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح
الفواتك ورضا للهام من تحت الترائك وظلت رحا الحرب تعركهم
بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى ان زمت الشمس بجمرات الظهيرة

وقد لاذ بالامان من سبق وعده وطمع بالاقبال سعده
وعند ما حمل سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخالطت
الصفوف وخطبت على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة اخذت
العيون عن الاشباح واذهلت النفوس عن الارواح ونثرت
الاعناق بايدى الصفاح واقعصت الكماة من وقع السلاح وظلت
سنابك الخيول تردى على جثث النفوس وتلعب باكر الروس
فانشد بهذا المقام لاسمعيل الشامى تجرى الجياد من القتلى على جبل
ومن دمائهم يرحضن فى وحل ومن جماجمهم يصعدن فى نشز
ومن ذوايبهم يقحصن فى شكل فلم ينشب ان اسفر قتامها عن
مساقط ابدان تحت ابدان واجسام فوق هام وهام الاخرون
على وجوههم يسعون طول الارض خوفا من حر العقاب و
مر الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة متحصنا بها فى العاجل
من مس الطلب الى ان تلطف له الامير سيف الدولة
فاستنزله على امان وحرضه وجابغرو واحسانا ذكر ما
جرى بين ابى القاسم بن السيمجور وبكتوزون
بعد ذلك وقد كان ابو القاسم بن سيمجور انتقل

ابدان تحت ابدان
يجنس تام لان الاول الاجساد والثانى جمع بدن بمعنى الدرع القصير

الى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على طاعة ولده مجد الدولة

فضوى اليه من شذّ عنه من عسكر اخيه وموالى ابيه واتصل به طوائف

من ابطال الاكراد والعرب فاشتدت به مناكبه ولحت انيابه ومخالبه

وكانت الحسيكة التى ينطوى عليها فايق لبكتوزون ترصده بالحبائل و

ترميه باغوال الغوائل فارسل الى ابى القاسم يحرشه عليه ويغريه

به ويعده ما يليه من قيادة الجيوش متى اجلاه عن مكانه و

جلاه فى معرض العجز على سلطانه حتى اجهضه عن جرجان

تاركا للعين بالضماد وعارضا للملك على خطر القمار فكان مثله كما

قال ابن هرمة: وانى وتركى ندى الاكرمين

وقدحى بكفى زنادا شحاحا : كتاركة بيضها بالعراء

وملبسة بيض اخرى جناحا : ففصل عنها قاصدا نيسابور فى

جماهير اصحابه ممن ضرستهم وقائع الحروب ونجذتهم قوارع

الخطوب وكوتهم صروف الايام بمياسمها واستمرت احلاف البلايا

بمناسمها وافرط ابا على بن ابى القاسم المعروف بالفقيه على مقدمته

الى اسفرائين وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة

الحرب وتساقيا كوس الطعن والضرب وتداركت الامداد على ابى على

بضرب لقرب الخطى بينه وبين صاحبه فجفل عنه اصحاب بكتوزون

منهزمين الى نيسابور وقد اقتسموا بين جرح وكسر وقتل واسر وسار

ابو القاسم سير السحاب تحثه ريح الجنوب حتى اناخ بظاهر نيسابور

مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل اليه بكتوزون يعلمه ان

الحروب سجال وحسن الظن بعواقبها محال وان في قرع باب البغي

تعرضا للبلاء واستيذانا على سوء القضاء وانما يصبر على الكفاح من

لم يجد وجها للصلح والصلاح فاما من كان في فسحة من

الرأي وندحة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها في

مباشرة القتال ومساورة الابطال ومغامسة الاهوال وان الرأي

له ان يعدل الى قهستان لينجز له من الامير ابي الحرث ولاية هراة

معها رعاية لحق خدمته وقدمته وسابق مواتّه واذمته فضرب

ابو القاسم باذن مستكة عن الانتصاح منسدة عن الصلاح و

حمله الادلال بحاله ورجاله على التحكم والتسحب والتمنع والتعصب واهاب

بعسكره الى الحرب فاصطحبوا على مساقاة الطعان والضراب ومعاناة

الحرب ببيض الصفاح وذوات الحراب ذاهلين عن مصرع الغرر

واثقين بمطلع النجح والظفر وعبى بكتوزون رجاله القتال

واشباله الاتراك فى سائر من ظلّتهم رايته من قواد الامير ابى الحرث
وانصاره والمعتصمين بزمة شعاره فالتقوا فى الة قرية تدعى بتجة بظاهر
نيسابور واجلى ابو القاسم منهم نحو قابل زحوفا ولاقت بكارته الحقا
ق رقوما واشتبكت الحرب بينهم نفحا بالمناصل وضربا بالمعاول ووخزا
باطراف العوامل واشتعل اصحاب ابى القسم فيهم كالنار فى دقاق
العوسج او يبيس العرفج ضربا هبرا وطعنا نترا وديا سعرا وطرحوا
ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا وقهرا وقسرا حتى اذا ظنوا
ان قوادم الهزيمة قد افرجت لهم عن خوافى الغنيمة صلت بكتوزون
قلب ابى القاسم بجملة ازلقتهم عن المقام واعجلتهم للانهزام فانصاعوا
مخذولين مغلولين يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض فى
منهزمهم على ابى القاسم الفقيه احد اركان ابى على فى ايامه
مشهور رايه ودهائه ومذكور غنائه ومضائه وعلى عدة من قواده
ووجوه سواده وفر ابو القاسم فى شرذمة عسكره هائما على وجهه حتى
انتهى الوجيف به على قهستان وذلك فى شهر ربيع الاخر سنة ثمان
وثمانين وثلثمائة وكتب بكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما يسره
الله تعالى من تيسير النجح فسر الجمهور سرائر الصدور ورما خلافا يق فانه

فانه اغتنم واهتز لما كان يعقد لما تم مروسا ابو القاسم بعد ارتياشه

وانتعاشه الى بوشنج متحكما في اعمالها واموالها فناهضه بكتوزون

لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهما على وصلة انعقدت بينهما

ورهنه ابو القاسم ابنه المعروف بابي سهل فارتفع من بينهما

الخلاف وحصل الاتفاق والائتلاف وعاد ابو القاسم الى قهستان و

كر بكتوزون الى نيسابور في رجب من هذه السنة وجرت بين فائق و

ابي المظفر محمد بن ابراهيم ملاحاة في تدبير الاعمال والاموال فارصده

لها بالسوء وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه فلاذ بابي الحارث من قصده

واستامنه على نفسه فآواه داره واذن عليه مبادرة واتاه فائق

يساله تمكينه منه وايثاره عليه فجبهه بالرد واغلظ له في القول

فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك و

الاخلال بكفاية الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فقهاء وافاضل فثنوه

عن رايه واستمالوا الامير ابا الحارث حسن عفوه واغضائه وسير

ابو المظفر الى ناحية الجوزجان وسد مكانه بابي القاسم البرمكي فصدقت

فيه فراسة المعروف بالمضراب الشاعر البوشنجي حيث يقول

وكنا نرى من الزمان ... ونرى الوزارة بالبلعمي

فاخرنا الدهر حتى انتهت ... من البلعمي الى البرغشي

وسوف تؤول على ما اراه ... منه قريبا الى البرمكي

وكان ابو القاسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه
صفة البخل وحين ولي الوزارة ناقش اولياء ذلك الباب في
اعطياتهم الواجبة وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم في خاصته
بزند شحاح ووجه على الرد وقاح فلم يرعه الا ذا بيس الاتراك
يهشم قذاله ويرض عظامه واوصاله ولقد احسن من قال يقول لي ازرك
في ثوبه خجل ولو تيسر لي دعبل خبلا لا والذي سبك الصهباء من ذهب
والكاس ياقوتة ما سادا من بخلا ... واستنزل الامير سيف الدولة اخاه
اسمعيل من قلعة غزنة على امان بذله وضمان احكمه وتسلم منه
مفاتيح الخزاين واحاط بزوايا الاعلاق والدفاين وجبر له كسر حاله
واعاد اليه رونق مائه وجماله وشحن غزنة بثقاته والكفاة من
بين حماته وانحدر الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد انتظم ما
انتثر له بعد ابيه واستقر عليه ما سعى في تلافيه فغصت
شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات الاعلام من افياله
فكتب الى الامير ابي الحرث بن كراقباله وحرقه فضل الشغل
باخيه عن باله فانه قائم مقام ابيه في المحاماة عن الدولة والنضال

عن الجملة في الاقبال على حقوق ما تعرفه من برلة اصطناع الرضى
واصطفائه وتقدمه على زعماء حشمه واوليائه فارسل اليه
ابو الحسن العلوي الوصي الهمداني في تهنيته بمقدمه واظهار
التيمن بموطئ قدمه وعقد له على بلخ والترمذ وما والاهما واوديا وهراة
وبست وما تاخمهما ودانا هما وتلطف في الاعتذار اليه من امر
نيسابور حرصاً على ترضيه وكراهة لصرف بكتوزون الا بعلة
تقتضيه فعلم الامير سيف الدولة ان تلك المنافثة صادرة عارض تلك
عن غويه الحساد وتلبيس المناوين والاضداد وان داء الحقد
ليس له علاج وان ضلوع النجح بغير فاتحة البرتخر اج فارسل الى
الامير ابي الحرث ثقته ابا الحسين الحمولي بهدايا تضيق بمثلها سعة
النفوس وتضيق عن قدرها رحب الصدور ورسم له ان يحجب سمعه
عن تضريب المضربين وتشريب المشربين ويتلطف لاستخلاص سره
له واستصفاء محله قبله ليرتفع الحشمة وتتاكد العصمة وتستحكم
الثقة ويعرفه بان تخيمه بعرصات خراسان على موالاته وتدبر امور
ولاياته فلما ورد بخارا اعرض عما وجه فيه وعرضت الوزارة
عليه لموافقة مودته وخلو صدرها عمن يستقل بامرها فكان مثله كما

قيل شعره خلت الديار فسدت غير مسوّد ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

واشتغل بالوزارة عن حق السفارة واقبل على الامر بوجه الجد

للمستبد برين سكر ما اتسع عليه النهر وكثار ما نم عليه الجهر

ولن يصلح العطار ما افسد الدهر وانشد في المضطرب لنفسه فيه

وكنا نذم الدهر من غير حنكة ... بيوسفه والبلعمي وغيره ...

الى ان رمانا بالغفاري بعده ... وعاندنا في عبده وعزيزه ...

وما قد رمانا بابن عيسى وجوره ... وفي ابن ابي زيد النجيب في سيره ...

فلم نرض بالمفقود فيهم فامنيا ... بكل كبير في الورى وعويره ...

ولما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الاراء و

تخاذل التدابير والاهواء واشراف الملك على الضياع عن اهبة

النصحاء واغتنامهم صلاح انفسهم في وجوه المقاصد والانحاء

عزله الى نيسابور على ما كان يليه من جماهير اوليائه ومواليه و

حين سمع بكتوزون باقباله زحزح عن نيسابور رقصيا ابقاء على عدته

وعتاده واشفاقا على عدد رجاله واجناده وكتب الى

الامير ابي الحرث بفصوله عن مكانه اخذا بالوثيقة ومحاماة على

الحقيقة واحتراسا عن غرة اللقاء قبل اختيار العزيمة والراي

والرای فحملته سکرة الحداثة ونزوة الصبی والغرارة وقلة النظر فی
العواقب وعدم الحظ من التجارب الی الاغذاذ الی خراسان فمن
انهضه الامکان لمساعدته من وجوه خاصته وسائر حاشیته وسال الی
سرخس کالسهم صادرا عن وتره والسیل مائرا الی منحدره فعلم
الامیر سیف الدولة ان قصده ایاه من نتائج التغریر و
فائل الرای والتدبیر ومهانة الناصح والمشیر اذ لم یکن فی منة
القوم مقاواته علی شدة باسه وملاقاته علی قوة مراسه اذ لو قذفهم
ببعض رجوته لغادرهم رمادا تذروه العواصف وتقسمه الشمائل
والجنائب لکنه رای ان یغضی جفن الاحترام ویحمی ستر الاحتشام
ویرعی سابق الحقوق والذمام فخالف طریقه الی مرو الروذ مفرجا
له عن نیسابور الی ان یتمکن من ارتجاعها بینة یشترک فی معرفتها
القاصیة والدانیة وحجة علی مناویه ومخالفیه یتصورها
الحاضرة والبادیة وعطف الحفظ من ذا عول فخیم بها مراعیا
لما یسفر عنه التدبیر وینکشف عن حقیقته الضمیر وبادر بکتوزون الی
مناخ الامیر ابی الحرث وهناک فاوضه فی قضه وقضیضه ولفه
ولفیفه فلما وصل الیه انکر محله لدیه لتقصیره فی حق مقدمه

تجنّاه عليه وشكا الى فايق ما انكره فشكا اليه فوق ما ذكره
وتراولا بينهما ذكر معائبه وتقاولا خشونة جانبه وحزونة
اخلاقه وضرائبه واغريا اهل العسكر بخلعه والتماس الراحة في
الاستبدال به فانجروا معهما في جرير لسا عن حرصاً على لذة
الاستطراف واغتناما لنهزة الاستضعاف فاستحضرهم بكوزرون
لعلّة اجتماع العسكر لهم احتج الى نظرهم فيه واشارتهم بوجه
الصواب في تلافيه حتى اذا حضره حصروه ووكّل به من
سمل بصره غيراً ولحجته بطيختي جوته احتر ما بكا رداء
جمال وعمو ذا عن الطلعة هلال وروحة عن تو وجلا لو
لقد اجهش اليه عند الاستسلام في حاج له ثاث خفاف
المؤنة عليه منها اضيانا من قامت عنه عن ذلك المناظرة على
مال المصادرة فكأين على خلاف حاجة ونقيض مسئلته
الهايا النار الحرة في صدره ومضا عنه لثقل المحنة على ظهره
فعل الموتور عا لا شوى له ولا بقيا معه وعمد هو وفايق الى
اخيه عبد الملك بن نوح وهو اصغر منه سنا واضعف ركنا
فاقاماه مقامه وسدّاه مكانه وماج الناس بعضهم في بعض

للفتنة الثاغرة والاحوال المتنافرة ونبذ الناس بالامير سيف الدولة
قد خيّم بقطرة زاغول فكروا على ادراجهم كاليعافير الراعية
راعتها الفوارس واحاطت بها الكلاب النواهس حتى اخذوا
قرارهم بمرو وارسل الامير سيف الدولة الى الكافلين بالتدبير
ينهى اليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من اذالة لحمة واضاعة
الحق والحرمة غير ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام و
المسلمين ولا متهيبين للاحدوثة الشنعاء على السنة الذاكرين
مرّ الى على دهر الداهرين وامتدت المراجعة بينهم في الحادث
الكارث وهما يخادعانه عن انتهاز الفرصة فيهما واهتبال
الغرة منهما تطميعا له عن صاحبهما في تجديد الرعاية ومزيد الولاية
وكلما همّ بالاحجام على وجه الاحترام طالبته سعادة الجدّ
بالاقدام وحرضته على الانتقام للدين والاسلام ثم رأى ان يزحف
عن مناخه الى ظاهر مرو ليكون لطافة الصلح وجاها او سفاهة
السيف شفاها ولما انتامع القوم باقباله دبّ الفشل في تضاعيف
احشائهم وسرى الوهل في تفاريق اعضائهم واستطار الخوف
في مزاج دمائهم ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا

قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين

الا ان ينتقم منهم بسيف الدولة جزاء عن فعلهم الفظيع و

خطبهم الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصبّ عليهم صبّ

عزالي الغيث بنوء المريخ من غير انه غيث قطره عيث وغيمه

جثوم ضيم وسحائبه عذاب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى

وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وبرز فايق وبكتوزون

بلواحقهما عبد الملك بن نوح وسائر اهل العسكر الى ظاهر مرو

مقابلين لعسكر الامير سيف الدولة يعلنون جلادة ويسرون بلادة

ويقدمون ظاهر العتو ويحجمون خيفة الحرب الزبون فقد ضاقت عليهم

الارض بما رحبت فجيوب الاقطار عليهم مزورة وذيول الخذلان

عليهم مجرورة وبوارح الادبار وجوارح الدمار من كل

اوب وصوب اليهم محشودة وظل القوم على علم بانهم يمرون

على الدمار ويتهافتون تهافت الفراش في النار ويقتلون الانصال

بسيوف الانصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي

المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار وتردد السفراء بينهم وبين الامير

سيف الدولة في مواضعة على سلم يسلمون معها في العاجل

في العاجل من شدة بأسه ويفقدون بهلاك مرارة كأسه
فأحسن الأمير سيف الدولة بإجابتهم إلى مواضعتهم على علمه
باستبطانهم للختل والحيلة واستشعارهم للغدر والخديعة
إلزاماً للحجة وطمساً على الشبهة وإعذاراً إلى الكافة وبراءة من
البغي في دفع المكافأة فما كان إلا أن قوضت للرحيل خيامه
ونشرت للقفول أعلامه حتى ثاروا بأشر القوم على أثره لا تهيبا
عسكره يظنون بأنفسهم الظنون وإنما يتعجلون المنون ويدوسون
إذ ناب الأراقم لو كانوا يشعرون ولما دنا الأمير سيف الدولة
ركوبهم مقطعة الضلال واقتحامهم مسبعة الآجال معلقين
خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع الكاذب لا يثنيهم حلماؤهم
عن السفه والتخبط ولا يحميهم كبراؤهم عن التهور والتورط علما
أن ذلك أمر يراد وداء خالطه البغي والعناد وأيقن أن سهم
الفساد مغمود وأن السفيه إذا المرينة مأمود وأمر بالثائرين فجاس
إليهم من حواشي الجيوش من طبقهم بالهضو والرحض و
أضجعوهم إلا من شاء الله على صعيد من الأرض واستخار الله
في الكر على بغاة السوء محاكياً أباهم إلى البيض القواطع و

مُن لبانات الرماح النوازع ومسجداً على الانتصاف منهم بشهادات
السيوف اللوامع واقبل فرتّب الجيوش قلباً كثهلان وميمنة كرضوى
وميسرة كابان وحصّن المصاف بزهاء ماش من فيلة كرعن الجبال
او ذكر السحاب الثقال مغشاة بتجافيف لم يعق منها غير حدق
النواظر وحراب الانياب الفواقر يهول سائسها عليها عرب نهف
كالبروق الخواطف وصفادات كالرعود القواصف وقد نشرت
عليها التماثيل السود كانها الاساود والاسود يخيّل اضطراب الرياح
فيها انها تزحف للالتهام او تنقض لاختطاف الهام وتعالت
عليها اطراف العوامل كانها آجام السواحل تأويها شياطين
الانس فرساناً وعفاريت الترك والهند مرداً وشباناً بيض
عليها سابغات داود كصفائح الماء تجلوها الشمس سافرة
وتزهاها الشمال سائرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام فظاهروا
عليها بالقلوب حرصاً على الانتقام فهم يأنسون بمباشرة القتال
ومشاورة الاقتال واستثارة المنايا عن مرابض الآجال
أنس العيون باناسيها الباصرة والقلوب بامانيها الخاطرة و
وقف الامير سيف الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل

لابني ناصر الدين سبكتكين وعمه بغراجق فكانما عناه ابو فراس بقوله

علونا دوشنا باشد منه :: واثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى :: ظننت البر بحرا من سلاح

والسنة من العذبات حمر :: تخاطبنا بافواه الرياح

واروع جيشه ليل بهيم :: وغرته عمود للصباح

صفوح عند قدرته كريم :: قليل الصفح ما بين الصفاح

فكان ثباته للقلب قلبا :: وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيئة وافرة وهيبة حاضرة فكادت
الارض تمور والجبال تسير والنهار الباهر يحول والفلك الدائر يزول
ويزول وتزلزل القوم باقدامه واقبال الويته واعلامه فقامت عليهم
القيامة واستفاضت فيهم الحسرة والندامة واقبل بعضهم على
بعض يتلاومون على ما ارتكبوه من الامر الامر وجنوه من الصيلم الاد
وحفزهم حافز الضرورة عن المشورة ففزعوا الى الاحتشاد
وبعثوا بالركوب الى القواد والافراد وبرزوا من جدران المدينة
في افواف واصناف غير يوم الزينة وهم اكثر ما كانوا قط في معركة
يحشر من اطراف خراسان وما وراء النهر كل فارس وراجل

وحامل عضب او عاسل سوي من استبقتهم تلك الدولة من كل
فحل باذل وبطل باسل وشجاع مقاتل واقاموا الصفوف على الموازاة
قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع السيل وميسرة مشحونة
بالشاهب الخيل وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد
المنتشر ضربا بازيل الروس عن الغواتق وبين الزنود عن المرافق و
طعنا يهتك ودايع الصدور ويرد مشارع الغموم والسرور
رشقا يصيب شواكل الابصار ويطلب وراء الفقار مضجع القرار
واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت الجباه وتقطعت
الانفاس وتحيرت الفرسان والافراس واغبرت الآفاق واحمرت
الحماليق والاحداق وخاض الامير سيف الدولة غمرة الحرب
يجذب بالافواه مطالع الاعناق ويختطف بالارماح ودايع
الارواح ويقص بالاسياف مجامع الاكتاف حتى رويت الارض
من نزال الحلوق وغرقت الحوامي في نواعر العروق ودامت
حالها في الاحتدام والاضطرام والافتراس بانياب الحمام
من حيث استقلت الشمس اكليلا على الجبل الى ان نفضت
ورسا على الاصل فاضطرب القوم ضجة من جز المناصل و

وضيقا بوخز العوالي والعوامل * وتداعوا بحملة تكشف عنهم غمة
القتال بفيصل الادبار والاقبال وتعاضدوا على الحملة المنكرة فطرحوا الميمنة على الميسرة
وهم يظنون وراء ذلك ظفرا ويخطبون من بنات الاماني ابكارا و
عونا وابى الله الا ان يعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما ستروه
حين ركبوا من فرق الى النعمة ما ركبوه اخفارا لذمته وانكارا لحرمته
واذالة لحشمته واضاعة لحق نعمته والهم الامير سيف الدولة
ان يزحف اليهم بسواد موقفه فلم يكن الا صدمة واحدة
حتى زلت الاقدام عن مقارها وتهاوت الرقاب عن
مزارها وجعلت تتساقط اشخاص الالوية والمطارد وتبرد
النفوس عن ضرب السيوف البوارد واستمرت الهزيمة بالطغام عند
اعتكار الظلام * واقتحام جيش حام قطار واين الاقطار
كل مطار وسفت بهم سافية الدمار والادبار فلم يلتق
منهم بعدها اثنان عند تنازل الاقران وتناوب الضراب
والطعان ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله
بالظالمين وجفل عبد الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق
في اتباعه وانبذ بكتوزون الى نيسابور في اشياعه

وابو القاسم بن سيمجور يلي قهستان وقد صار اخرق مزق
وعاد واشتد مرة واصبح سيف الدولة قد انجز الله له وعده
ونصر جنده وجد واسعد على رغم المعاندين جده واعلى
يده واورى زنده وساق اليه هدية الملك على غير مهر سوى
الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق وورث دولة آل سامان
وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة وولى ابن
بكتوزون وابا القاسم السيمجوري عن النجم ثانيا والتحدث
بالالتقاء آنفا فانحدر الى طوس في البحر الاخضر من رجاله
وافياه وطار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود جرجان و
قفى السلطان على اثره بارسلان الجاذب فجعل يطرده طرد
الشهب اشخاص العفاريت حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه
السلطان ناحية طوس ورتبه بها فيمن ضم اليه من قواده
وسار الى هراة مطالعا لاعمالها ومجددا للعهد باحوالها فلم
ينشب بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه اليها ان كر الى نيسابور
فملكها ثانيا يرى انه ناضل عن دولة قد حم حمامها وانقضت
ايامها وناحت عليها اصداؤها وهامها فلم تزد على ان

جشّم السلطان كلفة الكر عليه قبل أن ألمت به قعدته أو لحقت
على طرفه لبدته فجفل عن نيسابور على سمت أبيورد وشدّ
السلطان عليه بالطلب فركب المفازة إلى مرو مبقيا بالوجاء على
الحيوة ومستظهرا بالنجاء على النجاة وخلص إلى مرو الروذ
فيمن عاثتهم قرابة المراكب في قوة الصبر على وعثاء تلك
المهارب وراموا أن يتملكها ويحتجز بها فمانعه أهلها موالاة
للسلطان وشكرا لما وسعهم من العدل والإحسان فشنّ عليهم
غارة شعواء وخبطهم السيف خبط عشواء وركب مفازة
آمل حتى عبر النهر إلى بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون
وأصحابه سرّب السلطان أرسلان الجاذب والي طوس
في جيش إلى قهستان لنفضها عن أبي القاسم بن سيمجور
إذ كان يظن الظنون في تدبيره ويطمع في الارتياش
عن تحسيره فواقعه بها وطرده إلى نواحي طبسين وولّى
السلطان أخاه الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين قيادة الجيوش
بخراسان ورتّبه بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم
الزمان وامتدّ إلى بلخ مستقرا به ناصر الدين فاتخذها حضرة

الملك ودار السلام فلما انتهى السلطان الى بعض حدود مرو الروذ
منصرفه اليها ركب على رسم التصيد في خف من العدد و
معه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقائد من قواد ابيه
يعرف بنوشتكين كاج قد وتره احساسه بميل امره على يد الاغر
اذ كان كاحد رفقائه في الاثبات والاطلاق والاحسان
والارفاق فبينا السلطان في شرح الاقتناص اذ حانت منه التفاتة
فاذا به قابضا على قبيعة سيفه يروم انتضاءه وقد دلس
وجه اسمعيل بطرفه يطلب ايماءه وصرح السلطان انكار
اسمعيل عليه بين دلائل رمزه وايماضه وشواهد ارتياعه
وامتعاضه غير ان استشارته اياه فيما حجا قد فرشت له
بساط التهمة وجرحت منه جارحة الثقة وبادر السلطان
الى مضربه وقد امر بالاحتياط عليه في وقته وحكم عليه
خواص غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه
وتناثرت عليه اوصاله واجزاؤه ثم دعا اسمعيل فادناه
بعد ذلك وجدد العلم عما ابداه الخائن الحائن من خيانة سره وغدره
وجرت مفاوضات ومراسلات اقتضى اخرها ان يستوثق منه

لنفسه وملكه اذ كان لا يلتقي سيفان في غمدة ولا يجتمع فحلان في
شول وبلغني ان السلطان بعد استنزاله اياه عن القلعة بغزنة
بسط منه في بعض مجالس انسه وباحثه بلسان الاستبراح عند
حث السقاة عما كان ينويه في معاملته ان لو ملك من امره ما ملكه
هو منه فحملته سلامة صدره ونشوة خمره على ان قال كان
رائي فيك ان أوعزبك الى بعض القلاع موسعا عليك فيما
تقترحه من دار واغلة وجوار ورزق على قدر الكفاية
دارّ فلما ارتاب السلطان عند المحاباة عامله بعين ما نواه و
قابله بجنس ما ابداه واستودعه والي الجوزجان ابا الحارث
ممكنا مما يشتهيه ممتعا بمثل ما كان ينويه فلله هذا الفعال الذي
طرز ديباجة الكرم وغرة في مساعي ملوك الامم وقد يستغرب
هذا الاسجال من وجه وان كان لا يتبدع من اخلاق ان
هناك عاطفة القربى والرحم ولكن الشان في الجناة الذين
تعلق برقابهم الاجرام الفادحة والجنايات الفاحشة كيف
يسلط فيهم رأيه على هواه ويستبقي الجاني بما جنا فلو يسمع باعف
منه في الجنايات سيفا ولا احسن على فوت الزلات صبرا و

واحتج لهذه الخصلة الفاضلة بان الملك الحازم من يسلب الجناة
في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه او بمثله عند رضاه
وجرح المال يوسى بالتعويض والاخلاف فاما النفوس فليس لاتلافها
تلاف

ذكر الخلع التي افاضها القادر بالله امير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وامين الملة

اوجب القادر بالله امير المؤمنين له خلعا لم يسمع
بمثلها محمولة من دار الخلافة ولقبه في كتابه بيمين الدولة وامين الملة
لقبا كان مصونا في صدف الشرف لم ينله قط ايدي الغاصة على كثرة
الطلاب وتنافس الملوك في الالقاب فتبوء سرير الملك واجتاب خلعة
المجد واذاع شعار الطاعة لامير المؤمنين خليفة رسول رب
العالمين وقام بين يديه امراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة واجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس
وامر لكل منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه اوليائه وحاشيته
سحابة يومه من روائع الخلع والصلات ونفائس الاحبية و
الكرامات بما لم يتسع لمثله ملك مالك ولم يف ببعضه ضمير امير و
استجابت خراسان للامر وفرعت منابرها بذكره واتسقت

الامور عن اخرها فی کنف ایالته واستوسقت الاعمال فی ضمن کفایته
وفرض علی نفسه فی کل عام غزوة فی الهند ينصر کذلک
قال الله تعالی فی محکم کتابه یا ایها الذین آمنوا ان تنصروا الله
ينصرکم ویثبت اقدامکم

ذکر انصراف عبد الملک بن نوح الی بخارا

ولما وصل عبد الملک بن نوح الی بخارا
فی الفل ومعه فایق وتلاحق به بکتوزون فی اصحابه واولیاء
عبد الملک فی مصامته طمعوا انفا فی الاستقلال وتکهنوا
لانفسهم بطالع الاقبال وتحدثوا بالاحتشاد لانف القتال
واخترم من بینهم فایق فی شعبان سنة تسع وثمانین وثلثمائة و
هو وجه النزهة وطراز الحلة وعمدة الجملة والملقب بعمید الدولة
فتمکن الانخزال من صدورهم وسرى الانحلال فی امورهم
وانحدر ایلک الخان الی باب بخارا يظهر لعبد الملک وسایر نجاره
واجناده موالاة خداع واحتیال وممالاة استدراج و
امتیاز وهم یظنون به استظهارا علی اعدائهم واحتیالا لشد عرائهم مغرورین عن
الاستبصار والاحتراس عن حبایل الاوتار حتی آنسهم بلطائف
بره واقباله واطمعهم بزخارف اقواله وافعاله ورکب الیه

بكتوزون وينالتكين الفايقي وساير قواد عبد الملك صباح يوم
فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم والقبض على اصحابهم وذويهم
واستلاب اسلحتهم واسبابهم فلم ينج منهم الا الفارد الشارد
والنادر المبادر فبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة
وحرته كليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء حيلة
ودخل ايلك بخارا يوم الثلثاء العاشر من ذي القعدة سنة
تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار الامارة وبث عليه عيونه
الطلب وطلايع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند فمات
بها وطفيت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما وراء النهر و
اطراف خراسان فصارت كان لم تغن بالامس كداب الدول الماضية
في القرون الخالية إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابي ابراهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن
ايلك الخان من بخارا قبض على ابي الحارث المكحول وعبد الملك

١٦٣

وابي ابراهيم وابي يعقوب وابي صالح بني نوح بن منصور الرضي

وعلى اعمامهم ابي زكريا وابي سليمان وابي صالح الغازي وغيرهم

من الاروقة السامانية وامر باعتقالهم ورسم افراد الاخوة منهم

في حجرة على حدة احتياطا لنفسه بتفريق ذلك بينهم عن تمكنهم

من اقتضاب الحيل واختلاق الاراجيف وارتقاب الفرص واحتال

ابو ابراهيم المنتصر للتخلص من معتقله في زي جارية كانت

تنتابهم لمطالعة احوالهم ومراعاة اقواتهم فكانت حاله في

الخلاص موافقة لحال الكميت حين استعار ثياب طلته و

انسل عن غمد الاعتقال بمهجته وانشد يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ... على الرغم من تلك النوابح والمشلي

علي ثياب الغانيات وتحتها ... صريمة راي اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى

ان ايس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل

الشهاب الثاقب متجردا للانتصار مستعينا بالله على درك الثار

وتلاحق به من ند وعاث وانجد وغار من بقايا القواد والاجناد

السامانية في اطراف خراسان حتى اجتمع شمله وكثف

خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارا فبيّت الخانية

بها تحت الملاحف وشغلهم بخفق السيوف البوارق عن مجاذبة

الاحلام الطوارق وقبض على جعفرتكين وعلى سبعة عشر نفسا

من اعيان القواد الخانية وحملهم في وثاق الاسر الى الجرجانية وافلت

الباقون بجريعة الاذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان اكتافهم

يحثهم حث الشمال قزع الخريف وطرحهم الى سمرقند وما

يليها فاقترب مقتفيا آثارهم وكاسعا ادبارهم ووافق بقنطرة كوهك

تكين خان في عسكر جرار نايبا عن ايلك في حراسة سمرقند فانتدب

لمناجزته واستعان بالغز وساير اصحابه على ممارسته فصب ارسلان

له وجها وقاحا واضرم عليه الارض كفاحا فولاه ظهر الادبار

والتقا بعوذة الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم ورموا

بتلك الانفال لحوالهم وعاد ابو ابراهيم المنتصر الى بخارا فاستبشر اهلها

بمعاودته على مراده وبلغ ايلك خبره فجمع لحاشر الترك وصمد

صمده في العدد الدثر فكر ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه

الاحتياط عند ذلك العبور الى اهل الشط فوافاها وجبا اقطاعها وصابه

بعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها نسا [illegible] عنها

قاصداً قصد نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين
فالتقيا على ظاهر نيسابور على فضاء بين نُوحي وبُشتي قريتين على اربع فراسخ
من نيسابور وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع
الاول سنة احدى وتسعين وثلثمائة ودارت عليهما رحى الحرب
يفصلون بالبيض البواتر ما بين الطلى والعواتق ويضربون مفارق الهام
ضرب القدار نقيعة القدام ولما اشتدت وطأة الحرب على صحبها فارت
كاسها على شربها وتراتفت جموع ابي ابراهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش
ابى المظفر اقتضاهم الاحتياط ان تحيزوا الى جانب هراة انتظارا
للمدد واستشرافاً للمامول صنع الله في الغد فخبوا ظهور الخيل بين
ذيول الليل حتى شابت عليهم لمته بين حدفد البوزجان و
تمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه من شذاذ العسكر الجمع الكثير و
الجم الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فاستركض خيله
من غير ان يتربص نهاره ليله وساير الجنب يطوي الارض كطي
السجل للكتب حتى نفض على نيسابور انقضاض نبي الهوى على نبات
للماء ولما انا مع المنتصر باقباله انحدر الى اسفراين في غمار رجاله
وبث اصحابه في الرساتيق لجباية اموالها وازاحة اطماع حشمه

بها فانتجعه الطلب للحاجب شمس المعالي قابوس بن وشمكير مستصرخا اياه
ومؤمّلا غوثه وجدواه فتلقاه بكل ما اغنا ومهّد له ذراه واعطاه
حتى ارضاه وكان مما امر بحمله اليه صفقة واحدة عشرون فرسا
بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق الجياد
بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة و
ثلثون اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة احمالا واثقالا من البسط
النادرة والفرش الفاخرة ومن حصر طبرستان وسائر الطرائف
المجموعة في الخزائن بجرجان واضيف الى ذلك الف الف درهم وثلثون
الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديابيج الشترية والسقلاطونيات
العضدية والحلل الفخرية والخز الطاقية وسائر الثياب المصرية وامر
لاهل عسكره بعشرين الفا معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار
على المنتصر بقصد الري اذ كانت معرضة لقصادها بتخاذل اسبابها
وتواكل اوليائها واشتجار الفتن والاحن بين الذائدين عن فنائها على
ان عزّه بولديه دارا ومنوجهر في جيوش الجيل والديلم ووجوه
الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص تلك الولاية وليكون
ما ينوبه من معاودة خراسان عن ظهر الكفاية فقبل الاشارة و

وقدم الاستخارة وسار حتى خيم بظاهر الري فاحتل اهلها امنه
بامّ الرئيس على ان توقف بالري افلا ذكر هاهنا اخوان قبالة المنتصر و
دس الكفلاء تلك الدولة الى ارسلان بالو وابي القاسم بن سيمجور
وغيرهما من اولياء المنتصر من اطمعهم في مال يحمل اليهم سرا على ان
يتنفسوا عنهم عن المنتصر بوجه من وجوه الالطاف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا في تأميلهم ونصحوا المنتصر بان قد مثلك من يجله
ملوك الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة اخطارهم ليجل عن مناواة
قوم يدعون فيك قرابة ويفترضون لك طاعة ومهابة موالاة
لمن يجر النار الى قرصه بالتعويل عليك ومغزاه ان يحترش الافعى
بيديك فله الغنم ان قدرت وعليك الغرم ان عجزت فلفتوا
المنتصر عن رأيه وزينوا له الملك بخراسان من ورائه فارتحل من باب
الري يريد الدامغان وانفرد ولدا شمس المعالي عنه عابرين الى
جرجان فنقض نجم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك التقدير واذا
اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وامتد
المنتصر طلقا الى نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر فاشفق من
زلة القدم كالتي حدثت قبل فاحتاط بالانحياز الى بوزجان و

دخل المنتصر نيسابور في شوال سنة احدى وتسعين وثلثمائة
وبث عماله في جباية الاموال ومطالبة من ظفر بهم من العمال و
استمد صاحب الجيش السلطاني عين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير
التونتاش والي هراة البدار اليه في معظم الجنود من شجعان
الترك وسرعان الهنود حتى اذا استظهر بذوي الغناء في حرة حرارة
الهيجاء كر عائدا الى نيسابور وتلقاهم المنتصر بارسلان بالو وابي نصر بن
محمود وابي القاسم بن سيمجور فالتقوا على حرب تحطمت فيها
الصفاح المشهورة وتقصدت الرماح المطرورة وعريت عند
لكواكب المستورة واشرقت شموس السيوف بعدما افلت في
مغارب اغمادها ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على ادبارهم
نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا ودخل صاحب الجيش ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي على
زوجها الكفي واقيمت له النثارات كما تنهال اوى النجوم السايرة و
تتهادى الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت ابيورد والطلب على اثره
حتى وصل الى جرجان ولما التأم مع الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير
نبا به ذرعا بزهاء الفي رجل من نجدة الاكراد فالجأوه الى الارتحال

وآيسوه من طلب المحال فكرّ على أدراجه تائهاً في الغي وانما ترك الرأي
بظاهر الري وقد كان المنتصر يجد على ارسلان بالوتشجه واستبداده
في المطالب بين يديه ومنازعته الرأي فيما ينحوه ومراجعته القول
في كل ما تقوم به قوة وانضاف الى ذاك اتهامه اياه بالتخاذل في
الحرب التي انهزم فيها عن وجه صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن
ناصر الدين لمناسبته على ابي القاسم السيمجوري بمكانته من
اختصاصه وايثاره وغيرته على الشركة الواقعة بينهما في محله ومقداره
فحمله ما احتشى من فاء الكرب على التشفي باراقة دمه والاستراحة
الى انتهاك روحه ففتك به فتكة انست فتكات الاسلام وشفت
نفسه من الداء العقام وتجمّع اهل عسكره لانكار ما فعل وأبى لهم
وقد سبق السيف العذل فكان كما قيل محا السيف ما قال
ابن دارة اجمعا . وقام ابو القاسم بن سيمجور مصانعاً لهم عن
المنتصر بلسان المعتذر حتى خمد التهابهم وسكن هيجهم و
اضطرابهم وتوامروا على قصد سرخس للاستظهار بزعيمهما
المعروف ابو بالفقيه اذ كان المنتصر قد رغب في ارفاده وانجاده
وايثاره بعدّته وعتاده فركبوا المفاز اليها على طريق ابيورد

حتى وردها وجبوا ما لها وارتاشوا بما سمح الزعيم بها وحين علم
صاحب الجيش باجتماعهم على مضغ الاباطيل بينهم دلف اليهم
مرتبيا بوده في سراة الكماة الطرد ثم عن شرعية الطمع وارعاجهم
عن حضانة الامل ووصل السير السري حتى اشرف على مرخ في
الميثة المنثورة والميسة الموفودة وبرز المنتصر الى ظاهرها لخيمه
بازائه واستعد للقائه وتجاثيا للقتال فاستك سمع الهواء من
قرع الحديد بالحديد ورويت صدور المواضي من موارد
الوريد وبلغ كل من الفريقين غاية الامكان في منازلة الاقران و
مناوشة الضراب والطعان محاجة عن حوزة الرقاب وتفاديا عن سوء
الذكر على تناسخ الاحقاب غير ان قضاء الله اغلب وامره انفذ
وله الحكم في تبديل الابدال وتصريف الاحوال ونقل الاملاك
من وال الى وال فهبت لصاحب الجيش قبول الاقبال فتخرق
مصف المنتصر عن هزيمة عوابس الوجوه وجرحى بانياب المكروه
ولم ينشب صاحب الجيش ابو المظفر ان اتى بعض العرب بابي القاسم علي
في قلادة من الوهن على بقية من الرمق واردف بتوبة تاشر الحيا
وكان براه المنتصر جلدة ما بين الانف والحا وانضمت حبالة الاسر

على معظم ذلك العسكر فحملوا الى غزنة في الاصفاد مقرنين و
سار المنتصر سير المضطر لا يرى وزرا غير اعتساف المسالك وارتكاب
المهالك على جمالة لا يتميز فيها المملوك عن المالك وقفل صاحب
الجيش ابو المظفر وقد اعلى الله كعبه ورفع قدره واطعمه نصره و
الطاربين الخافقين ذكره وابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
انفسه فيه بيت ذكر ما اتيح له من هذا الفتح الرائع منظره الشايع في
الافاق خبره ٭ تبلجت الايام عن غرة الدهر ٭ وحلت باهل
البغي قاصمة الظهر ٭ وولى بنو الادبار ادبارهم ٭ وقد تحكم
فيهم صاحب الدهر بالقهر ٭ وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا
الى الملك المنصور سيدنا نصر ٭ غياث الورى شمس الزمان وبدره
ومن هو بالعلياء اولى اولى الامر ٭ فيالك من فتح غدا زينة
وواسطة الدنيا وفائدة العصر ٭ ابى الله الا ان نصر نصر ورفعه
على قمة العيوق او هامة البدر ٭ وملكه صدر السرير كانه لنا فلك
بالبحر او صدره بحر ٭ وخوله دون الملوك محاسنا ٭
تبرز على الشمس المنيرة والقطر ٭ اذا ذكرت فاح الندى بذكرها
كما فاح اذكى الند في وهج الجمر ٭ فتى السن كهل العلم والراي والحجى

يعم بنى الامال بالنائل الغمر :: له همة لو حبت علوها

حبت الثريا والثرى ابدا ترى :: غدا راعيا للمسلمين وناصرا

له الله داع قد تكفل بالنصر :: الا ايها الملك الذى ترك العدا

عباديد بين القتل والكسر والاسر :: قدمت قدوم الغيث عن مقدم

فحليت وجه الدهر بالحسن والبشر :: الست ترى كتب الربيع ورسله

يقولون هذا اكرم الربيع على الاثر :: نسيم نسيب للحيوة بلطفه

تجر فويق الارض اردية العطر :: وترب بانفاس الربيع معنبر

فيالك من طيب ويالك من نشر :: وغيم يحاكى راحتيك كانه

على الملك والكافور يهطل بالجمر :: فدم وخذ بالراح رفهك

لفى تعب فى وقعة البيض والسمر :: ودم لاقتناء الملك فى اكمل المنى

وفى ارفع العليا وفى اطول العمر :: وانشدنى ابو سعيد بن دوست

لنفسه فيه للامير المظفر العالم العادل فينا ابى المظفر نصر كرم

وشجاعة وسخاء فى وفاء ودولة مع نصرة ومعال لو رامها

تحت نصر يوم فخر اعيت على تحت نصره فيه تقطع الخطوب

ونفرتى وبه تندفع الكروب ونصرى :: وانتبذ الركض بالمنتصر الى

محال الاتراك الغزية ولهم صغو الى الدولة السامانية فاخذتهم

الزمة من خذلانه وحركتهم الحمية لمعونته على شانه وتذاكروا
بينهم شرف آل سامان وما تعرفوه قديما من بركات ذلك البيت القديم
والشرف العميم فما مصعدا حتى لحق بايلك الخان وذلك في
شوال سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وعندها حلف ايلك الاتصال
من المنتصر في جيوش الترك بنفسه في طلب الثار استعادا للثار حتى
اناخ بحدود سمرقند وتناذر الغزية باقدامه وتوامروا بينهم على
بياته فتجمعوا للركض عليه فحثوا الخيل تحت الليل حتى كادت لا تمس
الارض بوطي اقدامها ولا تشعر النجوم باشخاص الوثبها واعلامها
حتى اوقعوا به وانتهبوا جل سواده وقبضوا على جلة قواده
وانقلبوا بما غنموه الى اوطانهم عند حصول البغية فاستاثروا
على المنتصر بالاسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر تنازعهم الامر
بينهم في موالاتهم ايلك عليه وافراجهم عن الاسرى تقربا اليه
فرابه ذلك من امرهم وبيتهم لم تاخذه الارض معها بقرار
ولم يكتحل عينه عندها بغرار فاختار من جريدته قرابة
سبعمائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف على
المعابر فاذا النهر جامد واهل الشط في البعد امد ففرشوا

النهر ريثا تبان الامر حتى امكنهم من العبور وتبعه الطلب فنجاهم
خطر العبر من قصد المنتصر وارسل هو عند قراره بآمل رسولا
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه
واشتداد الامر لانثيال العداة اليه وانه له بحيث يرتبه فيه طاعة
له واخلاصا في هواه واظهر الانقطاع الى كنف قبوله والاشبال له
والاشفاق الى معونته بماله ورجاله وامتد من آمل الشط الى
سواد مرو احتراسا من معرة الترك في العبور على الاطواف
والفلك وارسل الى ابي جعفر المعروف بخواهرزاده وكان
رجلا من جملة الرعاع رفعه الزمان في دولة آل سامان يستميحه المعونة
بما يفضل عن سعة يده من مال وسلاح فرد الرسول على غير وجه
الحرية والارتياح لحكم الانانية ولم يرض بالرد حتى خرج
اليه مقاتلا وبالجفاء مقابلا فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت
جمعه جملة وتردى منهزما ابو جعفر حتى وافاهم في شهور سنة
اربع وتسعين وثلثمائة واوجب السلطان اكرام رسوله وتحقيق
مأموله وصلة بصدر من المال يجبر خلته وخاطب ابن
خواهرزاده بخدمته وتقمص مرضاته وترك الانحراف عن مراده

عن مراده فاضطره الامر الى طاعته وتقديم الاعتذار من مخالفته

حين شاعت سُبّة المحل عليه واستطارت شادخة اللوم بمجده   استطالت

وقد كان ابو نصر نصر بن محمود الحاجب لما تسامع بقدوم راية   محمود

المنتصر مالاه على صاحبه واظهر الانقطاع الى جانبه واقام له

الخطبة بنسا مظهرا طاعته ومستفرغا في نصرته جهده واستطاعته

ولما احس اهل نسا برأي ابي نصر في اتباع راية الخلافة اشفقوا على

انفسهم من عاقبة الاتهام بموالاته والاشتراك في جناياته وكاتبوا

خوارزمشاه مستمدين عليه فانهض ابا الفضل الحاجب

احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره وكفاية امره ومال ابن

محمود الى المنتصر فتضافرت العدة وتوافرت العُدة وصدر الى

الخرستان من نسا فاستقوا وناهضهم ابو الفضل في

رجال خوارزمشاه فاتفق التقاؤهم على الحرب ليلا بمرئى

من النجوم الثوابت حيث لا يدري الضارب مضروبه و

لا يبصر الراكب مركوبه فاختلط الفارس بالراجل والتارس

بالنابل وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل شر

وتطاعنوا سلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل :.

وتصدّع شمل الفريقين قبل ان صار في الليل صباحه ونفض
النجم على الغرب وشاحه فلم يشعر احد بما جنته يد
الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام حتى استفاض ضوء
النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة ابي العباس تاش
الحاجب صريع وتفرق الباقون عباديد بين اقطار المهامه
والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فمانعه اهلها حذر المحنة و
خيفة الهرج والفتنة فانثنى على ادراجه في شرذمة من اصحابه
يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود سرخس
فاقام هناك ريثما تلاحق الفل وسار حتى عبر النهر من ساحل
قطان وبرز شحنة بخارا في طلبه وسدّوا عليه وجوه مهربه
فركب عزيمة الرجال في بيادة القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا
بالدبابير والحراب واغمادا للسيوف في قراب الرقاب فجدّ
المنتصر في الامر واشتد وبحا براسه ولم يكد وصار القوم الى
دبوسية من الصغد مستنجدين بمن بها من العمال وتفاريق
الرجال ووقع المنتصر الى ثغر النور من بخارا وركض منها
عليهم ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واحتناك واصطلام

ولجتاث وهايله المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند
فاتاه في ثلثة الاف رجل وتقرب اليه مشايخ بخارا بتلقائه
غلمة على سبيل بر وخدمة ووصلوا بها اكرامات تضاهيها ونثارات
تدل على اخلاصهم فيها وتوافى اليه الغزية فاشتعلت جذوته
وتراجعت قوته ولما سمع ايلك الخان باحتداد شوكته واشتداد
وطأته زحف اليه في اجلاس الذكور من ذيالات الترك و
اشتبكت الحرب بينهم بقرية بونبند من حد سمرقند حتى نفدت
النبال وتكسرت النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخان مقامه
وانفض عنه اقوامه فاستفتح الغزية في طلاب الاسلاب حتى بردت
ايديهم بالسبايا والنهاب والغنايم الرغاب وذلك في شعبان
سنة اربع وتسعين وثلثمائة وعاود الخان ارض الترك
فضم النشر ونادى بحشر ثم كر على ثاره وبث على المنتصر شر ناره
ووافق اقباله تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه على عادتهم
في كل ما غنموه واستانف الحرب على فضاء بين قرسينى
دراك وخاوس من اسروشنة فاستامن المعروف
بابى الحسين بوطاق الى الخان في زهاء خمسة الاف رجل

من رفقائه عند انقضاء جمرة المصاع واشتداد فورات القراع و
اضطر المنتصر الى الانهزام وحكم الخان فى اهل عسكره سيوف
الانتقام حتى رويت الارض من دمائهم وشبعت النسور من
اشلائهم ومضى المنتصر الى شط جيحون فعبره على الجمد لعدم السفاين
وخلق المعابر ومضى الى ابن خوب من ارض الجوزجان فاحترسها
من ركضة الخان وامر باشتياق الدواب الراعية بها واقتسامها
بين اهل جملته وركب المفازة الى قنطرة زاغول ولما بلغ السلطان
يمين الدولة وامين الملة خبره واسرع الانحدار الى بلخ لاحتجاز
عن تفاقم امره واستفحاله واتبعه بفريغون بن محمد فى
اربعين قائدا من قواده لطرد سواده وحصد فاده فاعجزهم
المنتصر وسار الى الجنابذ من قهستان ضرورة اذ كانت جيوب
الآفاق عليه مزرورة بحيث ام شهرت عليه السيوف وانى الم
احدقت به الحتوف ودلف اليه صاحب الجيش ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين فى طغايجق والى سرخس وارسلان الجاذب
والى طوس يحثون الظهور فى الطلب ويسترقون علالتها بين الركض
والخبب ففاتهم الى جومند ومنها الى بسطام فرفا شمس المعالى قابوس

قابوس بن وشمكير بزهاء المئين من الاكراد التاشجانية فانجحوا عنها الى
بيادر راجعا بالذلول على مزلقة الانحدار ولما ضاقت عليه
المذاهب واحاطت به المعاطب بادر بالمسير الى كورة نسا بدار
من لا يمكث ببلد ولا يوطئ الارض جنب قرار وتلقاه ابن
سرخك الساماني بكتاب يزين له الانتقال اليه لمضامنته على
ايلك الخان موازرته وموافاته ومطابقته للخروج عليه ومواطاة فاوعز
نفسه بتقديم اجابته طمعا في وفائه وتاميلا لعونه على ذفائه فركب
الخطار وسار حتى اذا بلغ برخماد من مفازة امل سبقا خيله الى
الشط فوافق ذلك جمود جيحون فاغتنموا مفارقته خلاصا مما
منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار ووصل شهر
الليل براب النهار وتشاوروا في العبور الى سليمان الحاجب وصلى
حاجبي ايلك الخان فعبروا اليهما وعرفوهما ان الساماني
بالقرب وان المحنق قد تخطته والحوادث قد طحنته فهو
خلسة الطامع ونهزة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر
ابو ابراهيم المنتصر الا بالخيل مطلة عليه فطاردهم ساعة
ثم ولاهم ظهر الفرار وقبض على اخويه وخاصته مما باطبيه

وحملوا الى ابوز كداسو مي فاحل المنتصر هربه جملة ابن بهيج الاعرابي
من جملة السيارة في تلك المفازة ليقضي الله امرا كان مفعولا و
كان المعروف بافروى نبراد من جملة السلطان يمين الدولة و
امين الملة فيهم فقدوا وصابهم بالقعود له بكل مرصد واذكاء العيون
عند كل مورد فلما لبس الليل جلدة الغبش وعمم على
النجوم جيش الحبش وثب اهل الحلة على المنتصر جهلا وغباوة
وقاق وشقاق فلم يخفروا حق مقدمه واحلوا للارض
حرام دمه فكانما عناه ابو تمام بقوله شعر فتى مات بين الطعن والضرب
ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر وما مات حتى مات مضرب
سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر واثبت في مستنقع الموت
رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر غدا غدوة والحمد
نسج رداءه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر مضى طاهر الاثواب لم يبق
روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر عليك سلام الله وقفا فا
رايت الكريم الحر ليس له عمر ثم نقل قالبه الى قرية ماهي من غ
من روذ بارزم ودفن بها في شهر ربيع الاول سنة خمسة
وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فامر

ابو عبد الله

اخمصك

بالقبض على ابيه دارا واذاقه حر الانكار وشن الغارة على حلة

ابن بهيج الاعرابي خاصة وعلى سائر العرب الشارة عامة وصار

جمعهم آل سامان رمادا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم من حيث مجيء دولتهم الى ان ورثها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وساير بلاد خراسان بدا

ينضاف اليها في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان

وطبرستان والري الى حد اصفهان مائة سنة وسنتين

وستة اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابراهيم اسمعيل بن

احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية بلخ يوم الثلثاء

للنصف من شهر ربيع الاخر سنة سبع وثمانين ومائتين و

ولي خراسان ثلث سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة الثلثاء لاربع

عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا

بالعدل والرافة موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد

بن اسمعيل فملك ست سنين وثلثة اشهر وفتك به نفر من غلمانه

بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الاخرة وكان مقتله

بابيه في ايثار النصفة والخيار الاحدوثة الحسنة واقتداء الابناء
بالآباء في اختيار افضل السنن واتباع احمد السنن الى ان طوت
الدنيا صحائف ايامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا وسد مسده الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة
رفيع النجاد فوي العماد وري الزناد زكي المراد وتلاه وارث
الملك نوح بن منصور وهو الحميد فملك اثنتي عشرة سنة و
ثلثة اشهر وسبعة ايام وتوفي ببخارا يوم الثلثا لاحدى عشرة
بقيت من شهر ربيع الاخر سنة ثلث واربعين وثلثمائة و
انتصب منصبه عبد الملك بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر
واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط على الارض سقطة حمل
منها ميتا وذلك عشي يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من شوال
سنة خمسين وثلثمائة وخلفه في الولاية ابنه منصور بن نوح
خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي ببخارا يوم الثلثا لاحدى
عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولي امره
نوح بن منصور احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر ببخارا
وتوفي يوم الجمعة لثلث عشرة خلت من رجب سنة

سنة سبع وثمانين وثلثمائة ومات بعده ابو الحرث منصور بن
نوح سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الاربعاء
لاثنتي عشر ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع
اخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه في الولاية حتى
خرجت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعامته وثالت
نعامته فطار الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع ولايتها
من يديه وكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما ثم
اخوه المنتصر ابو ابراهيم اسمعيل بن نوح وذلك حين آن اوان ولي
السلطان كورة خراسان واقبل بعد ذلك يزداد في اسباب العلى
وجده ويتضاعف في رقاب الاعداء حده فما يمر له شهر
الا عن ثغر مفتوح وصنع ممنوح وذكر على هامات الاعواد
مرفوع وباب الى قضاء المنى والامال مشروع ذكر الاسباب
التي جمعت ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والي
سجستان من خلاف مرة ووفاق اخرى وما جرى
بعد ذلك من الطوائل والترات التي ثنت عنان السلطان
يمين الدولة وامين الملة اليه وعطفت به الى انتزاع الملك من يديه

وما جرى خلال ذلك من وقايعه في الهند الى ان استتب
له ما اراده في امره بعون الله ونصره قد سبق في اول
الكتاب ذكر الامير خلف بن احمد فما راه السديد منصور بن
نوح من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى ان تهاوت نجوم
الفتن بخراسان ففرغ عن اشتغاله لانها ماد هاتهم
منها للاستجمام والاتراع والاستظهار بما تخرجه له ارض
سجستان من صنوف الارتفاع حتى اتسع نطاق همته لطلب
الفضول ومنازعة القروم الفحول ولما تصدى ناصر الدين سبكتكين
لمواقعة ملك الهند حين تورد حدود الاسلام على ما نطق
بشرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف بن احمد انتقاض
بست عن الحفظة وخلوها عن الشحنة فاسرى اليها من اقام نيضتها
واقتض عذرتها وحرف كلمة الدعوة عنها وغمس يده في اموالها
فجباها وجمعها فاوعاها فلما افلج الله ناصر الدين على الكافر اللعين
عطف العنان الى بست متقبضا من غدره محتفظا من سوء جفائه
فانتقل اصحاب خلف بن احمد بطهور لها واعقابهم الادبار والصغار وهم
ناصر الدين سبكتكين بمناهضته واستخار الله في مناجزته فارسل اليه

خلف بن احمد من يتأوّل في ذلك البعث عليه محافظة على حكم الموالاة
في حفظ ولايته ويتضمن تصحيح ما صار اليه في حياته ويتبرع بزيادة
تقوم مقام الارش عن جناياته تفاديا عن ثقل وطأته على
اعماله وتصونا عن عوهة الافتضاح في قتاله فتغابى ناصر الدين
عن سرّ غدره كفّا لليد الاقتدار واكتفاء من بذل الاعتذار ثم ظاهر
بتصحيح المال حتى اداه وارتهن به بعض رضاه وكانت الحال بينهما
من بعد قائمة على جملة المسالمة الى ان حدث من امر ابي علي بن
سيمجور في الجولة التي اتفقت له بنيسابور ما استوفيت شرحه فاظهر انقطاعه
الى ناصر الدين بمساعدته على خصمه ومرافقته بنفسه وسائر اهل
جملته امتنانا عليه بظاهر المظاهرة واضمارا للتشفي من ابي علي
بمعونة الحاضر وفوت الباهر اذ كان ابو علي قد وتره بقصد حصاره
وغزوه في عقر داره واقتسار بنيه وانصاره وصحب الى بوشنج في جمهور اشياعه
واتباعه ثم خلّفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة عن كلفة السفر
وابقاء عليه من خطر الخطر وسار الى طوس لمواقعة ابي علي وطلب الثار
المنيم عنده حتى اذا طار شعاع نفسه عن شغل تلك الحرب بيده رد الى خلف بن
احمد اصحابه متثقلين بالنعم الباهرة موشحين بالخلع الفاخرة

يقدمهم المراكب والجنائب ويردفهم النجايب والرغايب فعادوا وافشوا بالذي كان اهله ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب فصفت لذلك شريعة الحال بينهما وقذيت عن المماراة وتجلت عن عرمض المداهجة والمداجاة الى ان عبر ناصر الدين النهر الى ما وراءه لمدافعة ايلك الخان عن ولاية الرضى برفق المناصحة او خرق المكافحة ثم اقتضته صورة الحال مسامحته ببعض تلك البلاد على ان يسلم له سايرها و يامن غنث العيث باديها وحاضرها وترامت اليه اثناء ذلك مكاتبة خلف بن احمد ايلك الخان مرهقا من غربه ومغريا اياه بحربه طمعا في بست وتوابعها وغزنه وما يليها وانضافت اليه بلاغات وقوارص رقت له من جانبه في امر ابي علي واظهاره الندامة على ما سبق من عونه عليه والافصاح على رؤس الاشهاد معرضا بان اجتياح الملوك شوم واستباحة البيوتات لوم وضعف في الراي معلوم فطار الغضب بناصر الدين كل مطار وحدثته نخوة الاقتدار بالمبادرة الى ارضه تحتيا لاطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه ابو الفتح علي بن محمد البستي عما نواه بالقول الرفيق والراي الموثر بالتوفيق والرشاد والتلطف على ذلك

الحرب تورا وانه اذ بعض البلاد غار ونجد وان الغاية كالعايل تخوف من سارق
وان قلوب الرجال وحوش نافرة وطيور في بحار الجو سابحة
فما يستمكن منها الا باعمال الحيل في الحبائل وتمكين الجوارح ورمي
البنادق وبث الحبوب والمطاعم ثم لا يتيسر من افلاتها عن حبائل
القانص وكرسالها من شرك الصائد كذلك لا تصاد القلوب الا بشرك
الصنائع والعواطف ولا تنقاد الا بازمة الايادي والعوارف و
لا تستفاد الا بابتذال التوالد والطوارف ثم الكلمة الجافية تكاد
تهيج وادعها ونطرها وتكدر عليها مشاربها وتلا عليه قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم فسرها له حتى نزل
عن ظهر التعجل الى ارض التمهل وانشدني ابو الفتح رحمه الله في شرح ما دار
بينه وبين ناصر الدين اذا شئت ان تصطاد حب اخي لب
وتملك منه حوزة القلب والخلب فاشركه في الخير الذي قد رزقته
وادخله بالاحسان في شرك الحب الم تر طير الجو يهوي مسفها
بحب كقطر من ذرى الجو منصب كذلك لا يصطاد ذو الراي والحجى
مجاب حبات القلوب بلا حب وكتب خلف بن احمد بعد ذ

متنصلا عما عزی الیه ومتبریا مما نقم منه علیه فعفا ناصر الدین عما حاک

فی صدره من امره واغمض له عما احتاج من قلیب قلبه وغدیر

غدره وثبت بأبی عمرو علی موالاته وملاطفته الی ان اتاه الیقین من ربه

فانتقل الی رحمته وعفوه وتبلغ السلطان یمین الدولة وامین الملة حلبة حبوة

الذمامة باظهار التمام وانشد قول القائل فقل للذی یبغی خلاف

الذی مضی تهیا لاخری مثلها وکان قد ثم اسرها فی نفسه مترقبا

لمیقات الفرصة فی الایقاع به والاستشفاء منه الی ان ورث ملک

خراسان ونقی الاطراف عن غرات الخلاف سلیما الا فی من غرات الشقاق

وقد کان خلف بن احمد عند قیام السلطان باستصفاء المملکة قد بعث ابنه

طاهرا الی قهستان فملکها ثم عن منها الی فوشنج فاستولی علیها وکانت

هراة وفوشنج برسم بغراجق اخی ناصر الدین سبکتکین فلما وضع الله

عن السلطان اوزار تلک الملاحم استأذنه عمه فی طرد المتغلب

عن ولایته وقل ما حده من حد نکایته فاذن له فیه وسار حتی

اذا شارف فوشنج تلقاه طاهر بن خلف لمزاولة من العدی یکد

الحد بدفنا وشب الحرب فلق الهام من خطوط المفارق و

قطا الاجسام من خصور المناطق واستقاء الارواح بارشیة

واستنشد

الرماح واختلاس الروس بسيوف كسيوف الروس ثم حمل بعضهم على بعض فقد
الميامن بالمياسر والمياسر بالميامن وانفلّ طاهر من بين يديه
هزيما واتبعه بغرلجق يحث منه ظليما وقد كان قبل ان شمّر للحرب
اصناكوسا يستيقظ بهما عين الطعن والضرب فتعاون عليه
من كاسر وباس حتى غفل بهما عن وثيقة التحرز وذهل معهما
بصيرة التحفظ والتحرز فغرّر بنفسه في اتباع خصمه اغترار الجاهل
سكره فلم يشعر الا بابن خلف قد كرّ عليه بضربة اقعصته
قتيلا ونزل للوقت اليه من قطف علاوة اخدعيه واقتسمت
الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب ولا السالب
من المسلوب خلا ابن خلف فانه قفا اثار فله ممن ردهم الى محاله و
ورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد العم ما ينال
الوالد المعدم وحيد الولد لافتقاد صنو الرحم واستدل بما
اتفق لابن خلف على احراق الشقاء به وبابيه والطباق
البلاء عليه وعلى من يليه وحدس بالقرم يبحث عن المدية
بروقيها والنملة يقضي عليها نبات جناحيها ولو عقل الفراش
لما عشا ما عاش الى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار ساقط

الفرس في اخبارها مثلا وللاعاجم في ايامها مثل فقالوا

اذا اجل حانت منيته * اطاف بالبير حتى يهلك الجمل

وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة الى خلف بن

احمد وهو متحصن بحصار اسبهبذ قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب

قوسين بل قيد سهمين تحول عن مرامها الابصار وتحار دون

مباراتها الاطيار فحاصره بها ممنوعا من نفحة الاخبار ممنوا بشدة

الاضطرار مفجوعا براحة القرار ولذة الغرار حتى تجنب الروع

روعه وودع الروح روحه فاستشعر النجوى والطاعة و

اظهر الخشوع والضراعة وسال سوال مستكين ان يقبل منه خنا

ويمهل من حبل رقها على ان يفدي بمائة الف دينار وما يليق بها

من خدمة ونثار وتحف ومبار فاجابه السلطان الى ما استدعاه ووكل

به من اقتضاه المال حتى استوفاه وغادره كما هو في اسار الحصار او

خناق الوثاق وفي نفسه قصد سجستان لكنه احب ان يجعل غزوة في

الهند مقدمة لما توخاه وصدقة بين يدي نجواه تبركا بما يجري على

يديه من ارتفاع راية الدين واتساع ساحة اليقين واثارة كماة الصدق

واغارة قوة الحق على بلاد الهند متوكلا على الله انتهى هذا

بنوده وقضى له بالعز في مقروده وبالنجح في تصاريف اموره حتى
انتهى الى مدينة برشور فخيم بظاهرها وبلغه انحراء عدو الله ملك
الهند جيبال على لقائه واستنجاده القضاء بمجاورة فنائه فاستعرض
الخيول من ابناء جريدته وسائر الغزاة والمطوعة في جملته
واختار للجهاد خمسة عشر الف عنانا من فحول الرجال وقروم
الابطال وحظر ان يخالطهم من ردة الاختيار وبهرج
الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب وانجلائهم
كحيات الصرائم او اسود الغاب حلف بهم الى قتال اللعين بقلوب
كالهضبات ثابتة وفروع صبر على دوح الاخلاص نابتة واقبل
الكافر الفاجر في اثنى عشر الف فارس وثلثين الف راجل
وثلثمائة فيل تئن الارض من وطء اطرافها وتخف من ثقل
اخفافها حتى اناخ قبالة السلطان متصاولا بعدده متطاولا بعدة
باعه ويده ويظن كثرة الجموع تطوى كتاب الله طيا او تغني
من امر الله شيئا ولو درس الجاهل كتاب الله لقرأ كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وارتز الكافر بمكانه جانحا
الى المطاولة ومتحريا بالمدافعة والمراوغة انتظارا لمزوداه من

اوشاب الجيوش واوباش القبائل والشعوب فاعجله السلطان عما حاول به من تقديم
المطاولة وتاخير المقاتلة وبسط عليه ايدي اولياء الله فاوسعوهم
حربا ونهبا ومشقا ورشقا وحزا ووخزا وحثا وسحتا حتى
اضطر الى الدفاع وصلى نار القراع فاصطفت عند ذلك الخيول
وخفقت الطبول وزحفت الفيول واقبل بعضهم على البعض
يصولون وترامت النبال على الخصل ترامي ولدان الاصائل
بالخضل وتلألأت متون القواضب تلألؤ برق الغيم جنح
الغياهب وفارت ينابيع الدماء كما فاضت مجاديح الانواء و
تكاثر اولياء الله على جماهير الدبابير يوزعونهم ازا ويحثونهم نقصا
وجزرا فلم ينتصف النهار الا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المشركين
وحكموا السيوف في زهاء خمسة عشر الاف رجل فبسطوهم على
الغبراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء وجدل على
صعيد المعركة خمسة عشر فيلا مغروزات العراقيب باطراف
النشاشيب محزوزات الخراطيم باسياف اللهاميم واحيط بعدو الله
جيبال وبنيه وحفدته وبني اخيه وذوي الصيت من رهطه
وذويه فسيقوا بحزايم القيد والاسر الى موقف السلطان كما

كما يساق المجرمون الى النار ووجوه عليها غبرة الكفر ترهقها قترة الخذلان
فمن مكتوف الى الظهر قهرا ومسحوب على الخد جرا ومضروب على
الوريد صبرا وحمل مقلد حبال عن نظيم مرصع بفرائد الدرر
والجواهر الزهر واليواقيت الحمر ما قوم مايتي الف دينار واصيب
اضعافه في اعناق المقتسمين من قرابته بين قتيل واسير و
المطعمين شبح في ضبع ونثر ونفل الله اوليائه ما فات حد
الاحصاء ونجا جهد الحصر والاستقصاء واغنم خمسمائة
الف راس من روقة العبيد والاماء وآب السلطان
بمن معه من الاولياء الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين
ظافرين شاكرين لله رب العالمين وفتح الله على السلطان
من ديار الهند ما تضاءل بلاد خراسان في جنبها طولا و
عرضا ووافقت هذه الوقعة الباهرة اثارها السايرة في
الافاق اخبارها يوم الخميس لثمان من المحرم سنة اثنين و
تسعين وثلثمائة ولما وضعت هذه الحرب اجمالها وحطت عن
الظهور اثقالها احب السلطان ان يصرف الجنبة وراءه لبراة
بنوم وذوم في شعاب العفا واسباب الخنا وتطير هيبة الاسلام

في ديار الكفار فوافقت على خمسين الفا من خيار الافيال وارتهن
ابنا وحافظ اليه على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى
اذا استقر مكانه كاتب ابنه اندبال وشاهيته وراء سيحون
يشكو اليه ما عراه من الفاقرة الكبرى والداهية العظمى وساله
سؤال ملحف ان يودي عنه الضمان بما عزوه فتاق اليه تلك الفيول
وصرف الرسول وسيقت جملتها الى السلطان فامر بالافراج
عن اولئك الرهاين وكنع ادبارهم نحو تلك المداين و
حدثت نفسه اندبال بان اباه قد لبس بردة الخزي وعض على جمرة
الهرم وقد طلع نجم الاسود دبران الادبار وعوت عواء
الامتهان وشاكت الامتحان به شوكة الخذلان فقد حال الحق حيته
وينقاضي عليه الزمان دينه ومن سنة المطاعة فيهم ان
من حصل منهم في ايدي المانيه وهم المسلمون اسيرا لم ينعقد له
من بعد رياسة ثم لم يتم له زعامة وسياسة ولما راى جيبال
حصوله بين قيد الهرم وقيد المذلة اثر النار على العار والمنية على
الدنية فبدا بشعر راسه فحلق ثم تحامل على النار حتى احترق و
لما استتب للسلطان ما اراد وانقاد له ما اقتاد ارتاح لغزوة اخرى

اخرى يطرز بها ديباجة مقامه ويعلم بها المغزيات اعلامه فقال

نحو ويهند فضرب عليها بكلكل الاقتدار حتى اقتحم اصغر اواعياض

منها بعد العسر يسرا وبلغه ان اخلاط طوائف من الهنود بشعاب

تلك الاعلام واستتاريهم بخمر الغياض والاجام متحدثين بالتحزب

للفساد والتالب على العناد فاغزاهم خيلا تركت معالمهم وبفرق

قبل الوصول اوصالهم وولغت فيهم السيوف حتى رويت من

رشاش دمائهم وصديت من مخالطة احشائهم وبهاتر

من سلم عن ظباتها كالاوعال في ريود الجبال يرون

الكواكب ظهرا والمنايا سودا وحمرا وذاقوا وبال امرهم وكان

عاقبة امرها خسرا وانقلبت رايات السلطان الى غزنة خافقة

بالنجح التابع والفتح الرايع والحول المتين والنصر المستبين وقد

اشرق وجه الاسلام وابتسم ثغر الايمان وانشرح صدر

الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وقد كان خلف بن احمد

عند انصراف السلطان عن وجهه عهد الى ولده طاهر في

اعمال سجستان واسند امورها اليه ايثارا له على نفسه وهذا

لكن يعتام الملك اليه قبل وقته وتبنيا لمهاني ملكه قبل

١٩٧

استحقاقاً يأباها بارثه تعريضاً للسلطان باستعفائه عن الملك واقباله على

النسك واعتياضه تواضع العبادة عن السيادة ليقطع بخروج

الامر عن يده طمعه عن قصده وحصده فلما انفسخت المدة

على ما ولاه نطقت شواهد الجحود في اختياره وبدت نواجذ

العقوق في ثني آثاره فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى اعماه

عما نواه فيه ثم تمارض في الحصار واستدعى ابنه لقبول الوصية

وتسلم الودايع الخفية فغفل عن سر التدبير وتدبر العقاب في

النكير واقبل اقبال طرفة بن العبد على خصيلتي الضبع من ضرب

الجيد او حز الوريد وقد كان خلف بن احمد كمن له مقانب

من جيشه فاحاطوا به احاطة الزباء بجذيمة الوضاح

الى ان حصل في معقله وحبس في مكمن اجله وبقي في

السجن على حاله الى ان اخرجت جنازته محالا عليه في

قتل نفسه والجناية على روحه ودمه ولما سمع طاهر بن

زيد صاحب جيش خلف بن احمد وساير قواد سجستان ما جرى

في امر طاهر دخلت في طاعته ضماير هم ونغلت في موالاته

سرائرهم وانتقضت خوف الاسوة فيه مراسهم وضبطوا

ضبطوا تلك المدينة على طاعة السلطان ومتابعته وارسلوا اليه بما اوجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة وسألوا انهاض من يتولى تلك الناحية منهم ليبتدروا الى بابه ويتعطروا بلثم ترابه ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم الخير على ما فعلوه واقيمت الدعوة للسلطان بها في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها ويسّر له انفراجها عزم على قصد خلف وحسم دائه وكفاية الخاصة والعامة عوادي نكره ودهايه وهو يومئذ في حصن الطاق من صفته انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الاركان يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر الا من طريق واحد في مضيق على جسر يطرح عند الحاجة اليه ويرفع وقت الاستغناء عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه احاطة المحيط بنقطة المركز وجعل يستقري بالراى وجه الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليستدق على الفارس والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالى معسكره منابت اثل وطرفاء ذوات احتفاف .

يستقري

والثقاف ففرض على اهل عسكر خاصهم وعامهم راجلهم

وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منهما اضغاثا وحزما يلقم

عرض الخندق ويستب ظهر المجال والمخترق وبادر الناس اليه

فلم تشرق شمس النهار على التكبير حتى لغرض عرض المخاضة

من جانب الحصار للركوب وثار اليه عند ذلك الخيول و

تبعها الفيول ومانع اصحاب خلف بن احمد من شرفات

الحصار بقذفات الاحجار واشتعلت الحرب بينهم ترمى بشرر

كالقصر وتنحى على القصرات بالفرس والقسر فزحف الفيل

العظيم الى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزقه في الهواء و

انحط الى الارض منحالق وقتل من اصحاب خلف الجم

الغفير ولجأ الباقون على اطراف الحاجز الى السور الداخل ودرهم

عسكر السلطان على الحصار وتماسك اصحاب خلف فوق شرفات

السور الاخر مناضلين عنها باحجار المجانيق واطراف الحراب

والمزاريق واطلع خلف بن احمد عند اشتداد الخطب على

ملتقى الفريقين فراى هول المطلع من تموج الفضاء

بعفاريت الانجاد على شياطين الجياد وتطاير النبال كرجل

بجرم وترامى الحراب كعزالى السحاب وفتح الرماء كسيح السماء وعاين الفيل
قد اهوى الى بعض اصحابه بخرطومه فرمى به فى الهواء قاب
رمحين ثم تلقاه بنابيه واقبل على آخرين يدوسهم بمنسميه ثم
انحى على الباب بمنكبيه فزعزعه بعضادتيه واقتلعه بضباب
الحديد عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاش جاشه و
ارتاع روعه واضطره هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب
الامان واستغاثة السلطان فكف عنه يد الاخترام ووضع
عنه سوط الانتقام كرما غذاه الله بدره واطربه بنشوة خمره و
اقبل خلف بن احمد على بذل الجائزة حتى استوذن له على
السلطان فدخل واهوى الى الارض بشيبته البيضاء متعززا
بذل الخدمة وغشى البساط من نسج الجواهر والفرائد ما كسف
النهار وخطف الابصار نثارا ينوب عنه فى شكر ما ذاقه من
برد العفو والرحمة وحماه من حريم الروح والمهجة فتلقاه
السلطان بالرفع من قدره وضم يده عند التقريب الى صدره
تناسيا لما سبق من هناته وتغابيا عما قدم من ذحوله
وتراته وحكمه فى احتمال ما احب من ذيل يساره وذخا

الاخترام: القتل

جمع ذحل

حكمه

حصاره وخيره في المقام حيث شاء من ديار ممالكه وامصاره
فاختار ارض الجوزجان استرواحا الى نسيم هوائها واستعذابا
لنمير مائها واتساعا في مراتع الصيود حول ارجائها وامر
السلطان بتسييره اليها في هيئة ذوي الهيبة معافا بلباس الصيانة
عن عودة المهانة فاقام بها قريبا من اربع سنين في ظل الترفيه و
ساعدته القناعة بما هو فيه ثم انهي الى السلطان مراسلة بينه
وبين ايلك الخان بملطفات سيرها اليه ورسالات اغراه
بها عليه فاقتضى الاحتياط نقله الى جرديز ابقاء عليه من صلة ما
اضيف اليه واستتماما للصنيعة لديه واحترازا مما يلجأ اليه
من ابطال ذلك الافضال وتكدير ذلك الغدير فبقي هناك على
جملته الى ان حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك
في رجب سنة تسع وتسعين وثلثمائة وامر السلطان بحفظ جميع
ما تخلف عنه على ولده ابي حفص وتقريره في يده وتمكينه
من خدمته وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه فيه
حين وهى امره وصفرت عن الملك يده من ابيات
لا يذل الدهر صعبته :. ولا تلين الايام صعدته

اما ترى خلفاً شيخ الملوك غدا مملوك من فتح العذراء بلدته
وكان بالامس ملكا لا نظير له فاليوم في الاسر لا ينتاش اسرته
وكان خلف بن احمد مغشي الجناب من اطراف البلاد
لسماحة كفه وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه
وقد مدح على السنة الشعراء والعلماء بما هو ساير وذكره في الآفاق
طاير وقد كان جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب
الله تعالى لم يغادر منه حرفا من اقاويل المفسرين وتاويل المتاولين
ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراءات وعلل النحو والتصريف
وعلامات التذكير والتانيث وشبهها بما رواه الثقات الاثبات
من الحديث وبلغني انه انفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته
على جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار ونسختها بنيسابور
موجودة في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب
وتستنفد صبر الناسخ الا ان تتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة
واخبرني ابو الفتح البستي قال قد كنت عملت فيه ثلثة ابيات
من غير قصد لتبليغها اياه لكنها سارت على السنة الرواة اليه
فلم اشعر الا بصرة فيها ثلثمائة دينار اتحفني بها على يد بعض ثقاته

ما أتّى على ما قلته وعملته والابيات هذه نظم
خلف بن احمد احمد الاخلاف :. اربى بسودده على الاسلاف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد :. لكنه مُرْبٍ على آلاف
اضحى لآل الليث اعلام الورى :. مثل النبيّ لآل عبد مناف
فقلت له قريب من هذه الصورة حديث ابراهيم بن
هلال الصابي وذلك ان رسولا لسيف الدولة كان قدم بلد
السلام فخطب شيئاً من شعره على لسان صاحبه فدافعه به الى ان ازف
ارتحاله واتاه عند الوداع ملحّاً عليه في تنجيزه فاعطاه عجالة الوقت قوله
ان كنت خنتك في المودّة ساعة :. فذممتُ سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكاً في العلى :. وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو انّي حالف بغموسها :. لغريم دين ما اراد مزيدا
فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل اليه صرّة فيها ثلثمائة دينار موسومة
باسمه وللشيخ ابي الفتح فيه ايضاً عدّة مدح من
كان يبغي علو الذكر والشرفا :. او يرتجي عطف دهر قد نبا وجفا
او كان يامل عند الله منزلة :. تنيله قرب الابرار والزلفا
او كان يطلب دينا يستقيم به :. ولا يرى عوجاً فيه ولا جنفا

مدينة السلام

او كان ينشده مما فاته خلفا ⁘ فليخدم الملك العدل الرضا خلفا

الوارث العدل والعليا من سلف ⁘ حثوا بعلياهم في وجه من سلفا

المؤثر القصد في انحاء سودده ⁘ وان اراد عطاء اثر السرفا

اذا النوى عنق ولي حكومته ⁘ سيفا اذا ما اقتضى حقا له انتصفا

والسيف ابلغ للاعناق موعظة ⁘ لو من صليب حماه حده الصلفا

وان بدا كلف في وجه مكرمة ⁘ جلا بالاكلف عن وجهه الكلفا

رضاه يصرف عمن يستجير به ⁘ صرف الزمان اذا ما ناب صرفا

اذا اقشعر زمان من جدوبته ⁘ اغنى الورى وكفى جود له وكفا

بسخطه يدع الافلاك خائفة ⁘ والشمس حايرة والبدر منكسفا

يرى التوقف في يوم وغى تلفا ⁘ وضعفا ان عن راي مشكل وقفا

لله فضل ضئيل في انا مله ⁘ اعاد حظي سمينا بعد ما نحفا

يهين اموالكي يستفيد بها ⁘ عزا يوثل في اعقابه الشرفا

والمرء للؤم في احواله هدف ⁘ ان لم يكن ماله من دونه هدفا

لا يلحق الواصف المطري معانيه ⁘ وان يكن سابقا في كل ما وصفا

وانشدني ابو الفضل الهمداني قصيدته التي يمدح بها خلف بن احمد اولها

سماء الدجى ماهذه الحدق النجل ⁘ اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل

لك الله من عزم اجوب جيوبه :: كأني في اجفان عين الردى كحل

وفيها يذكر اباه بهمدان واستقباله الحج للسؤال عن

خبره والبحث عن وطنه ويذكر في قرب العراق وديعة

لدى الله لا يسليه مال ولا اهل :: اذا وردا الحجاج لاقى وفادهم

بقاد تندى دمعه بما النجل والسجل :: يسائلهم كيف ابنه اين داره

الى انهم لم لم يعد هل له شغل :: اضاقت به حال اطالت له يد

واخر نقص اقدما فضل :: يقولون وافي في حضرة الملك الذي

له الكنف المأمول والنائل الجزل :: وفاضت عليه مطرة خلفية

بها للغوادي عن ولايتها عزل :: يذكرهم بالله الا صدقتم

لدي احدا تقولون ام هزل :: طوينا للقياك الملوك وانما

بعثاك عن امثالهم مثلنا يسلو :: ولما بلونا لم تلونا من بحكم

فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو :: فدى لك من ابناء دهرك من غدا

ولا قوله علم ولا فعله عدل :: ويا ملكا ادنى مناقبه العلى

دايسر فيه السماحة والبذل :: والبدر الا انه البحر زاخرا

سوى انه الضرغام لكنه الوبل :: محاسن يبديها العيان كما ترى

وان نحن حدثنا بها دفع العقل :: فقل لاولي الاسام المكارم باسمه ::

يهنيك ان لم يبق مكرمة غفل :: وجارك افراد الملوك الى الندى
وحقا لقراع جيتهم زنك الخصل :: سمابك من عمرو ويعقوب محتد
كذا الاصل مفخور به ولكذا النسل :: وانشد في السيد ابو جعفر
محمد بن موسى الموسوى بيتين زيذكر انهما مكتوبان على باب داره
من سره ان يرى الفردوس عالية :: فلينظرن الى ايوان كيوان
او سره ان يرى رضوان عن كثب :: علا عينيه فلينظر الى الباني
نعم وصفت سجستان للسلطان فهدات عيون الفتن وسقطت نجوم
الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب والتحزب وانخفضت
ابصارهم دون التوثب والتغلب فرجع السلطان الى غزنة باهر
الامر عالى الظفر قد صنع الله له فيما اداه وسدد نحو المراد سهما
وشهر باقتراع المدينة العذراء واستصفاء المملكة الغراء واطلاع
ذروة الرجاء وادراع لامة العز والعلاء وانشدني ابو منصور
الثعالبي لنفسه في فتح سجستان من قصيدة وهي نظم

سعدت بغرة وجهك الايام :: وتزينت ببقائك الاعوام
وتصرفت بك في المعالى همة :: تعيا بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت مهادا عدلك فاغتدت :: تتوارد الاساد والارام ::

وانقض سيف علاك كل مدينة ، بكر عليها للاياس ختام
هذى زرنج استغلقت وتمنعت ، وكانها الا عليك حرام
ففتحتها وابحتها ومنحتها ، نفرا هم لفنائك الخدام
فقدمت والايام تنشد في الورى ، بيتا تجدد لنشيده الايام
قد جاء نصر الله والفتح الذى ، تزهى بكتبه وصفه الاقلام
باجل احوال واىمن مقدم ، واتم اقبال يليه دوام
ورحم الله البديع ابا الفضل حيث يقول فى السلطان يمين الدولة
تعالى الله ماشاء وزاد الله ايمانى ، أافريدون فى التاج ام اسكندر الثانى
ام الرجعة قد عادت الينا بسليمان ، اظلت شمس محمود على انجم سامان
وامسى آل بهرام عبيد الابن خاقان ، اذا ما ركب الفيل لحرب اولميدان
رات عيناك سلطانا على منكب شيطان ، فمن واسطة الهند الى ساحة جرجان
ومن قاصية السند الى اقصى خراسان ، على مقتبل العمر وفى مفتتح الشان
فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان ، فما يعزب بالمغرب عن طاعات اثنان
لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان ، ياوالى بغداد وياصاحب عمان
تامل ما ترى فيل على سعتر اركان ، يقلبن اساطين ويلعبن بثعبان
عليهن تجافيف يشهرن بالوان ، ويا جوج وماجوج من الجند تموجان

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد المحتشمين

من قواد ناصر الدين سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته واشتكر

في الرفق واللطف بالبريء والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوائف

من نجوم الفتنة ورجوم الشر والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش

ورفاغة الامن وفسحة الحال وسعة المجال فتحدثوا بينهم بتقديم من

يضمهم على العصيان ويؤمهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء

وتحككا بالشقاء واجتراء على سوء القضاء وابرزوا صفحة الخلاف و

اخترطوا نصل الشر من الغلاف فلما راى السلطان انتقاض

سجستان على خلفائه وامنائه بادر اليها في عشرة آلاف رجل من نخب

العسكر ومعه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين و

التونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي زعيم العرب

وحصر المردة العتاة في حصن ارك ووكل خيول عسكره

بجوانب الاسوار واقتسم بينهم مجال ذلك الحصار ونشبت الحرب بعد

العصر من يوم الجمعة النصف من ذي الحجة سنة ثلث و

تسعين وثلثمائة وخاض السلطان غمرة ساعة متوازين على المدافعة

ومتظافرين على الممانعة والمقارعة حتى اذا اوهنتهم السلاح

واثخنهم الجراح لاذوا بالانجحار والاعتصام بسور الحصار وظهر اولياء

السلطان على بعض جوانب السور في ظلمة الديجور فنادوا بشعار

الملك المنصور فانهزم الفجار وملك عليهم الحصار وبسطت ايدي

القتل والضرب على من نفضتهم الدروب ولفظتهم المساكن و

البيوت فمن رؤس منبوذة واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة

ودماء على الارض مصبوبة وهام الاخرون على وجوههم يتساقطون

من كثع الادبار في الابار ويلوذون من ضرب الاخادع

بالمخادع ويفزعون من شن الغارات الى المغارات والطلب يقطع

دابرهم ويلحق بالاول اخرهم حتى خلت سجستان من عيث شرادها

وسلمت من بث شرارهم وفتح الله تلك المملكة على السلطان فتحا ثانيا

وملكا تاليا فلم يسمع على الايام بمثله فتحا في غلق الظلام و

استفاضت هيبة السلطان في اهل سجستان حتى نامت ليالهم عن دبيب

العقارب في ضريب الجنادب في انشد بعض اهل العصر على تفقية النصر

يا ايها الملك الذي زند المعالي يقتدح لا زال ثغرك باسما من اجل ثغر يفتتح

وانشدني ابو منصور الثعالبي له في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير

يمدح السلطان يمين الدولة وامين الملة نظم

يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك ليس الا حرز والصفح .:. عليك عين الله
من فاتح الارض مستول على النجح .:. رايا ته تطو بالنصر
بل تكاد تمر كتب الفتح .:. كم اثر في الدين آثرته نقص عنه اثر الصبح
وكم بنى للملك شيد تهاتنى عليها السن المدح .:. فاسعد بايامك و
استغرق الاعداء بالكبح وبالذبح .:. ودم دفيعا عالى القدح
ممتنع الملك على القدح .:. ثم جعل السلطان سجستان طعمة لاخيه
صاحب الجيش ابى المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين مضافة
الى نيسابور وما يليها من الولاية في بلاد المشرق فنصب لخلافته
عليها ابا منصور نصر بن اسحاق وزيره ووكل بها من يدبر ويرضى لما
نقدمه وتأخره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية واتفاق
السياسة وانتظام الحراسة قيام من عزله الزمان بثقافه
وذينه الكمال باوصافه وعاد السلطان الى بلخ على استيناف الجد في
غزو الهند على ما سنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

ذكر شمس المعالى قابوس بن وشمكير وانتقاله الى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التقلب

في غربته قد كان شمس المعالى اقام بخراسان ثماني عشرة

سنه مصابر اللّه على وقعاته وتصرف حالاته لم تغير بالحادثات ثباته
ولم يقرع صرف الليالي صفاته ولم تنقص دوائر الايام مروته و
لم ينقض على اختلاف الاحوال حبوته ولم يبق من اصحاب الجيوش
وزعماء الجمهور من لم يضرب بسهم في نوافله ولم يرجع الى
حظ من عطاياه وفواضله ولم يخدمه احد من ذوي الحشمة
بسلام الا حظي منه باحمال وانعام والحية الوان وافراس
مطهمة حسان فعلى الاكتاف خلعه ولباسه وتحت الافخاذ مراكبه
وافراسه وحشو البيوت بدره واكياسه وقد كان آل سامان
يهمون برده الى مملكته حيازة لقصب السبق في ادالته على خصمه
وافاءة مملكته اليه فيقطعهم تتابع الفتوق من كل وجه
عليهم عن اصابة اغراضهم في امره والممتحن بصبرة التجارب في مداراة
المحنة حتى ينتهي زمانها وينقضي على الاقبال بحرانها اذ كان
الاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة
الا ازداد اختناقا وهلكة ومما يضاف الى شعره قوله

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا ... هل عاند الدهر الا من له خطرُ
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... ويستقر باقصى قعره الدررُ

فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا ... ومسّنا من عوادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد ... وليس يكسف الا الشمس والقمر

ولما وطئ ناصر الدين سبكتكين عراص خراسان وافته بالظفر بابي علي بن سيمجور على كره هالة تاح للقائه وما سيه على نصرته واعلائه ثم اتفق له من الانقلاب الى بلخ ما حال بينه وبين المراد فغبر مدة على جملته الى ان انقرض امر ابي علي ونجم الشغل به وانحدر الى طوس في طلب اخيه ابي القاسم السيمجوري فجدّد عند ذلك شمس المعالي عهده به ولاطفه كل منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حسنا ولا حسبا وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الاكراد والعوارس الانجاد فاراد ناصر الدين سبكتكين ان يستظهر عليهم بحماة الشرق ورماة الحدق من كتائب الاتراك الخانية فارسل حاجبه الكبير التونتاش الى ايلك الخان يتنجز حكم الحال التي تفارقا عليها بما وراء النهر من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الاملاك بامداده بعشرة الاف رجل من نخب رجاله وشهب ابطاله وضمّ شمس المعالي وداه على ميعاد معاده ودرج ناصر الدين سبكتكين الى

بلى مستعد للامر ومنتظر الوصول العدد الذي ترفا ستأثر الله
تعالى به قبل ان عاد الرسول في تحرز المسئول فحيط عليه ما صنع
وصحح دونه بنت ماذرع وتوسط وجوه الناس بين
السلطانين يمين الدولة وامين الملة وبين شمس المعالي به حسن بلائه في
تحقيق رجائه وتحقيق مكايدا عدائه فاظهر الوفاء به لغاية شهرين
من قراره بجرجان اذ كان بخيل بخل ما يلتزمه على ما يدنله من
احلابها ويخفل من اخلافها وانه يتحاشى بانتقال الملك اليه خبط
رعيته بالحيف والعسف والانحاء عليهم بمرهي الحرق والنسف
فاعجل السلطان يمين الدولة وامين الملة ما ابهه من ارث ابيه
وشغل الخاطر باخيه عن تقديم اظهاره وتعجيل رده الى داره
واستمهله ريثما يكفى ما امامه وينقض الشغل عارامه وسار الى غزنة
حتى يسر الله له افتتاحها واوى على يده جراحها وكان
ابو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة لسبيله
انحاز الى جرجان متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي
قابوس بن وشمكير في الامتداد اليها ليقوم بتسليمها اليه وتقريرها
في يديه فسار على سمت الروغد حتى وافى جرجان وابو القاسم بن

مصوح التحقيق ١٢

قابوس في خراسان ودرورها امعاوده عيال الطبع ولا ى محمد ثم ما عاد ورضا مرحى جرجان ما ١٢

سيمجور باستراباذ وقد جمع من الري ابو العباس فيرزان بن
الحسين في جماهير المشاهير من قواد الديلم والاكراد وكان
قد اطمع ابو القاسم من بخاراى ولاية قهستان وهراة وامر
بمعاودة خراسان للاعتضاد والاستظهار بعدته وعديده فجرد
عزمه للانصراف وضرب تلك المواعيد بالاخلاف غير حافل بما
يلحقه من المذمة بخذلان من جشمه لنصرته واستقدمه على ما تحت
قدرته وسار نحو اسفرايين فانقلب شمس المعالي الى نيسابور على حرة
الغليل مستأنيا بالوقت الى مقتطف الرجاء ومخترف الامل وتربصا
بما حوته رحم الليالي من جنين المقدور في ادالة الميسور على المعسور
ولما راى امور آل سامان مختلة النظام منحلة العرى والاوذام
لا تزداد على الرقع الا خرقا وعلى الرتق الا فتقا مخض الرأي فيما يشيم
له مبادئ امره ويحوش عليه اهبة ملكه فكانت زبدة مخضه ان سرب ابنه
الاصبهبذ شهريار بن شروين الى جبل شهريار لاستصفائه فسار
بمن نحوه تحت لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن مرزبان خال
الامير ابي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الري فتناهدا
للقتال على رسمهم في الاحتراس بالتراس وادراع لباس البأس

بدله المهامه

وشنّ عليهم الاصبهبد شنّة شرّدتهم بين المهافي والدكادك واقحمتهم هوّات
المعاطب والمهالك واصاب منهم غنيمة جسيمة بعد ان قتل منهم مقتلة
عظيمة واقام الخطبة بالجبل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير
وكان بابي بن سعيد احد اعيان الجيل وشجعانهم مقيما عند الاسفندارية
في طوائف من اضرابه متتابعا لهم في ظاهر الامر وناظرا الى موالاة
شمس المعالي من نقاب الستر واتفق ان نصر بن الحسين بن فيروزان
لفظته الاضافة بناحية الديلم الى حدود الاسفندارية فطمع في
مغالبتهم عليها ومزقهم فقذف من جمرات نيابها عن طرده عنها او
قبض على خاله ابي الفضل كلار فتنجز الى ان دفر. ومال بعد
ذلك بابي بن سعيد نصرا فتساعدا على قصد آمل وبها ابو العباس
الحاجب في زهاء الفين من عسكر الري فاجلياه عنها هزيما تقفوه
الصفاح وهشيما تذروه الرياح وطيّر بابي عند ذلك كتبه الى
شمس المعالي بذكر الفتح الذي اتيح على شعار موالاته واستشعار
طاعته وموالاته واظهار النصح باستطلاع راياته ففصل عن
نيسابور سائرا نحو جرجان وتجرّد بابي بن سعيد عن مضانّ نصر الى
استراباد مجاهرا بشعار صاحبه ونجم اليه من ابناء الجيل من

من كان يسلك شعب هواه ويستلم ركن طاعته ورضاه وكتب بمثل ذلك
الى الاصبهبذ بالانضمام الى بابه ~~جمع الانضمام اليه~~ وجمع اليه الى
يده فيما تقدم واخر والشد على عضده فيما اورد واصدر ففعل ما
امر وتسامع ابو العباس فيروزان بن الحسين بنبأتهم وهو
مقيم بجرجان فنهد لكفاية امرهما واخمادهما التهب من جمرهما فوقعا
بباب استراباد وقعة انت فيها حدود القواطع من حديد المدارع
ومزارق الزانات من مفارق الهامات وكادت الهزيمة تستمر
باصحابه لولا انقلاب الاكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم بتشادق
وزرق العوالي منادين بشعار شمس المعالي فانهزم ابو العباس
فيروزان بن الحسين فيمن معه فركب الطلب اكتافهم فاسر هو و
زهاء الف وعشرين نفرا من وجوه القواد في جملته واسرى بقية
الفل نحو جرجان وقد قدم اليها قابوس بن وشمكير بها لابن
خركاش احد اقاربه فوافق انهزامهم اليها اظلاله عليها وتسامع الفل
به فهجموا دونه وعويلا وضلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا الى
استئناف الهزيمة قرحا على قرح وملحا فوق جرح وخوطب
شمس المعالي قابوس بنجح الفتح وما هيأه الله له من

بيناتهم

عظم النجح فيا الى حين جاوقد شرح الله صدره وجلا عن الكسوف
بدره وفتح باليسر عسره وزاد على القدر قدره وكان ذلك في شعبان
سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ولبعض كتاب هل العصر عند زفاف الملك
اليه قصيدة اولها الجد ما لم يعنه الجد عذار، والحزم ما لم يؤيده الصبر خوار
وللكريم اذا الايام ذل به ... عن المنى ثبات النفس اعذار
كم فاضل فجنون المجنون له ... سيفا على حسك اللواء جرار
وكم جريح قريح القلب ذي عبر ... وكم قتيل وما السيف اشفار
وكم فقير بلا جرم وخاينة ... وكم غني وللايام ادوار
سير سريع ودور غير منصرم ... نصب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دائرة ... لم ينه عن عيان الحال اكبار
وانما حاصل الايام مختبرا ... جزر اصم عن التحقيق فرار
نبحي الزمان على من لا اصطبار له ... ورقة للذي في العسر صبار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة ... ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب ... عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يبدو له التمويق منتقصا ... وبعده بضياء التم نوار
والنار في خلل العيدان كامنة ... وسقطها باقتداح الزند سعار

والمجد يطبع كالصمصام شمائله ∴ من صيقل الدهر جلاء وشها رد
هذا ك شمس المعالي في سيادته ∴ له مع الفلك الدوار اخبار
اعطاه من غرر الايام فاقصرت ∴ عن نيل امثالها في الدهر اعمار
ملكا وعزا وعيشا دافقا وعلا ∴ ودولة ضمنها نصر واظهار
لما كساه دروع العز ضافية ∴ ولم يجد منه غير الشكر يختار
ابدى نشوزا عليه كي يجربه ∴ بالصبر والصبر للاحرار مسبار
حتى اذا ما قضى من سيره وطرا ∴ وللامور نهايات واطوار
امسى يعاود ما ارضاه في خفر ∴ وخده بدم التشوير فوار
فالان خادمه والعز صارمه ∴ والراي رايته والخلق انصار
قوم تضي حيوة العالمين به ∴ كانه الشمس والاعمار اقمار
راح الكرام الى اوكارنا ثمله ∴ كانه الليل والاحرار اطيار
له المعالي سماء والندى شهب ∴ والمجد سارية والجود امطار
علاه كالليل والصباح همته ∴ ونقله الجود والامال سمار
تراه تهزم الاموال عزيمته ∴ مثل انهزام العدى عنه اذا ثاروا
ومجده الدهر قناص لهمته ∴ فالجود بازله والصيد احرار
حياؤه بوقاح السيف ممتزج ∴ وعدله في حزون الباس سيار

٢

نزى يديه الى الفردوس منتسب :: ووقع سطوته في حرم المنار ::
يوم الهياج صغاح البيت ظلته :: والجو من لهب الطعنات صمار ::
يغامس الحرب والارواح قد زار :: الى التراقي وطرف الموت نظار
يرش من دفع الاعناق قسطلها :: اذ نقعها بحوامي الخيل ثوار ::
تناثرت انجم الافلاك سطوته :: اذا الرماح من الارواح عمار
فهن في ذمة الاضواء انسه :: وهن من طيته الظلماء نظار
المشتري بينها في الخصم منطقه :: تبغي رضاه وللمريخ زنار ::
كفته روعته امر العصابة :: فيما يرد على المحظور ديار ::
وقد افاض على الظلماء هيبته :: فما يضر بخد البأس ضرار
ان السلامة ان لو الهمت نطقت :: يارب انك لو من سيفه جار ::
يا ايها الملك الميمون طايره :: ومن نداه لفيض اليمن خار ::
ان الزمان عروس ما لها ابدا :: سوى خصالك مشاط وعطار ::
النجل عندك في وجه الندى كلف :: نعم وفي غرة الاقبال ادبار ::
ترمي العدى من نيات الكيد صنعه :: فان رموا فحا الرمي اوتار ::
كان ما قد رموا من لعن ظالمة :: وما رميت به وحي واقدار ::
يحمي ملهب الاقتار رامية :: كانما احمت الاوتار اوتار ::

لا زال في نعم تفضي الى نعم ... ما طاف حول فناء البيت معتمر

ممتعاً بسرور غير منقرض ... حتى يفوق نجوم الارض اغوار

ولابي بكر محمد بن ابي العباس الطبري المعروف بالخوارزمي من

قصيدة يمدحه بها وقت مقامه بنيسابور

قامت تودعني بالادمع السجم ... والصمت بين يديها وبين فم

البين اخرسها والبين انطقها ... وهذه حالة في الناس كلهم

قد كان لما اتهم منا عنا السيوف لنا ... تحاربينا بجيش الورد والعنم

وقد خلعت لجام الاتباع فلا ... تلفى سوالفنا في ذروة اللجم

لم يبق في الارض لي شيء هالك ... فهل هاب انكسار الجفن في السقم

استغفر الله من قولي غلطت بلى ... انها شمس المعالي امة الامم

كان لحظك من سيف الامير ومن ... حتم القضا ومن عزمي ومن كلمي

قال الامر لاخلاق الكرام قفي ... بحيث انت فما زادت على نعم

وقال للعلم والاداب لا تردا ... الا على فما هابسلا و لم

القائل القول لو فاه الزمان به ... صادت لياليه ايتاماً بلا ظلم

والفاعل الفعلة الغراء لو قرنت ... بالنار لم تك للنيران من حمم

لا تحفلن بتصوب المال في يده ... فقد تجف ضروع العارض السجم

قد يجزر البحر بعد المد يجرفه :: وينزل الجدب في كرالاجدل القطم
ولا يغرنك ان الدهر حاربه :: قد يغمد السيف يوم الروع بالبهم
الان اذ غدت الدنيا تجشمه :: وقابلته صباحا اوجه النعم
ترنو اليه فتخفي شخص منقبض :: لمراخيه وتغضي طرف محتشم
اذا دعت نحوم ساقا نهضت قدما :: والعمر يذهب بين الساق والقدم
حرى يقربها حال وتبعدها :: كذا يكون رجوع الآبق السدم
وله فيه من قصيدة اخرى يقول في نسيبها
شموس لهن الخدر والبيت مغرب :: فطالعها البين والهجر غارب
ولكنها شمس المعالي خلافها :: مشارقها ليست لهن مغارب
وما القبوا الشمس الا وقد رأوا :: بانك شمس والملوك كواكب
اقول لزوار الامير ترحلوا :: فمن زاره من راجل فهو راكب
وان زاره الفرسان كسكيفهم :: بان يرجعوا والخيل فيهم جنايب
الا ابلغا عني الامير رسالة :: تدل على اني على الدهر عاتب
الى كم يحل المرء مثلك بلدة :: بها منزل فيه لغيرك خاطب
عليك بهذا السيف فاقض ديونه :: فللسيف دين عند كفك واجب
فلا تقعدن تغضي الجفون على القذى :: وفي الارض مركوب رمح وضارب

اعزمك هذا الدهر فالزمه يخترم ... فلن يوقظ الغرام الا المطالب

وانت بن عم السيف بل انت عمه ... وكيف يخاف الاقربين الاقارب

أليس ابوك شمكير وجدك كمه ... زياد ومرداويج عم مناسب

تحرك بنا اما الواء ومنبر ... واما حسام كالعقيقة قاضب

و للقاضي ابي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني من قصيدة اولها

امسرى خيال الهاجر المتجنب ... ومجرى دموع الزاير المتطرب

سألتك بالدهر الذي ضر بعده ... فذي ناظري من بعد ان كنت ملعبي

اعني على عين اذا ما وعدتها ... بقربك قالت للدموع تاهبي

ولما تداعت بالغروب شموسهم ... وقفنا لتوديع الفريق المغرب

تلقين اطراف السجوف بمثرق ... لهن ولاحظن الحدود بمغرب

فاسر الاسى دمع مضيع ... ولا تمن الا من قلب معذب

كان فوادي قرن قابوس راعه ... تلاعبه بالفيلق المتاشب

همام يراه المال اسرع حادث ... الى حتفه والقرن اخوف معطب

يفض العدى الطارق قبل عزمه ... و يطرقهم رعبا ولم يتاهب

وفيه يصف الزرافة

وزرق على سمر تظل اذا بدت ... تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب

ترفعت عن طيش الرماح وزولة .. السهام وتقصير الحسام المجرب

فمن ظبات البيض ثم وصلها .. اليهن من سمر الرماح بأكعب

فنال منال السهم في متبعد .. وقام مقام السيف من متقرب

فتى ما تلاقت همتان بصدره .. ولا يشهد الجاري سبي مشعب

له الهمة العليا والمنصب الذي .. يتبعه الجوزاء الحاظ متعب

اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت .. عن المجد الفوه كريم التقلب

يزاحمهم من وشمكير بمنكب .. ومن سلف الاصبهبذين بموكب

ويذهب من مجد وعز ومفخر .. بآثار مرداويج في كل مذهب

وما خلصت للمرء مسعاة والد .. اذا المرء يقابله بخال مهذب

كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا .. اذا رامه عن كل خرق مجحب

يحوي معالي اردشير بخاله .. ويعلو الورى عن شاه وساسان بالاب

ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الري على جهة الانكسار وذلة

افتسار وسنة القتل والاسار قطع عليهم سبيل العذل والتعنيف

وملئت عيونهم من نفثات التعيير والتشوير وكان ابو الحسين بن

احمد بن حمولة على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجل من بينهم

من بهم الديلم وفتاك الاتراك ونخب العرب وافراد الاكراد وسماهم
في منوجهر بن قابوس وبيستون ابن نخاب وكنان بن فيروزان
وبرشاموخ بن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب في شار بن كردويه
وابي العباس بن جائي وعبد الملك بن ماكان وهولاء توت الجيل و
شهريار وبلغ شمس المعالي خبره فاستضم اطرافه واستظهر بشهريار
استعداداً للمواقعة وتنجز ابو عبد الله في نصرته وتثبيت وطاته و
استتمام ما اعاده الله اليه من نعمته وحاذر ابو علي بن حمولة
مما لا تنظر ابن الحسن بن فيروزان شمس المعالي قابوس بن وشمكير و
انقطاعه الى جانبه فواصله بكتبه نافثاً في عقدته فاتلاً في ذروته
ناغباً به في سحره وملقياً اليه ان القرابة الوشيجة بين ابي طالب
فخر الدولة وبينه لو صادقت منه حكمها في الاشفاق على دولته و
الانتداب لنصرته لكان احق الناس بسنيا اجناده وذعامة ممالكه
وبلاده وانه الان متى سلك طريق الخدمة وجانب جانب
التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم ما يهواه من ترتيب وترحيب
وتنزيل وتخويل وتفخيم وتقديم واذن له في الانتقال الى قومس الى
ان يدبر امره بمقتضاه فارتاح نصر لما شامه من تلك العقيقة

ووثوبه على الحقيقة وسار نحو نسا ثم قرض الجادة ذات اليسار
وركب ذات اليمين هما يلي طراسك واباذان حتى اذا حاذى
رقعة قومس اذاع في اصحابه انه في طاعة ابي طالب وانه ما عاش
رفيق خدمته ونصرة دعوته فاختلفت عليه كلمتهم حين
افصح بتدبيره وباح بسر ضميره ففريق رجع الى الاسفندار
وفريق الى جرجان فطلب الامان ودخل نصر في الباقين حتى اناخ
بقومس وسال اباعلي بن حمولة تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه
عياله واثقاله فمكنه من حصن اجومند فاستوطنه واودعه ماله
ومن معه ولما امن ابو علي شره وعادية توجه نحو سارية على
قصد جرجان فلما اطمان بها اسرى منوجهر بن شمس المعالي الى ابيه
عايذا بالله من عقوقه وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه فارتاع
ابو علي من بيستون بن تجاسب لاشتراكهما في نسبة الجيل وارومة ذلك
القبيل واشفق من صغوه القديم في خدمة شمس المعالي وحثه اياه
على معاودة سدته واهتبال الغرة في مراجعة جملته واخذ
بالحيطة في اعتقاله ورده الى الري في وثاقه واستدّ الى ظاهر جرجان
ما يلي قبر الداعي فعسكر به وتواصى اهل الحفاظ والحمية والانفة الابية

من اصحاب شمس المعالي بالترافد والتجالد والتساتل على التقاتل والتماسك عند
التعارك وشدوا حيازيمهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم للمصاع و
ناصبوهم الحرب طرفي الصباح والرواح لا يسامون وقع الصفاح
ولا يألمون لدغ الجراح حتى غبر بهم ان كيوم واحد من مغاسمة
الكريهة بين تكلف وبديهة ومس عسكر جرجان ضيقة لانقطاع الميرة
والمواد عنهم فاستعصموا بالنفوس الشريفة وتغنوا طول تلك الايام
بالبلغ الخفيفة موثرين شرف المقام على شبع الطعام وسد الشجاعة
على سد المجاعة واصاب الاخرين مثل تلك الضيقة وانتقلوا من
الفضا بقبر الداعي الى جانب محمد اباذ استاغا في العلو وامن جهة نشبابك
فتداركت عليهما الامطار بالطوفان حتى اعوزهم الامتيار
وماجت عليهم الارض فتساقطت الخيام وساخت القوائم في
الاقدام وعندها برز انصار جيوش شمس المعالي اهل الحقائق
من وراء الخنادق فاججوا نار الوغى كضارية الضراغم وداهية
الاراقم وثبت بعضهم للبعض من مطلع الفلق الى مسقط الشفق محكمين
متون الصوارم في شئون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل
الاكباد وزرق الزانات في سود المهجات حتى اذا زلت قدم

له ستل القوم وا ستقلوا وتساقموا
خرجوا فتنا بلبلين واحدا لبعد واحد
وكل ماجرى قطران كالدمع و الاولوا
فهو ساقل ١٢ من قاموس

له لعل بعم الصمام او الصاعم
جمع صمصام عنى السيف
او الصوارم جمع صا

العصر اتى امر الله بالنصر فحل الجيل على الديلم لم تشذ منهم طائفة لا بادر ولا نافر نار واسر من عظمائهم اسفسلار بن كورانكيج وزره وشجستا بن اد سلكى واخوه حيد ربن سالار و محمد بن وهسوذان واشتملت المعركة على الف وثلثمائة رجل ممن اضجعتهم الحتوف و سطحتهم على الارض السيوف وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبها بيان ولا يستثبتها بنان ثم دعى شمس المعالى الى ان يوعز بمداواة الجرحى و الفك عن الاسرى وصرفهم وراءهم بالخلع والكرامات والاحمد و الصلاة شكر النعمة الله فيما اولاه و اكبارا لقدر منته فى تحقيق ما رجاه وانشدنى ابو منصور الثعالبى ابياتا له فى ذكر هذا الفتح الذى نظمه الله فى سلك ايامه والحق الذى اقرمنه فى نظامه

الفتح منتظم والدهر مبتسم ؞ وملك شمس المعالى كله نعم ؞
والعدل منبسط والحق مبتهج ؞ والشعث ملتئم والجود مصطلم ؞
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ؞ ما زال وقفا عليه المجد والكرم ؞
شمس المعالى وغيث المشرقين ومن ؞ به يليق العلى والملك والحشم ؞
هو الامام هو القرم الهمام هو ؞ البدر التمام هو الصمصام والقلم ؞
هو الغمام الذى تخشى صواعقه ؞ قرا ويرجوا نداه العرب والعجم ؞

وعز الدين فى كذا ان يجعل او ان يترك ، واد حشر و حشر تقدم وامر ١١

هو المقيم الذي شتّى مآثره ... كان عليًّا مزد نيا ه ينتظم ...
والماء من جوده المأمول منسكب ... والنار من باسه المرهوب تضطرم
والارض من صدده والريح من يده ... والروض عن خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من حضرته ... يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا ... وعاشر الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به ... امسى واصبح بالرحمن يعتصم
ابل الجديدين بالعمر الجديد ودم ... للملك يخدمك التوفيق والقسم

وانشدني الامير الفاضل ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي في ذلك ... لا تعصين شمس العلى قابوسا ... فمن عصى قابوس لاقى بوسا

ثم ولما بلغ ابو علي بن سيمجور قومس منهزما عن تلك المعركة ارسل الى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا على لم شعث الهزيمة وسد ما جاش من منحر تلك الكشفة القبيحة ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فاوجف نحو الري واتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن سمنان وتابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن علي بن فخر الدولة مستمدا اوشم لتلافي الخلل مجدا فتراخت المدة على استيناء امداده وافتال

معونته وانجاده ثم امده بابن بكتكين الحاجب فى زها استمائة من
شجعان الغلمان فقوى بهم وتكثر بمكانهم ودعاه شمس المعالى بباى سعيد
فى رجال من الجيل وكتب الى الاصبهبد شهريار بن رستم بمعونته
واذاحة علته فصمد صمد نصر مرخيا عنان التحفظ ومغمضا جفون
التيقظ وقد كان نصر سد الطرق على ابنائها استرا لخبره وسحبا لذيل
الكتمان على اثره فاتفقت اثافية باى عليه على حين تقطع من حباله
وتفرق من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة ونصر مستعد
وامره فى القراع جد مستكد ثم اضطر باى الى الانقلاب على ادراج
الخيبة وفشت الهزيمة بمن تلاحق به وتراخى مرزبان بعسكره
وجرى عليهم من القتل والاسر ما عتد به نصر فى مساعيه عند
ابى طالب فغسل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله وانهض
عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابو طالب فى ثلاثة
الاف رجل لنصره وعقدت له الاصبهبذية على جبل شهريار
فتلقاه نصر الى زنباوند وساعده على صعوده وامتلاك حدوده
فلجأ الاصبهبذ شهريار الى سارية وبها منوجهر بن شمس المعالى
معتصرا بعقوته ومعتصما بعروته فاصاب اهل فريم

غلاءٌ عمّ بلاؤه وشمل الكافة داؤه وسبّبه بسط الايدي بالغارات
وانتهابُها ما اودعته الرعايا للادّخار من الاقوات فاضطر نصر
الى الانصراف عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء
النازل فلم يمهله الاصبهبذ عند انقلابه ان ركض على رستم
فاجلاه عنها الى حدّ الري منحوبا منكوبا ومخذولا ومفلولا
فصفت له ناحيته وانحسمت عنه شذاة نصر وعاديته وكان
ابو نصر بن محمود الحاجب وقد الجاه بعض المحن التي دهته الى خدمة
شمس المعالي فمهد له كنفه وحكّمه في اصطناعه شرفه ووالى الصنائع
والرغائب اليه وملا من الاموال يديه وسهّل ركوب المطالب
عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزلح العلة بقدر الكفاية من
ذوي البسالة والنكاية فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات
صلت واحرق عليه الارض حروبا بكرا على يده وعوانا على ايدي
اعوانه ومدده ثم حمل على جموعه حملة شرد بهم كل مشرد وفرق
طردتهم بين اعين البيد كل مطرد وعلق في حبالة الاسر جستان
بن الداعي وابن هند وغيرهما من اعيان القواد واصطف
على جدالة الحرب من القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه

الوحوش الجياع وانهزم نصر من بين يديه الى سمنان وكان نصر

على جلالة بيته وفخامة عشيرته وبسطة مغرماً بالظلم مغرى بالحيف

والغشم ووافقت ولايته مدرجة الحجيج وزوار البيت العظيم فى زمزم

والحطيم فشملهم غشمه فى كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة

والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحط عليه

جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار الزمان بعدوى ضجيج الحجيج عنه

بالاستغاثة فى حالتى الوقوف والافاضة وواصل نصر الرى

يكتب فى الاستنفاد والاستنهاض من صرعة العثار فمد له فى

طول التطويل بانواع التعليل والتاميل كما قيل مواعيد كما

اخلب سراب المهمه القفرة فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر

وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالى قد

تمالحا على احتيال تحصيله والظفر به فساء ظنا وضاق بالامر

ذرعا ونمى اليه ايضا ان بعض قواد السلاطين الدولة وامين الملة

وكان يعرف بارسلان هندو بچه والى قهستان قد اوقع بابى القاسم

السيمجورى واجلاه عنها الى الجنابذ فاغذ السير اليه على مظاهرته

والتحصين معا ففته ومظافرته وجعل يحطب فى حبله و

ويقتل في ذروته بجيله وخيله ويزين له قصد الري معه لامتلاكها
على ابي طالب ايهاما لالتغلب النيات في طاعته ودخول الاهواء في مشايعته
فاغتر ابو القاسم بتغريره وانجر في جريره وسار الى خوار الري
فتلقاه من سرعان الكتائب من غصت لهوات تلك المخارم والمسالك
ولما رأى ابو القاسم ان الامر جد والطريق منسد خنس وراءه
عاضا على البنان منخزلا لعارض الحرمان وبلغ شمس المعالي قابوس
بن وشمكير خبر انصرافه مع نصر عن وجه الري فقذفهما بعفاريت
الاكراد من كل جانب ودحرهما عن حدود مملكته على علاتها
واصب ولما رأيا ان الارض تلفظهما يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا
وشمالا لا توامرا على قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة مستأمنين اليه
ومستعدين على الزمان بالمثول بين يديه فهما عالي حضرته وتوشحا
بحمائل خدمته فاما ابو القاسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه
الحبس اسره واما نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان اسعفه السلطان
باقطاعه بما وجه منه طمعه له فنهض اليها واثبت عليه بهمة العقاب
بهما فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان خرج من الري و
حل منها الى قلعة استوناوند فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك

مصيرا و وكل شمس المعالي بعد ذلك بحوالي القلاع فيما بين جرجان و
استراباذ فكاوداءها من احاطتها احاطة الخلخال بارساغ البعير حتى
افتتحها غسرا ومكيدة ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيد
فصفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها
عما عدا من زيد للاحتقاب فيها واتفق بعد ذلك اخلاد الاصبهبذ
بجيل شهريار الى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي قابوس وادعاءه
الامر لنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفر والتف عليه من العدد والدثر
والعسكر المجر فرمي من جانب الري بابي علي رستم بن المرزبان بن
خال ابي طالب في صناديد الديلم وفيهم بيستون بن سحاسب المفوض
عليه من قبل الظهير والاة صاحبه قابوس فضب له الحرب
قراعا ومصاعا وثقافا ونقافا وكان عاقبة امر ابن كسر فاسره ونادى
ابو علي بن رستم مكانه بشعار شمس المعالي لو حند كان استشعرها
من اهل الري واقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته و
شرح ما افتتح الله على يده وهاجر ابو حرب بيستون سحاسب الى ارض المقدسة
من فناء صاحبه وولي نعمته فانشرح صدره وقرت بالاياب
عينه وطاب بالايناس والاحسان عيشه لو لم يعجله عن الحيوة

حينئذ وانضافت مملكة الجيل بأسرها الى ممالك جرجان وطبرستان فولى
شمس المعالي منوجهر ابنه سمي من اوعاشه الى زمانه ليرد عليه عوارج
مفاخره ويرجع اليه حلى آثاره ومآثره وانفتحت بعدها عليه
رويان وشالوس وما وراءها من حدود الاستندارية
فصارت ولاية تشرق بنور العدل والاحسان وتبسم عن ثغور
الامن والامان وواصل شمس المعالي السلطان بكتبه ورسله في
عقد وثيقة تحصن بها من صروف النوائب ويستظهر بها على وجوه
المطالب وقدم بين يدي نجواه من انواع القرب والمبار ما خرج
عن الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة وتأربت العقدة واشتبكت
الالفة واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر و
ديار الديلم بحكم الحالة المتشبه كأحد ممالكه التي يحتكم عليها آمرا
وناهيا وينبسط فيها حاضرا وباديا فلله شمس المعالي في بعد ما بين المجرة
مجراها وفي بحار الكرم مجراها ومرساها فلم يستمع في شيوخ
الملوك باشرف منه رقعة والطف ديمة واكرم شيمة واصدق
بادرة مشيمة واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جملة وتفصيلا و
اغذى للنفس بمقاف الحكمة واجزى للبدن بكفاف الطعمة

فقد فطم النفس عن رضاع الملاهي فلا يعرف اللغو ما هو ولا البطالة
ما هي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس للبقاء بهما
يدان ولقد احسن ابو الفتح البستي الكاتب في نصرة هذا الراي بقوله
اذا غدا ملك باللهو مشتغلا ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا برج نجم اللهو والطرب
نعم ولا احرص على مصالح الرعية وانصف واخذ باطراف العدل
في القضية وابرع في الاداب والحكم واجمع بين دارية السيف
وذلاقة القلم ورسائله موجودة في البلاد عند الافراد و
لكني اكتفي منها بلمعة من بوارق بيانه وزهرة من حدائق احسانه
اذ كان في تصفحها ما يغني عن التكثر في هذا المكان فنها رسالة
انشاءها في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله عليه واله وسلم
بحقب رسائله القديمة وقرابته النبيمة وهي بسم الله الرحمن الرحيم
اعلم ان اصعب الامور واشقها بين الجمهور الخروج بالنبوة و
الاستعلاء على الخلق بها قوة لانه تقليب الوجوه عن القبل المعبودة
وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة ومخاطبة الخلق عن الخالق
الذي لا تدركه ابصار الخلائق وقد اعتلى نبينا صلى الله عليه وسلم

وسلم ذروة هذا الشرف وصار لمن سلف خير الخلف فانه عز بيته هذا الذكر
العظيم واذاق العرب لذة النعيم ونقلهم الى الثروة والغنى من
الفقر والفاقة واراحهم من ندعاية الجمل والناقة وليس وراءه
لابتغاء العلى امد فما فوق السماء للسمو مصعد ثم ضبط الامر بعده
زعيمه على نظامه واقام منه في قوامه وهذا ما تولاه ابوبكر رضي
الله عنه حين ودع عمه من غير ان سلم الى احد امره فانه قام
به قيام ثابت القلب المستقل عقدا ومتدا الخطب غير مفكر في رد راد و
لا مبال بمعاداة معاند حتى حمى حريم الدين وجمع شمل المسلمين و
لم يرض بان يلم ببيضة الشريعة مسلم ولا ان يتغير من احكامها
حكم فلقب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانتدابه لحياطة
دين الله ثم تحصين حوزة الاسلام من عوارض الفساد
وعادية الاعداد والاضداد والمجاهدة في استضمام قذ ديار
المخالفين الى جانب الاسلام ومجامع المسلمين وهو ما اتاه عمر رضي
الله عنه لما آل اليه الامر فانه صرف جهده الى الجهاد وقصر فكره على
افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب
لاهل هذه القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان نعم العون

لرسول رب العالمين وقد فرغ النبي صلعم من الامر عظمه والشان
الافخم واخفاء لهيب كل ملتهب على رغم من ابي لهب وابي جهل بسعي الشيخين رضي
الله عنهما اشعب الامرين الاخرين وبلغ من الاحكام مبلغا ليس فيه
مستزاد ولا يشير بياض غرته سواد ولم يبق للناس بعين سوى التمسك
بدينه ومهده ومراعاة بناء مشيد فلم يقدروا على القيام به واحتجوا
وراء حجابهم فلما اتت الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان
منه ما كان من تبديل زي النسك بزينة الملك وتغير سيرة الائمة
حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جنى وتبدل بسوء ما اتى
ولما اتى الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه هاجت الرياح من كل جانب
وظهرت معاداة اعداء الدين وعميت عيون آراء اهل اليقين
وبدت الاوابد وتبدلت العقائد وتحول امر الدين الى المغالبة
ودول القتال والمجاذبة ووقعت الخلافة في الخلاف وبرز الشر من
الغلاف وبقي علي فتى العرب رضي الله عنه على اضطراب لا يهدأ وفي
مداواة طلاء ابراء مع شجاعته المشهورة ومآثره المأثورة وانتهى الامر
الى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه من المطرداء الطلقاء
ما جرى فلينظر اذ كان الامر كذلك اهؤلاء احق بالمدح ام

ام اولئك قد مضى القوم واثارهم في الاسلام والدين كالشمس في الاستشهار والهباء في الانتشار وصنيعهم صائح يحي على الفلاح وليس في ايدي الخصماء سوى السفاهة والصياح وقرات توقيعاً له الى بعض الافاضل يستقدمه حضرته ليتوخى مسرة بجمال المن سمته بمته الى قصد من تغلو عنده قيمته انتكون على غرم عرجته وليبت من سواه زيارته وجنة فاما خطه فخطة المحاسن فيه ان شئت وشيا محوكا او تبرا مسبوكا او درا مفصلا او سحرا محصلا وكان اسمعيل بن عباد اذا قرى خطه يقول هذا خط قابوس ام جناح طاؤس فهو كما قال المتنبي في خطه من كل قلب شهوة

حتى كان مداده الاهواء ∴ ∴ ولكل عين قرة في قربه

حتى كان مغيبه الاقذاء ذكر الحال التي نعقدت بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين ايلك الخان في التواصل والتصاهر وكشف عن اعضل الشر قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على الغدرة بال سامان اغتنم تطهير ما وراء النهر عن كل منتسب الى تلك الارومة ومتشبث بشعب تلك الجرثومة فلم يدع هناك اظفر الا قلمه ولا ذا حد الا اجتثه واصطلم ثم كاتب السلطان مهنيا له بما ذخر الله من خالصة

والاخرى: وانما هي الى ان خلص الملك يمين ... واستولى على ...

الى النصرة والظفر ... والظاهرة والباطنة ... ١٢

الملك وصافية الملك وظاهر اليه من ظاهر العز وباطنه الصنع و
معتز النفس بما قطعه من عقود دجائه ملاوة على صفقة اقباله و
علاوة على جلاله وجماله وتردد السفراء بينهما في وصلة الملك
تبل رحم الحال وتوكد اسباب المودة والوصال وتحمي حريم الثقة
في الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات البين وتودي رتبة الاختلاط
الى الامتزاج وقربة الاشتباك الى الاتشاج فتصير النفوس واحدة
السواعد على وجوه مصالحها متساعدة وانهض السلطان عند الإلمام
بما انتحبنا يورد في طلب النتصر ابي ابراهيم ابا الطيب سهل بن محمد
بن سليمان الصعلوكي امام اهل الحديث بها رسولا الى ايلك الخان
وضم اليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمة عليه ونقلها في
صحبته اليه واصحبه ما عدا الحدوا لعدمن سبايك العقيان
ويواقيت البهرمان وعقائل الدرر والمرجان وتخوت الوشي والحجر ونوادر
البدو والحضر وصواني الذهب مملوة من بيضات العنبر واواني
الفضة مقصودة بشمامات الكافور وغير ذلك من شارات
الملوك وقطاع العود وذكور النصول وامات الفيول تحت حدوج
مغشاة بذوات المعاريج من الوان الديابيج منطقة بعصائب

بعضا يخطف العيون بريقها ويصطحب على الافتنا معالبقها وعتا ضوامرها
كالقداح بخدود كمتون الصفائح مراكب غرر كنجوم الصباح قوائمها
كمخرق الرياح وسنابك كفلق الصفائح في مراكب كانما جلي بعضها من قطع
عقيق او شعل حريق وحلى سايرها بنجوم الثريا والنسر وبنات نعش من
وداء المجرة وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف تغمر
ذوايب الاوصاف فسنا الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى ايلك الخان
كريما ينقل كريمة ويحمل من بحر الترك الى ايران درة يتيمة فطلع
على ايلك الخان واهل بيته طلوع الحميد طالما يا بعد ان طال
اغترابه والحبيب لطف عتابه بعد ان قدم هجره واجتنابه اعظم
منهم لقدره وفادته عن باب السلطان في ذلك المهم من الشان
ثم لفضله في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المحتشم ومن
لا يقرن الى دبابه ضربت له في ابواب الفضل وخصوصا في خلافيات
المسائل فاقام باوزكند الى ان فرغ من امر الزفاف و
أزيحت علته في الانصراف فعاد على جناح النجاح مصحوبا
بمجلوبات الترك من نقر المعادن ونوافج المسك وقود
المراكب [illegible] عبس الركاب [illegible] والوصائف

وبعض الزرة وسود الاوبار ونصب الختو واحيا رايات طرايف

الصين وانحدرت الحال بين السلطان وايلك الخان اتحادا اشترك

فيه المرا تع والنعم واستمر فيه الصنايع والخدم وبقيت على

جملتها في التأكد والتأكد الى ان نزغ الشيطان بينهما فنغلت الضمائر و

دخنت السرائر وانحلت القوى والمرائر وتولى السيف تدبير ذلك الوصال

فحل معقوده وفصل مسروده وسياتي الشرح على الوقايع التي جرت

بينهما في موضعها على الاثر فاما الآن فاني اشير الى نبذ من محاسن

هذا الشيخ السفير الحافل في الامر بالتدبير واتبعه بذكر رجالات

خراسان من اعيان رعايا السلطان يمين الدولة وامين الملة ووجوه

الفضل من اوليائه فمن منثور كلامه قوله من تصدى لقبول

اوامره فقد تصدى لهوانه يشير الى قول منصور الفقيه

الكلب اعلى منه وهو النهاية في الخساسة

ممن ينافس في الرياسة قبل ابان الرياسة

وقوله العقل اطيب عيش والعدل اغلب جيش . وقوله

اذا كان رضى الخلق معسود الا يدرك فان ميسوره لا يترك

وقوله الغني يحتاج الى اخوان العشرة لزمان العسرة وقوله من

تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى عونه وتوقيره طالب عليك علة اذا
عاتبته على تقصيره كانه المعني بقول القائل

توقى الناس يا ابن ابي وامي :: فهم تبع المخافة والرجاء
اذا ما المرء اظهر عن علي عتبا :: وكانوا امس اخوان الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا :: علي اشد اسباب البلاء
ابت اقدارهم ان ينصروني :: بمال او بجاه او بـراء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم :: صديقا فادعوا قدم الجفاء

ولبعض اهل العصر فيه

كلام الامام امام الكلام :: وفوق يفوق بدر النظام
مزاج معانيه في نظمها :: مزاج المدام بماء الغمام

وله الا ايها الشيخ الجليل ومن به :: تبلج افق الدهر عن فلق اليسر
لئن كنت في الدنيا وانت وشاحها :: عيانا فان الدر في صدف البحر
يعني ربما يكون الشيء وعاءا للشيء والوعاء دون الموعى فيه كما ان الدرة في الاصداف مندرجة وهي زينة الا مري...
ولم يحوك الدنيا لانك دونها :: ولكن لب الشيء يحصن بالقشر
من الحواية يعني يعني ان احتياطك الدنيا باحتوائها بك لا لاجل انك دون الدنيا واحقر منها ولكنها صوانك وانت لبها وكذا البيت الثالث
وقد صين نصل السيف تحت قرابه :: كما صين نور العين بالجفن والشفر

ومن اعيان رعايا السلطان بنيسابور ابو نصر احمد بن علي بن اسمعيل الميكالي

وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلا موفورا وادبا

مشهوداً وعزاً معقوداً ومالاً ممدوداً وبنين شهوداً ووداً كالارى مشتاراً

وحزماً كالمراير مغاراً ودهاءً يسلخ من الليل البهيم نهاراً ونظراً

يستشف استار البصائر ويستكشف سرائر الضمائر وشعراً نقي

السبك والجوهر ذكي المسك والعنبر صافي المورد والمصدر فمنه قوله

بان في العلو والمجد والاحسان ... والفضل والمعروف والكرم بان

ليس البناء مشيداً لك شيّد ... مثل البناء يشاد بالاحسان

البر اكرم ما حوته حقيبة ... والشكر اكرم ما حوته يدان

وإذا الكريم مضى وولى عمره ... كفل الثناء له بعمر ثان

فاما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال في تحكي بما تحويه من

لطف العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة والشارة

رياض ميثاء القرارة ومن منثور كلامه رسائل منها

ما كتب الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير في انابة كاتبه كتب

العبد وحاله فيما يدعيه مولاه من شرف اقباله ورضاه

ويفيضه عليه من ملابس فضله ونعماه حال من تقبل

عليه دنياه ويسعد في ظل دولته باولاه واخراه و

الحمد لله رب العالمين ووصل كتاب الامير موشحاً

افضل

موشحا بدرر خطابه، وغرر الجابه، وبدايع بره وافضاله، وروايع انعامه واسباله، فيما اكرمني به من عز العيادة، والبسنيه من حلل الفوز والسعادة، وشرفني به من التهنيه عن العافية المستفادة، فاوصل عزا يبقي على الايام اثره، ولا يخلو على الزمان ذكره ومفخره، وفهم العبد فهم من آنس منه رشدا، واقتبس من اثنائه قوة وايدا، وسجد لله شكرا على ما افاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه من ظلال الفضل والكرامة، ورغب اليه في اسباغ العوارف عليه وصرف المحاذر عنه فاما ما اهله الامير العبد له من شريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه اليه من درجة العيادة اولا ومنزلة التهنية ثانيا وانفاذ القاصد به ثالثا فان من ذلك من نتايج همته العالية ودواعي شيمته الزاكية التي تحنو على اوليائه وخدمه وتعطفه على اغذياء نعمه فليس له في مقابلة ما اولاه ومعارضة ما كساه الا الشكر يديمه، والنشر يقيمه، والرغبة الى الله يخلصها في اطالة بقائه، وادامة عزه وعلائه، واسعاده بمواجب خدمته، ومعرفة قدر نعمته، بمنه ورحمته، هذا اولها لك العبد في مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها

٢٣٣

ومناجية خطرها، غير بذل المهجة والقربة في الطاعة، و
استنفاد الوسع والطاقة، غاية لبلغها تقربا الى حقوقه بما
يقضيها، ويودى شرط العبودية فيها وحكم على نفسه بالعجز و
التقصير معها واذ قد حرم المراد فانما يتمسك الا بالرغبة الى
الله في ان يتولى من مكافاته ما لا تستقل الايدي، ولا يفي به الا
مجده فهذا هو الكلام الذى ليس به عثار، ولا عليه غبار، وقد
ولى الفضل تحبيره، وملك العقل رسمه وتصويره، والقليل
منه على الكثير دليل، وكلام الجليل كقدره جليل، كما قيل

قليل منك يكفيني ولكن ؛ قليلك لا يقال له قليل

وقد اكثر الشعراء في مدحه لكني اثبت ابياتا للخوارزمي فيه من قصيدة اولها
زف المنام الى طيف خياله ؛ لو ان طيفا كان من ابداله، ولو
ان هذا الدهر نيكر لم يدع ؛ منكر الامير وقد غدا من آله ؛ لا ينقض
الالحاح نائله ولا ؛ سول امرئ ينهاه عن استساله ؛ الوفر عنه
نواله والنيل عند سواله ؛ والموت عند صياله والخلق من سؤاله، والجود من
عذاله والدهر من عماله وفعاله كفعاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله ؛
تجمع الآمال في امواله ؛ فيفرق الاموال في آماله ؛ لا علم

أمانة

الاعزم فی عزمه لا حلم الا حاله من حاله ، سمح البديهة ليس يمسك

لفظه ، وكانما الفاظه من ماله ، وكانما عزماته وسيوفه

في حده من خلقن من امثاله ، متبسم في الخطب يحسب انه ، من

حسنه متلثم بفعاله ، يجنى ونفيت بجمله عن فضله ، من ذا يفى

بالشكر عن افضاله   وله ايضا من قصيدة اولها

تلك الديار ونزلية الاحقاب ، صنعت بعيني صنع ساكبها بي

والى الاميرين الامير تواهقت ، رتجى الركاب براحى الركاب

لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه ، وغلوا الحاجتهم عن وغراب

والفجر نظرف والظلام كانه ، فضلات عتب في خلال عتاب

طلبوا امرا افضاله محسوبة ، ونواله فوضى بغير حساب

غدت المدائح وهي اسماء له ، ولغيره اصبحن كالالقاب

والمكرمات كثيرة الخطاب الا انما تاتي على الخطاب

متبسم الحجاب مكتئب العلى ، مثرى الندى مجاوز في الحساب

شيم ارق من الهوى والذ من ، خطأ العدو رددته بصواب

وعزائم لوكن يوما اسهما ، لنفذن في الايام غير نواب

ماشية الحركات الا انها ، نارية الاقدام والالهاب

قد اصبحت الفاظه صور النهى ؛ وقوالب الاسماع والالباب
يخطرن بين سياسة ورياسة ؛ ويهن بين مثوبة وعقاب
واذا اطلت له جبابا واحدا ؛ حل الموءمل منك الف جناب

وما آل ميكال الا كما قاله ابو الطمحان القيني

وانى من القوم الذين هم هم ؛ اذا مات منا سيد قام صاحب
نجوم سماء كلما غاب كوكب ؛ بدا كوكب تاوى اليه كواكب
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ؛ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقب
وما زال منا حيث كان مسود ؛ تسير المنايا حيث سارت ركائب

ومما يسد من مفاخره نجيبان له ابو الفضل وابو ابراهيم عبيد الله واسمعيل ابناء احمد كل منهما بدر فى ضيائه وعلائه، وبحر فى تياره ونمائه، غير ان ابا الفضل ابرع فى لطايف الادب، وانظم لقلايد العرب، وقد سار له من النظم والنثر ما يزرى حبره بوشى صنعاء، وزهره بروض شهباء، فمن فصول كلامه كتاب الشيخ وصل فاذعنت القلوب لفضله بالاعتراف، واختلفت الالسنة فى تشبيه بدايع الاوصاف، فمن مدع انه رقية الوصل، وريحة النخل، و منتحل انه عقد النحر، وعقد السحر، وسمط الدر، وقايل هو سلافة

هو سلاف العنقود و نظم العقود فاما انا فتركت التمثيل و سلكت التحصيل و قلت هو سماء فضل جادت بصوب الحكم و فشى طبع حاكه سن القلم و نسيم خلق تنفس عند روض الكرم و له ايضا وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع و ريط الوشي الصنيع فلقيته بحلية الاحسان و الابداع و حلة النواظر و الاسماع و مس الخواطر و الطباع و صيقل الافكار و الالباب و عيان المعاد و الاحباب و اجتليت منه تميمة فضل و نتيجة عقد و لطيمة عطر و غنيمة بر يجلو صفحة العهد و يجلو قدح الانس و يحل عن قدر الشكر كلام اعذب من فرات المطر و اعبق من فتات المسك و العنبر بذى نور الخمائل و قد عطرتها انفاس الشمائل و من منثور الفاظ اخلاقك قد اخذت من الورد عرفه و من الند عبقه اخلاق هى المسك لولا فارته و الورد لولا مرارته و الماء لولا اسراعه الى الكدر و الروض لولا حاجته الى المطر و جمة البدر لولا محاقه و المشترى لولا احتراقه هو عارمت العود كما من العلاء و له الشرف اليفاع و الامر المطاع و العرض

المصون في المال المضاع وله النوال السكب والرأى العضب فيه الآباء المر والكرم العذب هو واحد البشر وثاني المطر وثالث الشمس والقمر ورابع المسك والعود والعنبر لهفي على دهر الحداثة اذ غصن شبابي غض وريق ونقل شرابي عض وريق النعمة عروس كبرها الشكر وثوب صوائد النشر النعمة عنده تكلى من لوم اطماعه وتشتكي غربته وانسه وليّ المعروف سيف من الرعب في حلق مجرى مع الريح في طلق وادرت رحى الحرب بين اعمار تباح ودماء تستباح واجسام تطاح وارواح تسفي بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الاكباد والغة ومن نظمه قوله لقد راعني بدر الدجى بصدوده وكل اجفاني بدعي كواكبه فيا جزعي مهلاً عساه يعود لي ويا كبدي صبراً على ما كواك به ولهم صاحب في هوى قمر بقي القلب وما شعر ليت اجفاني به سعدت فترى الجفن الذي فتراته ولهم تفرق قلبي في هواه وعنده فريق وعنده شعبه فريق اذا ظمئت نفسي اقول له اسقني فان لم يكن راحك لديك فريق ولهم انكرت من ادمعي سوابكها سل جفوني هل ابكي سواكها

ولدت ان لي في الهوى لسانا كتوما ؛ وفوادا يخفي حريق جواه ؛
غير ان اخاف دمعي عليه ؛ ستراه يفشي الذي ستراه ؛
وقوله لنا صديق ان رأى مهفها لاطفه فان يكن في دهرنا ذو ابنة
لاط فهو آخر لاتفرحن بالحيوة ذائقه فكل نفس للمنون ذائقه
آخر وكل غني يتيه بغنيه فمرتجع لموت اوزوال ؛ وهب جدي
زوي لي الارض طرا ؛ اليس الموت يزوي ما زوى لي ؛ ؛
ومن الافاضل العلوية ابو البركات علي بن الحسين بن جعفر بن محمد
وهو الملقب بحور بن الحسين بن علي بن محمد وهو الملقب
بالديباج المدفون بجرجان بن جعفر بن محمد الصادق بن
محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب
امير المؤمنين رضي الله عنهم اجمعين نسب توارث كابر
عن كابر ؛ كالرمح انبوبا على انبوب ؛ وارى النجابة لاتكون
تمامها ؛ لنجيب قوم ليس بابن نجيب ؛ وقد جمع الله له بين
ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور الرياض جادتها
السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب لمن نثره
فصل له احب ان تكون مكاتبتي الامير انفا لم تؤتح

وبكراً لم تفترع وسائبة لا تركب ولا تحلب فلا اشو بها باب

ولا اتسبب اليها بسبب فعل من لا يشين ولاء ة طمعٌ ولا يشوب

دعواه عيب ولا طبع على ان الاضطرار يغير في وجه

الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار

والاحرار وفلان عسى يحقق الجواد ولقد نشر جرائد

شكره واظهر بحسن النشر خبايا بره فملاء الارض ثناء

والسماء دعاء وعادة الامراء ان يحيي الآمال ويسترق

الاحرار بالاموال فليجعل متكرما هذا الامل محظوظا ولا يجعله

محطوطا ان شاء الله تعالى وله ايضا رقعتي هذه وها انا عائد

معودٌ وقاصد بالزيادة مقصودٌ اخاطب صدقائي بالخطاب

واكاتب اخواني بالكتاب سمائي وقدة وارضي رعدة

تنتابني الحمى ولا يفارقني الشكوى نفسي نفساً ونفسي نفساً

كان الحول شاطرني فصوله فنلت غرته فجولته فالربيع

بين عيني وخيشومي والصيف كامن بين صدري وحلقومي

وما عرفت لعلتي هذه سبباً الا اني رايت نفس الحرية

متشكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم

عين الكرم والكمال متأذية فحملت عنها أذاها وقلت

متمثلا ونعود سيدنا وسيدنا غير إتيت للتشكي كان بالعواد

ثم ذكرت ما أعد الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد

فاستصغرت عند ذلك ما استعظمته وسهل مسلكي وان استوعرته

وقلت سبحان الله ما بتلك النعمة من العلة واعظم الشيخ بها أمانا

من القلة وأعمى عنه ناظر الزمان ولا طرق إليه فنائه طوارق

الحدثان وتمنيت أني واصلت غدوي برواحي في زيارة

الشيخ مشاهدا الحال وإقباله نحو البرء والإبلال وقد

حيل بين العير والنزوان وعلى حالتي هذه فإني استريح

إلى خبر سلامته وأحصل لنفسي به منية ولد أيده الله

بإهدائه إلي يدا ومنة وأيه في الحاقي به موفق إن شاء الله تعالى

ومن نظمه قوله وأغيد سجاد بالحاظ عينه :: حكى لي تثنيه

من البان أملودا :: سلحت بذكراه عن الصبح ليلة :: أسامر و

الكأس والناي والعودا :: ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها

كبا سط كفيه ليقطف عنقودا ::

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي إني أعتللت :: :: فذلك ذنب صغير صغير

وان كان هجرى من اجله .. فذلك ظلم كبير كبير

صدود ذلك عنى صدود الحيوة .. وصد سواك يسير يسير

فزيني قبلا تجد شاكرا .. لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقانق

فان كنت تهوى اليوم اكل اللقانق .. فبادر الى امثال جيد الغرانق

الى جامع اللذات طيبا وجودة .. قضى حقه طاهيه بصنعة حاذق

تراه على السفود عند صلائه .. كزنجي تزينت بحلى المخانق

فبعض تدلى كالوشاح وبعضه .. مسوط عليه في محل المناطق

فانجح لقيت الخير في حاج امرئ .. وفي بشرط الود غير ماذق

سَفُّود

ومن افاضل اضرابهم القاضى ابو القسم على بن الحسين الداودى بهراة

وهو عندى ممن يستحق ان يقال فيه ما قال الصاحب لبعض من كان يواليه لولا ان قدرة الله عندى جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله جاوز السبعين وناهز الثمانين واحد الايام منثورا ومنظوما وثانى الغمام معقولا ومعلوما تشبث للعلم خادما وشبا على الصلى مخدوما

فمن منثور كلامه فصل له من كتاب وصلت ملطفة

الشيخ فلطفت لغليل برد ته ووجه بصبغ الارتياح .

ودّدته بخبر سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان

والوسيلة الى السلوان ولم افصل كيف لا اعتد بصنع الله لى

في تخلية ودّه وعقيلة عهده وقد قبلني في الله اخا حين

عز الاخاء وعدم من بين الاوداء الوفاء وكاد لا تصدق

في وجود بها رايد ولا يظفر بها مضل ولا ناشد واصبح الصفاء

مخاتلة ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومتاجرة فكان المتحابون

في الله اقل من القليل والاسلام عليه رونق الشبيبة

وهو في بردته القشيبة ولم افصل من كتابه بكلامي في مخاطبة

الشيخ مماثل لانعكاس شعاع الناظر ورد الفوارة ماء الغمام

الماطر على المذهب الذي يذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة

ترد على المزن ما اسبلت على الارض من صوب امطارها

ولم من فصل كان كل مجلس من مجالسه للانس مرققا

وللازدياد مشوقا فكان مرة يا مظمئا ومرة مطفيا ماما

انشدت له من قلائد شعره وانكان كالحصى تنشيلا وتجل عن الاحصاء جملة وتفصيلا

ربّما قصّر الصديق المقل عن حقوق بهن لا يستقل

ولئن قل نائل فوفاء ... في وداد وخلة لا يقل
ارخ سترا على حقارة برى ... هتك ستر الصديق ليس يحل

وقوله قالوا ترفق في الامور فانه ... نجح ومرمى الدر بالابساس
ولقد رفقت فما خليت بطائل ... ما ينفع الابساس بالاتياس

خطيت

وقوله واخلاق كاطراف الزجاج ... رفقت بهن رفقك بالزجاج
الى ان عدن لى ذبد ابتهمه ... كذاك يكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية ابى سليمان الخطابي رحمه الله

انظر واكيف تخمد الانوار ... انظر واكيف تسقط الاقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي ... هكذا في الثرى تغيض البحار
اوحد الدين والمروة والفضل ... رمته بسهمها الاقدار
مات من لم يكن لدنيا فتك ... بحاجة ولا عليه اقتدار
هى مفترة اليه خداعا ... وهو دون افرارها فرار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له

ابا القاسم استعبدتني بتاليد ... تلاه بلا من لهن طارف
واضعفت شكرى حين ضاعفت انعما ... وقد يضعف الانسان المتضاعف
اتاني كتاب منك فيه طرائف ... يقبل من اطرافه الطرائف

بعنك

جمع طريف ... جمع طريفه

صحيفة احسانها تجري لحسنها ... سجوداً اذا ما لاحظتها الصحائف
فواصلني منها شبابا مشابها ... وطال المعنى منها زمان مساعف
فاصبح منه عاد لاوهو عابس ... وعادت رخاء ريحه وهو عاصف
ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي
الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن النقاب والبحر ابن البحر والبدر ابن الشهاب والنار
التي لا يخمدها الماء ذكاء والسيف الذي لا يألف القراب مضاء و
السعد الذي يلوح في السماء ذكاء وغناء فعطارد تلميذ افادته
والمشتري مشتري سعادته وثاقب النجم عبد دهائه وشارق
الشمس خادم دائه ودوائه خدم ابوه ابو طاهر حسام
الدولة ابا العباس تاش على ديوان اسراره بارعا في
الصناعة متناهيا في البراعة مخلوقا لفصل القول مرموقا بعين
الطول يناضل الصاحب اسمعيل بن عباد فيخرق عليه
قرطاس الاداب وينا جله في املاء الدلو الى عقد الكرب
مصعد لا المصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا الفارسي
يدانيه ولا السجع يسيح بعض مثانيه يجانس انجم النثر نثره و
يثاقب شعري الجوزاء شعره ومما بلغني عنه انه قال

بحسام دولته وصاحب جيشه وحاجب سدته ابي العباس فقد جمع
في هذا البيت خصائص اوصاف وضم الى واسطة المدح اقاصي
اطرافه دال على نبوة الاعجاز برهان الاختصار و
الايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فحداه نهج ابيه و
عداه موقف التشبيه فنما نمو الاشياء على طيب التربة والماء
ليس نمو القامة والضخامة لكن نمو هلال الظلم وقد نبت النار
فوق العلم وصفاء الخمر مشوبة على القدم وامتص بخدمة
الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج
الحجاب وناظر عين الباب فاعداه عنه حتى لبس الملك فضفاضا
وغني عن السواد وان كان عليه بياضا وانتقل بانتقاله
عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة
الى [illegible] المزكية في الامارة فلم يشركه من ابناء جنسه في
البزوغة اثنان وسلاحتي اعيا من بني عبد المدان فلا [illegible]
الى من نسج قلمه وحركه من كتاب خاطب بعض اخوانه
لعل الدهر [illegible] بطئ او نزع مع [illegible] الزمان مبادة الاخوان و
ارخى من صدر الوزارة بقلب ذا لحجارة فلم يزل ينال المراتب

حلاًّ لا للعقود قطًّا عًا للاواصر في العهود وكلّا أني ما ازددت إلا عُلّا

الا ازددت للصديق اتضاعًا ولا انال على الايام رتبة

الا ازددت الى الاخوان قربة غير من يصلف السلطان و

يبدل له الزمان ويذم عهدة الاخوان على اني ما نسيت

عهدًا او تناسيت وقلعت آخية الوفاء دون من آخيت فليست

انسى عهده ولا ارضى قطيعته وهجره اني وقد قيدني باياديه

الزهر واسترقني بعاليه الغر فما ادى له بديلًا ولا املك عنه

تحويلًا اعاذني الله ما بقيت من صدوده ولا سلبني طيب الانس

به عند وجوده وهذا القدر على مبلغ القدرة دال و

للمميز البارع متى قصد الانصاف في المدح والتقريظ مجال ومن زعايا اعيان

السلطان بناحية طوس وانكانت نيشابور دار قراره

ومعتقد ضياعه وعقاده ابو جعفر محمد بن موسى بن

احمد بن محمد بن ابي القاسم بن حمزة بن موسى بن

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان

الله عليهم اجمعين شعر نسب كان عليه من شمس الضحى

نورا ومن فلق الصباح عمودا. وقد خدم ملوك آل سامان

وعاشر وزرائهم وكتابهم والتقط محاسنهم وادابهم
فالفاظه ينابيع العلوم واقواله مرابيع العقول ومجالسه حدائق
الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم يبق يتيمة خطاب
ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة ولا طرفة
حكاية ولا فقرة رواية الا وهي عرضة خاطره وغرة
حاجبه ونصب تذكره ومثال تصوره لا تصداء صفحة فكره
ولا تندرس صحيفة ذكره ولا تنكسف بدر معارفه
ولا ينزف بحر لطائفه ثم هو واحد خراسان من
بين الاشراف العلوية في قوة الحال وسعة المجال و
اتساع رقعة الضياع وارتفاع قدر الارتفاع و
اشتداد باع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وقد
كتبت عنه من نوادر الاخبار والاشعار ما حكيت بعضه في
كتابي الموسوم بلطائف الاداب وساورد الان نكتا مما قاله
وقيل فيه ابياتا تنبئ عن غرر معاليه فمن شعره وشادن وجهه بالحسن مخطوط
وخده بمداد الخال منقوط :: تراه قد اجمع الضدين في قرن
فالخصر مختصر والردف مبسوط :: لو كان ادرك لوط النبي لما ينهى لنا

يثنى لنا ابدا عن مثله لوطر، ولَه فديت غزالى ملكى حقيقة،
يلذ به عيشى اذ نابنى همُّ ، جميل محيّاه وكالدعص ردفه،
لطيفٌ سجاياه وليس له خصمُ ، وقد اكثر الشعراء والادباء
فيه فمن ذلك قول ابى الفتح البستى انا للسيد الشريف غلام حيث
ما كان فليبلغ سلامى ، واذا كنت للشريف غلاما ، فانا الحر
والزمان غلامى ، ولابى الفضل الهمدانى المعروف ببديع الزمان
فيه انا فى اعتقادى للتسنن رافضى فى ولائك ، وان اشتغلت بهولاء فلست
اغفل عن اوليائك ، يا عقد منتظم النبوة بين مختلف الملائك ، يابن الفواطم
والعواتك والترائك والارائك ، انا حايك ان لم اكن عبداً لعبدك و
ابن حايك ، ولبعض اهل العصر فيه يهنيه عيد البرية عيد المهرجان
اتى ، اهلا لعيد اتى عيدا يهنيه ، العيد لالاوه يبقى الى امد
وعيدنا دايم الاحسان ما فيه ، لازال سيدنا فى ظل دولته ، باقيه
وظله دانيا من يواليه ، محكما فى رقاب الارض قدرته ،
يجنى له ثمر الاقبال جانيه ، اعشارة المجد واليسرى حلالا منه
خراجه الدهر والدنيا حواليه ، وبنى بنيسابور داراً تنافس اهل
العصر فى ذكر بنايها ووصف شرفها وسنايها فمن ذلك قول

ابى الفضل الهمدانى نظم دار سمت عراصها تحكى الاباطح و
الرصافه، بين المروة والنبوة والخلافة والضيافة، فيها الصفا
والمعاذف والسوالف والسلافه، لازلت يا دار الكرام مصونة
عن كل آفه، وفيها لابى عبد الله الغواص نظم
يا دار سعد قد علت شرفاتها، بنيت شبيهة قبلة للناس،
لورود وفد اولكشف ملمّة، اوبذل مال اوادارة كاس،
فهولاء اعيان رعايا السلطان فى الفضل الواسع والادب
الجامع ووراءهم من فرسان السعادة والخطابة واعلام البراعة
واحداث الصناعة من يسير حذف ذكرهم عن الذكر المقصود
بهذا الكتاب ولو استقرا اسامى المذكورين
الالانهم بالاضافة الى سائر اعيان البلاد افراد فى ارتفاع
المراتب واتساع الحظوظ والرغايب واضطراب الصيت فى
الآفاق وصوع الايادى قلايد الاعناق ونعود الى
ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة ووقايعه التى
رضيتها احرود الظبات وان سخطتها نفوس العداة
فننمى كل وقعة الى وقتها ويومها ونلحق شرح حالها بقومها

الى ان يوفى الكلام حقه من الاشباع فى الحروب التى جرت بين
السلطان وبين ايلك الخان. ذكر غزوة بهاطية ولما فرغ
السلطان يمين الدولة وأمين الملة من امر سجستان وسكن لرابضها
وانجاب عنه عارضها ارتاح لغزوة بهاطية فجرّ الجحافل مسوّمين
بشعار الهداة الثقاة ورايات الحماة الكماة حتى عبر سيحون من
وراء المولتان الى مدينة بهاطية فألفاها ذات سور تزل عن
موازاتها اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر المحيط فى الغور
البعيد والعرض البسيط، وهى مشحونة بملئ الوهم من عُدّة وعديد، و
معمول من حديد، وكل فيل كشيطان مريد، وعظيمهم يومئذ
المعروف ببحيرا فاستخفته العزة بما حوته يده للبروز من وراء السور
معوّلا باعداد رجاله، واستخصار فياله، ومتطاولا بباع الاقتدار فى
قتاله، وحضأ السلطان عليه نار الحرب ثلثة ايام بلياليها يرميه باعق
بين ظبى السيوف البوارق، ويقذفه بالشهب اللوامع، من شبا
الرماح الشوارع، وواصلها عليهم صبحة الرابع بضرب يطير الحواجب
عن العيون، ويزيل القنابل عن الشؤون، ورشق يدع الاجساد منا خل
بل مناخر قد انفجرت عروقها، واعيت على السكر بثوقها، حتى اذا توجت

[illegible]

الشمس رقة النهار، اهاب بالسيد على الكفار الفجار، فتجاوبت نغم التكبير
استنزالًا لنصر الله وتنجزًا لصادق وعد الله وحمل اولياء الله على
ذوى الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم، وارغمت بالذل انوفهم
واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين، ويقدّ الدارع
بنصفين، ويسقى ظماء الكفر من كؤس الحين، وملك عليهم فى تلك
السدة الواحدة عدة من الفيلة التى كانت يعتدها الكافر حصونًا
لقلبه، ويعدها سكونًا لقلبه، وتماوج الفريقان فى غبار تلك
الحملة بين نقف يثير ادمغة الهام، وطعن ينزف حشاشة الاجسام
واعلى الله راية السلطان، بل راية الدين والايمان، واهب
ريح النصر رخاء، واعاد شدة العيش رخاء، فولى المشركون
نحو المدينة اعتصارًا بسورها، وانحصارًا فى دورها، فاعجلهم
الطلب عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار وتساور افناء
العسكر على سدّ خنادقه، وهدم ونايقه، وتظافروا على تفسيح
مضايقه وتفتيح مغالقه، وقد كان بجيراحين غلت مراجل الحرب
واختلت مناجل الطعن والضرب، احس بالهون والعطب، و
شام برق الويل والحرب، فاندس فى عصابة من رجالة رجاله

للاحتجار ببعض الغياض والاستناد الى شعف بعض تلك
الجبال فسرّب السلطان كوكبة من خواصه فى طلبه فاحاطوا
به احاطة الإزار بالاعناق، وحكّموا فيه حدود البواتر الرقاق،
فلما رأى بُجَيْرا ما دهاه عمد الى خنجر كان فى خصره، فهتك به حجاب
صدره، وانتقل الى نار الله الموقدة التى تطّلع على الافئدة جزاءً
لمن كان كفر وتولّى، وبحد الآخرة والاولى، فلا صام ولا صلى
ولا سبّح ربّه الاعلى، نعم واقبل عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة
وغنموا الاموال الحاصلة وخصّ السلطان مائة وعشرين راسًا
من الفيلة بما يضاهيها من ذخاير الاموال والاسلحة ملكًا عزّ على
غيره مناله، وملكًا تطفّل على حُلّته جلاله، واقام بهاطية الى ان
طهّرها من انجاس اولئك الارجاس، وأذَّ ناس اولئك الانكاس
ونصب بها من يعلّم حملة الدين سُنن الاسلام، ويبيّن لهم طرق الحلال
والحرام، ثم كرّ الى غزنة موفور العَلاء منصور اللواء، عالى الراى
سائر الجدّ على خطّ الاستواء الا انه وافق منصرفه هوامى امطار
وطوامى انهار، وفوارع جبال، وقوارع اضداد وامثال، فاستغرق
الغرق جلّ اثقاله، وشمل الغرق جملة من رجاله، ووقاه الله آفة تلك

المسافة ومهالك تلك المسالك وهو يتولى الصالحين وقد
كان ابو الفتح على بن محمد البستى ينكر حركات السلطان بنفسه
فى تلك المقاصد براى يستمليه من عطارد وحقا لقد كان يقول
ما تشهد به العقول ولكن اذا جاء بهرام والسيف الحسام و
البطش والاقدام قد سقط الكلام وبطلت الصحف والاقلام
وانشدنى ابو الفتح لنفسه فى هذا الباب

الا ابلغ السلطان عنى نصيحة ، يشيعها ودّ ورأى محنّك
تجاوزت اوج الشمس عزّا ورفعة ، وذلّت قسرا كل من قد تملّكوا
فما حركات متعبات تديمها ، بان فاوج الشمس لا يتحرّك

وهذه مسئلة يتنازعها الاوائل فمنهم من يجعل لاوج الشمس
حركة كساير حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروه
ببراهين هندسيّة واشكال

ذكر غزوة المولتان

قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حال والى المولتان
ابى الفتوح فى خبث نحلته و دخل دخلته ودحض اعتقاده و
قبح الحاده ودعائه الى مثل رأيه اهل بلاده فانف للدين من
مقارّته على فظاعة شره وشناعة امره واستخار الله الخائر فى

في قصده لاستنابته و تقديم حكم الله في الإيقاع به وامر بضم
الاطراف وكف الذيول وجمع الخيول الى الخيول وضوى اليه من
مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى
الحسنيين في الازل وثار نجم المولتان عند موج الربيع بسيول الانواء
وسيح الانهار بفضول الانداء وامتناع سيحون واخواتها على
ركابها واستصعاب متونها على اصحابها فطلب السلطان الى اندبال
عظيم الهند ان يطرق له في مملكته الى مقصده فتمنع وتمرد واخذته
العزة باللوم فابى وتشدد وراى السلطان غرة الراي في دهمة
ذلك الخطب ان يبدأ به على عزة جانبه فيبتل صليفه ويبيح
عرنينه ويمزق لفه ولفيفه جامعا بين غزوتين وقاطفا جنا
الجنتين فبسط عليه ايدي القتل والايثاق والنهب والارهاق و
الهدم والاحراق يلجيه من مضيق الى مضيق وينغيه من طريق الى
طريق طاويا عليه بلاده طي التجار بحضرموت برودا الى ان ضجرت
القنا من هتك حلق الدروع وسكرت الظبى من رشف علق
الاحشاء والضلوع وركب اثره في اعوار دياره واعماق رباعه
يتجشم حزونات السهول وقضقض الاماعز ويفري عليه وحوش الجو

بين ضيق المداخل ورحب المفاوز حتى اضمرته نواحي قفير
ولما سمع ابو الفتوح والى الملتان بما جرى من امر عظيم الهند
وهو الوجه الرفيع والسد المنيع والسيف الصنيع قاس باعه
بشبره وذراعه بفتره وايقن ان رعن الجبال لا يطال بهضبات
القود ونزق البزاة لا ينال ببغاث الطيور فاعجل نقل امواله
على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى الملتان للسلطان يفعل
فيهاما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا بالله على ما احدث
في دينه او حرّفت بتوهينه فاذا اهلها في ضلالتهم يخطون
وفي طغيانهم يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى
الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فضرب عليهم بجران
المحاجرة وكلكل المناجزة جزا للغلاصم وبتكا للايدي
من المعاصم وارصادا لهم بالفاقرات القواصم حتى افتتحها عنوة
وشحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم يرخصون
بها ذخر استعصائهم ويدلون عن القينهم هجنة استتارهم
واباثهم وعبر ذكره بما اتاه الله من نصرة الدين واثارة معالم اليقين
عرض البحر الى ديارات المصر حتى درست بها مقاماته التي

المحاصرة

التي لم يُرْوَ مثلها عن ذي القرنين الى حيث انتهى من امر السدّ
وارتعدت فرايص السند واخواتها حذار بطشه وانتقامه
وخفتت بما نجوى الالحاد وطمست صوى الغي والعناد فلله
در ابي تمام حيث يقول

كرمت غزوتاك بالامس والخيل ✻ دقاق والخطب غير دقيق
حين لا جلدة السماء بخضرا ✻ ولا وجه شتوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم ✻ لخمر الصبوح خمر الغبوق
معلمات كانها بالدم المهراق ✻ ايام النحر والتشريق

ذكر عبور عسكر ايلك الخان

قد كانت الحال في الالفة قايمة بين السلطان وبين ايلك
الخان الى ان دبّت عقارب الفساد في ذات البين وانتقض
الحبل الساكن واشتعل الجمر الهامد وراعى ايلك فرصة المجاهرة
بسرّ المكاشرة حتى اذا اصمد السلطان صمد المولتان وغارت
نحو تلك البلاد راياته وخفّت عن اعيان رجاله ولاياته
سرّب سباشي تكين صاحب جيشه واحد قراباته الى كور خراسان
في معظم اجناده وشحن بلخ بجعفر تكين وعدة من قواده وكان

والى طوس ارسلان الجاذب مقيما بهراة مأمورا بالانحياز
الى غزنة متى نجم ناجم عناد او نعق ناعق بفساد فاسرع الانقلاب
اليها اخذا بوثيقة الحزم فى ترك القتال وتربصا بالحمل غاية
الفصال وورد سباشى تكين هراة فاستوطنها ونصب الحسين
بن نصر لصحابة الديوان بنيسابور فرتب العمال واصل الاستخراج
وما يليهم كثير من اعيان خراسان لاستخفاء خبر السلطان
من جانب مولتان وتناقل الالسنة اهواء القلوب ونوازع النفوس
اخابير زور واراجيف غرور وامر الوزير ابو العباس الفضل
بن احمد بالاحتياط عن الطريق بين غزنة وحدود باميان
وبنجهير وسدها بحماة الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة
مراكبها فطير النذير الى السلطان بما انبث فى اطراف البلاد
من حياة العداة وعقارب الغواة فاعجلته بديهة البلاغ
عن استتمامه وازعجته غلبة الحمية عن مقامه فركب ركوب
العاصف كالجهام الفارغ يطوى الارض طى المهارق
بين ايضاع وايجاف واهتداء واعتساف وبين سهول و
ظراب وسهوب وشعاب حتى القى عصا القرار بغزنة واقام العطاء

الجهام الفارغ

لابناء دولته وأنشاء جملته وملا ايديهم بالعطايا والرغايب

وازاح عللهم بالمطايا والركايب واستنفر الاتراك الخلجية

احلاس الظهور وابناء الصوارم والذكور نفر منهم شعر

جن على جن وان كانوا ابشر، كانما خطوا عليها بالابر

وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين فاسرع الكر الى الترمذ اشفاقا

من صغمة الضيغم الحادر واحترا ما من وثبة الارقم الثائر واستقر

السلطان ببلخ موفور الانس والجذل كما يحتل صفحة الشمس من

برج الحمل وامر باتباع سباشى تكين بارسلان الجاذب فى زها

عشرة آلاف من ابناء الكفاح ومنحة الارواح باشطان الرماح

وسارع سباشى تكين نحو الوادى للعبور فلم يرعه الا العاديات

ضوابح والموريات قوادح فكر على ادراجه حايرا عايرا وعطف

على مرو على ان ينسرح منها الى الشط على سمت المفازة فاذا

الابار مرذومة والمناهل مطمومة وودیقة الصيف مسعورة و

اذيال السوافى على المعالم مجرورة فاستنى سرخس وبها المحسن

بن طارق رئيس الاتراك الغزية فاحرق به احنقا فاسد عليه

باب الهرب وضيق دونه وجه المجال والمضطرب فما نفعه ما قيد

ثم ظفر به سباشی تکین فقدّه بنصفین بعد ان قتل منهم مقتلة
عظيمة من الجانبين واعجله ارتداف ارسلان الجاذب اياه عن
فصل المقام وروح الاستجمام فارتحل الى ابيورد ومنها الى نسا و
بينهما مرحلة واحدة كلّما صدر هذا ورد ذاك ومتى ظعن ذاك
اناخ هذا يتقاسمان مراد الطلب والهرب جلوسًا ولا يردان المياه
الا لمامًا وقد كان سباشی تکین قد حصّل صدرًا من المال و
الاسلحة من نواحي هرات وغيرها فصارت عقلة له دون الخفوف
في وجه النجاة فهو يتيا من مرّة ويتياسر اخرى منكوسا على راسه خوف
العار من اسلام ما بردت به يده واعياه الخلاص بحشاشة النفس
اخيرا الا بافرازه عن جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب
ارسلان الجاذب من نسا رحل عنها متوجها نحو سبستان فازعجه
الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين الاجام الملتفة والغياض
المحفة والمخارق المضطربة وتسلط الكرا كلة على اثقاله وافنا
رجاله حتى فنت نكاياتهم فيه واستامن الى شمس المعالي قابوس وشمكير
طوايف من اهل جملته لعدم المراكب وذهاب الحرايب وانفل
هو على سمت دهستان حتى عاد الى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الا

الانفال فاصدرها الى خوارزمشاه ابى الحسن على بن مامون يستودعه
اياها امانة لايلك الخان قبله وحذره ان يمد اليها بغير الصيانة
يده واصحبها رجالة عسكره والعجزة منهم عن صحبته واقتحم المفازة
متوجها نحو مرو وقد كان السلطان اتخذ الى طوس مراعيا بعد ما ابتعد
عنه ركض ارسلان الجاذب على اثره والصاقه الطلب الحثيث به فلما بلغه
ركوب سباشى تكين عرض المفازة على طريق مرو معارضا له فى مسيره وناقضا عليه
تدبيره فوصل اليه تخلصه عن وعثاء تلك البيداء ورماه بابى عبد الله
محمد بن ابراهيم الطائى زعيم العرب وبساير قواده رجال بيرون
الملاحم ولايم والوقايع نقايع وسيوف الضراب غرايس
وصفوف الكماة فرايس فكان كما قال سعيد بن حسان
فررت من معن وافلاسه ** الى اليزيدى ابى واقد
فكنت كالساعى الى مثعب ** موائلا من سبل الراعد
واحاطت به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهى ناضبة
ولا مرعى الا الشكايم اللجم وهى عاضية واسر اخو سباشى تكين
فى نهاسبع مائة من وجوه الاتراك وزوت القواد وامر
السلطان بقراحولياتهم فافرعت قيودا الكعابهم وجوامع

المفازة
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لرقابهم وحملهم الى غزنة ليرى اهلها حسن صنع الله فيمن
شاقه ونقض عهده وميثاقه ونجا سباشي تكين في خف من
العدد بجريعة الذقن فعبر جيحون الى ايلك وقد كان ايلك عزل
جعفر تكين في زهاء ستة آلاف رجل الى بلخ ثانياً لاستفساد عزيمة
السلطان في قصد سباشي تكين واخراجه فتهاونوا بهم حتى فرغ
الخاطر من امره ووضع ما انقضه من الشغل عن ظهره ثم ثنى
العنان اليهم شداً اغض الهوى بغباره واستغرق اوقات ليله
ونهاره فلم يرعهم الا راياته باجنحة النجاح طايرة وخيوله
في صهيل المراح سايرة وكمن لهم السلطان فلما راوا الكين انقلبوا
منهزمين يحتمون دعوة الخلاص بآمين آمين وتبعهم صاحب
الجيش ابو المظفر نصر على ساحل جيحون كاسعاً لادبارهم ومثخناً
في اعمادهم الى ان عبروه فسلمت خراسان من عيث سوادهم
وخلت من مبثوث جرادهم فاضطرب الايلك خفا لما جرى
على عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة فاستعان بقدر
خان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة وشيجة واستجره بجنى مسئلة
الى ثاره مستظهراً بنصرته وظهارة فاستجاش احياء الترك

من مظانها وحشر بنی خاقان من اقصی بلادها واستنفر قهاير
ماوراء النهر فی جیوش تجل عن الحد والحصر وسار فی خمسين
الفا او یزیدون حتی عبر جیحون مدلا بعسكره المايج ولبطشة
الهايج ومعتضدا بقدرخان ملك الختن ذی العدة والعديد
والباس الشديد والايد المتين والبسط والتمكين فی رجال كالنخل
والفوالج فوق البحور الموالج عراض الوجوه خزر العيون فطس
الانوف خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من خلق
الدروع يحملون جعابا كخراطيم الفيول محشوة بنبال كانياب الغول
ولما سمع السلطان بعبوره فی جمهوره وهو اذ ذاك بطخيرستان
سبقه الی بلخ فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليها ممانعته
ومنتحيه واستعد للحرب فخرج السلطان فی عساكر الترك
والهند والخلج والافغانية والغزنوية ابناء الجد والصدق و
ابناء المشق والرشق الی معسكره علی اربعة فراسخ من البلد يعرف
بقنطرة جرخيان وسيع المجال علی الرجال رحب الفضاء
علی الدهماء وزحف ايلك الی محاذاته فی عدده الدهم وعسكره
المجر فطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم علی رسم

الطلايع امام الوقايع الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس
على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات
والبحار الزاخرات ورتب فى القلب اخاه صاحب الجيش نصرا و
والى الجوزجان ابا نصر احمد بن محمد الفريغونى وابا عبد الله محمد
بن ابرهيم الطائى فى كماة الاكراد والعرب وساير جماهير المنوح
ومساعير الجنود ورتب فى ميمنه حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش
فيمن يرسمه من اعيان الرجال وفرسان الزحف والصيال و
ندب لليسرة ارسلان الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال
ورجوم القتال وحصن الصفوف بزهاء خمسمائة من فيلته التى
تميد الجبال من اثقالها وترتج الارض بزلزالها واقبل ايلك
فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان
ميمنته فى اتراك الختن بين آجام العوامل والجنن وشحن
جعفرتكين ميسرته بكل اليس كالشجاع المحرج والحسام المرهف
بين وقايات الزغف والحجف وتحامل بعضهم على بعض فخيلت
المعركة سماء غمامها مثار القسطل وبرقها بريق البيض والاسل
ورعودها صليل السلاح ورشاشها صبيب الجراح واستنزل ايلك

ايلك عن صهوات الخيول الى صعيد الارض نهاء الف
غلام يفلقون الشعور انصافا وينصبون وسايط الاهداف
اشرافا فشكوا بالنبال تهافيف الفيول وشقوا بالنصال سرابيل
الخيول ولما جد الامر واحتد الجمر واعضل الداء واستفحل
الاعداء وزحزوا دى الحطب بمره وكاد يخرج بادى الشرعن جره
نزل السلطان الى صعيد ربوة كان يشرفها لتدبر عطفات الحرب
وتدارك نزوات ذلك المركب الصعب فوضع لله خده وعفر
شعره وارسل دمعه وقدم نذره ودعا الله ان يحرس ملكه
ويحسن فلجه ونصره ثم وثب الى فعرته من نيلته المختبلة فحمل بها
ولساير خاصته على قلب ايلك فاهوى الفيلة الى صاحب رايته
فاختطف بها من سرجه ورمى به فى الهوى من فوقه وتخلل
الاخرين خطما بخرطومه وشكا بانيابه ودوسا باظلافه وانثال
اولياء السلطان على الاخرين بسيوف تلغ فى الدماء وترشف
اساء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت قوائم هباء
وولوا على اعقابهم نازفين وتبعهم الطلب بظبات القسر والقهر
الى ان لفظتهم خراسان الى ما وراء النهر ولقد احسن ابو الحسن السلامى
وذلك فى شهور سنه سبع وتسعين وثلمائة م

عصفات الحرب
ثم وثب ... طفره ... مركبه
السريه السوه
تدارك وثبات

فى قوله فكانما وصف حاله ومدح اثاره وافعاله

باسيف دين الله ما ارضى العدى ٭ لوان سيفك مثل عدلك يعدل
ما ان سننت لهم سنانا فى الوغى ٭ الا اطل عليه منهم ابطل
والروض من علق النحور مضرج ٭ والماء من ماء الترائب اشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرز ٭ والارض فرش بالجياد مخيل
يهفو العقاب على العقاب وفى ٭ بين الفوارس اجدل ومجدل
وسطور خيلك انما الفاتها ٭ سمر تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح السلطان يمين الدولة وامين الملة ابو القاسم الحسن بن
عبد الله المتوفى بقصيدة اولها خفيف

ظهر الحق ثابت الاركان ٭ صاعد النجم عالى البنيان
وهوى الزيغ ذو النكث والبغى واهل العناد والطغيان ٭ بنا
ما الذى غرهم بمحمود المحمود اخباره بكل لسان ٭
بابى القسم المعظم ظل الله فى الارض صفوة المنان ٭
من مناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والاحزان ٭
من راه فى النسب قال استفاد النور من وجهه النيران ٭
ملك صار من مضى من ملوك الارض اسقاطا وجاء عين المعانى ٭

نحر المشرقان بالخط منه ، واستطالا فاشتاقه المغربان
جمع الله فيه وهو قدير ، عالما للكمال في الجثمان
ملك عادل فادل ضعيف ، واخوه في حكمه سيان
ملك وهو في الحقيقة عندي ، ملك صيغ صيغة الانسان
اخذ الهند باليماني ويحوي ، يمنا ان اراد بالهندواني
سيفه والمنون طرفا رهان ، نحو حلق العدو يستبقان
خذ يمينى بان سيحضع حقا ، لليمين كل سيف يماني
لو عصا خوزع تسمى اليمنية ، ظلت تحيك في السندان
غاب عن غابة الهزبر لغزو الهند مستنزلا رضى الرحمان
انا سيفه الحسام عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان
رق اجولبا نكر كيد سحر ، فاذا جاءت العصا فهو فان
فسبى واستباح واجتاح ... وحل النكال بالاوثان
وانثنى قافلا وقد ملا الايدي فيئا وفاض بالرضوان
فسطا باسمه بطاغية الترك ، واهل النفاق والعصيان
طلعت رايته لذ فقولوا ، كعبادية قتله بن بنان
كم قتيل وكم جريح وغرقى ، واسير في القيد ذي اسفان

طار ايدي سبا عسا كر ظنوا ٭ انهم ملكوا على البلدان
خطبوا الملك فاعترتهم خطوب ٭ جرعتهم مرارة الخطبان
فبخوارزم في التجون الوف ٭ والوف تهيم في جرجان
وبمرو وفي القفار سواها ٭ جيحون قتلى ماكل الحيتان
جزر السباع في كل فج ٭ طعم النسور والعقبان
بارك الله ربنا في خميس ٭ رد عنا خميس الف عنان
شربوا السم عام اول لما ٭ عبثوا للشفا بلا اعوان
ثم عاد واتى العام بالعسكر المجر من الحور والملاح الحسان
فابى المرد فوق جرد المذاكي من جناديه اومن الخصيان
بوجوه مضيئة كبدور ٭ طلعت جنح ليلها الاجفان
صادموا الصخر بالزجاج فظنوا ان يصيد والاسود بالغزلان
قل لعمري يكون ذاك ولكن ٭ ليس في كل موقف ومكان
وهو شمس النهار فوق سرير ٭ الملك وصدره في الايوان
وكتب ابو الفضل الهمداني البديع الى الشيخ الوزير ابي العباس
هذا ورب الكعبة آخرها في الجعبة لقد انضف رامي القارة
ومحي السيف ماقال بن دارة ثم لا نزوة بعدها للترك ولا

ولا تحلم بعدها بالملك لقد كان السلطان اذ عفّر لله شعره وعرض لله فقره وفوض الى الله امره واخلص لله نذره و ناهض بالله خصمه وسال الله حوله ولم يعجبه كثرة الملاء حوله سدد الله بذلك ازره وقوى امره واعز نصره واقطعه عصره واطمعه ملكه واورثه ارضه ان الظفر باسبابه والموفق يأتي الامر من بابه وله فضل منه انه الجلاد ثم البلاد ساكنكم لا يحطمنكم سليمان كتب الله ليغلبن السلطان وراءك ان السيف امامك وخلفك ان الموت قدامك وارضك ان تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم ان المغاري صارت مخازي الا رب ركض نادم ورب شوط نالم ورب عبور الى ثبور ورب طمع يهدي الى طبع الا ان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها و على السنة ذماءها وعلى النفوس دماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشأ الناس نشأ حديثا وعقد الملك عقدا اطريفا فما اولى يومه ان يتخذ عيدا ويجعل في المتصرفات تاريخا وليس العقد

مع الله بانشوطه فا وفوا الله عهده كخاصه فكم وعده وانما
عهده عند السلطان ان يحسن النظر وعهده عند الشيخ الجليل
ان يحسن المحضر وهراة من البلاد شيعة هذه الدولة وعيبتها
فان حُطّ عن جملها العلاوة واُزيل عن عبرتها الاثارة فلله هذا
النظر ما احلى ثمارة واكرم اثارة فلما وضعت هذه الحرب
اوزارها وافاضت غرة النصر انوارها سنح للسلطان ان يثنى
اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف بنواسه شاه احد
اولاد ملوك الهند كان نصبه ببعض ما افتتحه من ممالكهم
لخلافته على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها اذ
كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد فى حافرة الشرك وانسلخ
عن جلدة الاسلام وراطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين
والانفصام عن عروة حبل المتين فعنّ له ان يركض من فوره اليه
وصبّ سيوفا تقطر من دماء مخالفيه عليه ركضا بادر افواج
الرياح واختصر اوقات الاظلام والاصباح حتى نفاه عن
مثواه وملك عليه جملة ما حواه واعاد تلك البقاع بهجة ملكه
وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بحدّى سيفه وسنانه فذلك

برهاناً من الله في اعلاء دولته واشاعة دعوته واعزاز نصرته وافلاج حجته ويسر الله له الانقلاب الى غزنة مظاهراً له بين نصرين يتجاريان فخامة وجلالة ويتباريان نباهة وجزالة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر فتح قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ان فتح الفتحين واقتدح النجحين عرّج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله على النعم المتاحة واقام بها شاحذاً عزيمته لغزوة اخرى يرفع بها حدود الاسلام ويتعفر بها خدود الاصنام وينكس عندها راية الشيطان في رحل للغواية شدّه، وحبل للضلالة مدّه اذ كان بعد همته يسوم خلاف الطباع البشرية في استحسان المضجع الوثير واستحباب الشوك على الوتير واختيار قرع الاسنة والعوالي على نقر المثاني والمثالي وترجيح حدود البيض القواضب على خدود البيض الكواعب كل ذلك لمجد يبتنيه وصيت يقتنيه وعز يحويه وسعي يتقرب الى الله به وفيه حتى اذا انسلخ شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة استخار الله

فی اتمام مارامه واسراج ماتولی الجامه وسار متوکلا
علی الله الذی طالما اطعمه نصره وعرفه صنعه حتی اذا انتهی
السیر به الی شط ویهند لاقاه ابرهمن بال بن اندبال فی جیوش تجیش
بسود الرجال فی بیض الصفاح وزرق الرماح وزهر الدروع
وذکن الفیول وافترت الحرب عن انیابها العضل وتوالت
الحملات کما تتهاوی لوامع الشهب وتترامی نوازع السحب
ودارت رحی الطعان والضراب طاحنة کل ندب شجاع و
قرم مطاع وامتدت الوقعة من طفولة النهار الی کهولة الطفل
حتی اکتست الارض لون الشقائق من دماء الطلی والعواتق وکادت
تدور للکفار دائرة لولا ان الله اعان السلطان علی حملة فی
خواص غلمانه کبعت ادبارهم ومحت عن ساقتهم اثارهم و
اغنمه ثلاثین فیلا کاشخاص القصور بل کامواج البحور
واقبل اولیاؤه یحسونهم ای یقتفونهم من بطون الاودیة و
الشعاب وظهور الفیافی والهضاب واذعن السلطان بنفسه
اثره بین تلک المهارب متنجزا وعد الله فی نصرة دینه وقتل کل ذی
نفاق وشقاق الجبینه فافضی به الطلب الی جبل تغرا حصن قلعة تنیت

علی مقاماتهم

بُنيت على حرف طود رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك
الهند واعيان اهلها وجماعات النساك ذوى الاملاك
بها يدخرونها مخزنة للصنم الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد
قرن من انواع الذخاير واعلاق الجواهر ما تخف اوزانه و
تثقل عند السوم قيمة واثمانه عبادة بزعمهم لما يفيدهم الحسنى
ويقربهم الى الله زلفى فصادف السلطان منها ثمرة الغراب
وربة الاحقاب ما لا تقله ظهور الجمال ولا تسعه اوعية الآمال
ولا تنسخه ايدى الكتاب ولا يدركه فكر الحساب فحشر عليه
جنوده وضرب حواليها بنوده وانبرى لقتال مستحفظيها
بقلب جرئ وانف حمى وعزم ذكى وبطش قوى ورأى بالصواب
ورى ولما راى القوم غصص تلك الجبال بمغاور الجنود
وتطاير النبال صعدة اكثر الوقود واستفزهم الرعب والوجل
والوى باحلامهم الخوف والوهل فتخيلت ابصارهم تلك
الرتوق فتوقا وهاتيك السدود فروجا والسكور بثوقا وسحرتهم
دولة السلطان فهرتهم كلاب الادبار والخذلان واعيتهم
وجوه الامن والامان الا من جانب الاستيمان فتنادوا

الجمال

الشعاب

جميعا بشعار السلطان وفتحوا ابواب القلعة وجعلوا يتساقطون

الى ارض الامان كالعصافير اخرجتها البواشق والغيوث

جادتها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان فتحا

يسيرا واتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه ملأ مقترح النفوس من

بنات المعادن والبحور وزائنات الغنم والنحور ما اودعها

الزمان اكناف الاعوام والشهور ودخلها والى الجوزجان

ابى نصر احمد بن محمد الفريغونى وسائر خواصه وكل حاجب به

الكبيرين التونتاش وارسلان بخزاين العين والورق وسائر

ذوات الاخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجواهر

فنقل منها ما اقلته ظهور رجاله واستحمل سايرها اعيان رجاله

وكان مبلغ المنقول من الورق سبعين الف الف درهم

شاهية ومن الذهبيات والفضيات سبع مائة الف و

اربع مائة من وزنا ومن اصناف الثياب التسترية والديباج

السوسية ما انطق مشايخ الزمان والطاعنين فى الاسنان

انه لا عهد لهم بامثالها صنعة وتفويفا وتوريقا وتلطيفا

وفى جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء كقابيوت الاغنيا

طوله ثلثون ذراعا فى عرض خمسة عشر ذراعا صناع مفروزة
مهيّاة للطى والنشر والنصب والحط وشراع من ديباج
الروم اربعون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا بقايمتين من
ذهب واخريين من سبيكة فضة ووكّل السلطان
بتلك القلعة من ثقاته من يراعيها ويؤدى امانة الاستحفاظ
فيها وكرّ عايدا الى غزنة فى ضمان النصر والاظهار وقران اليسر
واليسار ولما مسّت عصاه جانب القرار بها امر بساحة داره
ففرشت بتلك الجواهر من درر كالنجوم الثواقب قد سلمت عن ايدى
الثواقب ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود والخبوّ ومن
زبرجد كاطراف الآس نضارة او ورق الاقحوان خضارة،
ومن قطاع الماس كمثاقيل الرمان فى المقادير والاوزان،
واجتمعت وفود الاطراف على ادراك ما لم يروَ فى كتب الاولين
اجتماع مثله لاحد من صناديد الفرس ومولك العجم والروم
وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان ملك الترك اخى ايلك
فراوا ما لم تره العيون ولم تبلغه الظنون ولم يملكه قارون
صنع الله الذى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون

ومن قوله ...

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون ايام آل سامان يتوارثها
كابر عن كابر ويوصي بها اول الى آخر وهم اشراف النفوس
والهمم كرام الاخلاق والشيم وطاء الاكناف لنزاع
الاطراف خضاب الرحال لوفود الآمال دأبهم احلال
قلائد الآداب ورفع درجات الكتّاب وافتراض حقوق
الاحرار واغلاء اسعار الاشعار فكم من غريب آواه احسانهم
ومن اديب اغناه سلطانهم ومن كسير جبره انضافهم ومن
حسير انهضه عطفهم والطافهم وكان ابو الحرث احمد
بن محمد غرة تلك الدولة وانسان تلك المقلة وجمال تلك الجملة
وطراز تلك الحلة بما اوتي من كرم خصيب وكنف رحيب
وشرف رغيب ومرتقى همة بعيد ومستقى نائل قريب وقد كان
الامير سبكتكين خطب اليه كريمته على السلطان يمين الدولة و
امين الملة ثم اوجب لولده ابي نصر محمد بن احمد بن محمد كريمة
له فالتحمت اللحمة واشتبكت العصمة والتحمت الوثايق واستحكمت
الاواصر والعلايق ولما مضى ابو الحرث لسبيله ورثه ابو نصر ابنه

ابنه فاوجب السلطان اقراره على ولايته ايثارًا له بفضل
رعايته وعنايته الى ان قضى نحبه فى شهور سنة احدى و
واربعمائة واقرأنى ابو الفضل احمد بن الحسين الهمدانى المعروف
بالبديع كتابًا له اليه جعله مقدمة الوفود عليه فنال به من رغائب
الايادى ما ملأ يديه كتابى والبحر وان لم اره فقد سمعت
خبره، والليث وان لم القه فقد تصوّرت خلقه، والملك العادل
وان لم اكن لقيته فقد لقينى صيته، ومن راى من السيف اثره
فقد راى اكثره، ومازلت ايّد الله الامير اسمع بهذا البيت
القديم بناؤه، الفسيح فناؤه، الرحيب اناؤه، الكريم آباؤه،
النجيب ابناؤه وانشد من هذه الحضرة ضالّتى والعوائق يمنة و
يسرة، تريني حسرة، والزمن العنود، يقعد بى ويثور، وكم من عام
عزمت وابت المقادير، ونويت وعرضت معاذير، والآن
لما وفّقت لهذه الزيارة اختلفت علىّ اخبار الملك العادل فى
مستقرّه واختلفت باختلافها مرة فى قوس الطريق ومرة فى
وتره على اقتفاء اثره حتى بلغت مبلغى هذا ثم وسوس الى الشيطان
تقدير مقلّد انى اقصد هذه الحضرة طامعًا فى مال اوطامحًا الى

يريد ببابك رسم الاخلاق ومحاسن الصفات فى العفو والافضال والنبل والكمال وهى خلائق الادباء ومقصود الشعراء

قوس الطريق لكونه معوجة وتره مستقيم يشبه بالقوس فى [illegible] وبالوتر فى جهة الاستواء

نوالٍ وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كادت تثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما اتاه وخلاني ان يكون وانا انشد الله الذين ان لا تتصرف في قصدي الا الى معرفة أوقعها وحزمة أودعها ومدحة أسمعها ورجعة أسرعها ثم أدخر هذه الدولة لمملكة اغصبها، او راية انصبها، او كتيبة اغلبها، او دولة اقلبها، فاما الدرهم والدينار فدفعهما الي ونزعهما من يدي، سواء لدي لا اشكر آخذها، ولا اشكو سالبهما، ان لي في القناعة وقتا، وفي الصناعة بختا، لا يبعد منال المال اذا اردته، ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب مهما قصدته بل يجيئني فيضا ويتطفل علي ايضا وهذه الحضرة حرسها الله وان احتاج اليها المأمون، ولولد عنها قارون، فان الاحب الي ان اقصدها قصد موالٍ لا قصد سوال، والرجوع عنها بجمال احب الي من الرجوع عنها بمال، وقد مت التعريف، وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير لضيف ظله خفيف، وضالته تشريف لا رغيف فليزجر لنا للاستقبال طاير الاقبال وكرفيه لما اصل عن فنائه

مستقلاً بنعماته

الم تر انّى فى سفرتى ، لقيت الغنى والمنى والاميرا
ولمّا ترى اى شميت التراب ، وكنت امرءاً لا اشمّ العبيرا
لقيت امرءاً املاً عين الزمان ، يعلو سحاباً ويرسو ثبيرا
لآل فريغون فى المكرمات يدٌ ، اولاً واعتذارٌ اخيرا
فلا يعدم الملك ذاروهة ، بمنّ المنى ويسرّ السريرا
اذا ما حللت بمغناهم ، رايت نعيماً وملكاً كبيرا

ولابى الفتح البستى فيهم

بنو فريغون قوم فى وجوههم ، سيما الهدى وسناء السودد العالى
كانما خلقوا من سودد وعلا ، وسائر الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا اجلّهم ، قدراً واسخاهم بالنفس والمال
ياسائلى ما الذى حصّلت عندهم ، دع السؤال وقم فانظر الى حالى
الا ترى انّ حالى كيف قد حليت ، بهم الم تر حالى عند ترحالى
فان اكن ساكتاً عن شكر انعمهم ، فانّ ذاك لعجزى لا لاغفالى

ذكر امير المومنين القادر بالله وانتصابه منصب ابائه الراشدين بدار السلم واستقرار الامامة عليه

وانعقاد البيعة لمن بعد الطايع لله وما اشتبك
من الحال بين السلطان يمين الدولة وامين الملة
وبين بهاء الدولة وضياء الملة ابى نصر بن عضد
الدولة فى زمانه قد كان بهاء الدولة وضياء الملة
ينقم من الطايع لله امورًا الصدرها فيها من غير وفاقه وعدل
عن حكم استحقاقه فدعاه ما توالى عليه من خلاف رضاه
الى مراعاته بمصلحة الدين والملك باختيار من يرعى حق
الامامة، ويتولى حياطة الخاصة والعامة، ويعزل هوى النفس
فى اتباع الحق واستشعاره، ونصرة الدين واظهاره، وحماية
الملك من اقطاره، وجعل يتلطف فى التدبير عليه الى ان تمكن
منه فخلعه، واحتوى عليه وعلى ما كان جمعه، وذلك فى
شعبان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وارسل الى البطايح
وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق المقتدر بالله فاستقدمه
دار السلم لعقد البيعة له للثلمة، ونظرا للامة، وارتهانا
للالفة، واجتلابا لمصلحة الجملة، فقدمها فى شهر رمضان من
هذه السنة وتسارع الناس الى مبايعته، واصفقوا على طاعته

طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بامامته وتناهبوا شكر الله
على ما اتاحه لهم من بركات خلافته ثقة بما اشتهر في الآفاق
من مناقبه الغر وضرايبه الزهر وفضائله المسطورة على صفحات
الدهر فقام بما قلده الله من طوق الامام مفوضًا اليه امره
ومتوكلًا عليه وحده فلم يُر في مقره من سرير الخلافة
اوفر منه حصاة ولا اوقر اناة ولا اصلب قناة واصدق
ثقاة واوضى سيرة واذكى بصرا وبصيرة وازكى عنا وسريرة
واتم جزالة وجلالة واعم سياسة وحراسة نعم ولا اقوى
منه جنانا واندى بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا واحسانا
وعطفته عاطفة القرب على الطايع لله فاستخصه بمنادمته
واجتباه لمصاحبته والحقه جناح رعايته وحمايته تفاديا
من غضاضة تلحقه في زمانه ونكبة ترهقه في ظل سلطانه وجانب
امانه الى ان فرق بينهما الدهر المولع بالفراق واخذه الرفيق عن
الرفيق ورثاه ابو الحسين محمد بن الحسين موسى العلوي الموسوي
بقصيدة منها وهي هذه

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا

جهات

بجمع طريبه وهي الطبيعة

موفّاً على القُلَل الذواهب ؛؛ في العلى عرضاً وطولا

قرمٌ يُسدِّد لحظه + ؛؛ فيُرى القروم له مُثولا

ويُرى عزيزاً حيث حلّ ؛؛ ولا يرى الا ذليلا

كالليث الا انّه ؛؛ اتّخذ العلى والعز غيلا

وتملأ على الاقران لا ؛؛ مِثلاً يعدّ ولا عديلا

من معشر ركبوا العُلى ؛؛ وابوا عن الكرم النزولا

غُرٌّ اذا انتسبوا لنا الغُرر اللوامع والحجولا

كرُموا فروعاً بعدما ؛؛ طابوا وقد نجموا اصولا

نسبٌ غدا رُوّاده يستنجبون له الفحولا

يا ناصر الدين الذي ؛؛ رجع الزمان به كليلا

يا صارم المجد الذي ؛؛ مُلِئت مضاربه فلولا

يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا

يا غارب النعم العظام غدوت مغمولاً جزيلا

لهفي على ما من مضى ؛؛ الا نرى منه بديلا

وزوال ملك لم نكن ؛؛ يوماً نقدّر ان يزولا

ومنازل سطر الزمان على معالمها الحُؤولا

من بعد ما كانت على الايام مرباة نكولا ،،
والاسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا ،،
من يسبغ المنن الجسام ويصطفي الحمد جزيلا ،،
من ينجح الآمال يوم تعود بالليان حولا ،،
من يورد السمر الطوال ،، ويكشف الخطب الجليلا ،،
وتراه يمنع دونها وادي النوائب ان يسيلا ،،
عقاد الوية الملوك على العلى جيلا فجيلا ،،

وانثال خطباء العراق وشعراءها كاعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القادر بالله امير المومنين وذكر ماثر ايامه ومفاخر اسلافه مرابيع الكرم ينابيع الحكم مصابيح الظلم مجاديح الامم ليوث البهم غيوث القحم وبلغني ان مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور ،وفقر وسذور، فلا حاجة بنا الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها

وحكى لي محمد عبد السلم بن محمد بن الهيصم احد اعيان الكرامية بنيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله امير المومنين خطيبا بحضرة بني هشم ومشايخ بغداذ واعيان الحجيج فقلت الحمد لله ذي العزة

القاهرة، والحجة الباهرة، والنعم المتظاهرة، الذى عم
احسانه، ودام سلطانه، ولطف شانه، فلا رادّ لقضائه
ولا مانع لعطائه، ولا معقّب لحكمه ابتعث محمدًا صلى الله عليه وسلم
من خير ارومة العرب مولدًا، وافضل جرائمها محتدًا، واطولها
نجادًا، وارسخها فى المكرمات اوتادًا، فايّده احسن تاييد،
واكّد امره افضل تاكيد، حتى استقل الدين ناهضًا، واضمحل
الشرك داحضًا، وظهر امر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات
الله عدد الرمل والحصى، وما طلعت عليه شمس الضحى، وآله الطيبين
ثم قيّض الله من بعده الخلفاء الراشدين، لتمهيد الدين، وتوكيد
اليقين، وتوهين كيد الملحدين، فبسطوا للاسلام بساطه، ونهجوا
لاهل الآفاق صراطه، الى ان تادّى الامر الى ذويه من آل
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضئضئ ابيه، فاقاموا الاسلام
عن اوده، واسندوا الامر الى مستنده معتصمين بنصر الله
صادعين بامر الله، معظمين لحرمات الله، وهلم جرًّا الى ان
تاكدت بيعة الخلافة بامير المومنين القادر بالله فبهر نوره
العالمين، وشفى ذكره صدور قوم مومنين وسقى نشره على المنابر

المنابر قلوب المخلصين من بعد التواء من اظهر العناد و

انزواء من قصد الفساد، وابى الله الا نصرة الحق وادالته و

قمع الباطل واذالته، ولقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني

قال حدثني الصولي عن المبرد ان العباس بن ابي حمدون حدثه

ان سعيد الخطيب لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله

امير المومنين قام في الناس خطيبا فقال شعره

بايعت منبسطا ولو لم تنبسط ... كفي لبيعته قطعت بنانها

من ذا اليه لا يمد يمينه ... قطع الاله يمينه فابانها

ولو الذي في حضرة امير المومنين ما يقارب هذا ويناكله وذلك

انه لما صح بيعته لوارد كتابه على حين التواء من التوى بناحية

بلخ وقال فيها

سبقت يميني نحو بيعة قادر ... بالله لما خالفته يد القدر

ماضت بيعته التواء من التوى ... والله مبرمها بمكنون الزبر

ولقد اراه اخو من وطئ الحصى ... بورانة النجم البهاليل الغرر

ولاقلعن القلب مني ان ابى ... ولاقلعن العين ان زاغ البصر

وها قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط امير المومنين

شاكراً ما انعم الله علينا بولي امير المومنين محمود بن سبكتكين
فانه في رسمه كاسمه والله نسأل ان يُديم سلامة امير
المومنين وان تبلغه امله في الامير ابي الفضل ولي عهد
المسلمين الغالب بالله ابن امير المومنين ويلحقه بسعادة آبائه
الراشدين واسلافه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على نبيه محمد وآله اجمعين قال فامر القادر
بالله امير المومنين بان تنسخ الخطبة في جملة اخواتها المسطورة
المخزونة ولما ارتجت منابر خراسان بذكر القادر بالله
امير المومنين على ما اوجبته طاعة السلطان يمين الدولة لامر
الله في اقتفاء محجته واتباع طريقته وحجته كاتبه بما رآه من
الافضاء الى ابنه ابي الفضل بعهده في ولاية امور المسلمين
من بعده وتلقيبه بالغالب بالله ولما رسم توفيته واجب حقه
والحاق ذكره على المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه
اوجب السلطان يمين الدولة وامين الملة مطاوعته فيما
امر ومتابعته في جميع ما رسم فقارن ذكراهما في الخطب و
توافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب وسنعود الى ذكر

بهاء الدولة وضياء الملة من لدن استيثار الله بعضد الدولة و
تاج الملة ابى شجاع فناحسر الى ان افضى الامر اليه واستقر الملك
عليه وفيما نطق به كتاب الصابى المعروف بالتاجى من وقايع
عضد الدولة مع بختيار الى ان اظفره الله به فقضى عليه بحد حسامه
وجرعه كاس حمامه واحتياله على ابى تغلب ناصر بعد انهزامه
الى ان امكنه التدبير عليه بابن الجراح احد المتغلبين من الاعراب
على حدود الشام فقيضه لاقتناصه بما راهداها اليه واطماع
اكدها له حتى تخفله وقتل وحمل اليه علاوته ما يغنى عن تجديد
ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله وذلك فى رمضان سنة
اثنين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال اخيه مويد الدولة بويه
بمحاربة حسام الدولة تاش وعميدها فايق فى عساكر خراسان
اجتمع ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوا
متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين واتاه الطايع لله
امير المومنين فى حراقة على ظهر دجلة يعزيه عن ابيه وقد تاب
عوام الناس نظارة له حتى اذا اقرب منه برز اليه صمصام الدولة
فجشم وجهه برسم الطاعة وحق الخلافة وقال له الطايع

اولئك

عبارة عن السجود بين يديه وبين يديه بوسه

نضر الله وجه الماضي وجعلك الخلف الباقي وصيّر التعزية
بعده لك لا بك، والخلف عليك لا منك. فاذرى على خديه
دموع عينيه، وبادر الى الصعيد شكراً لما منّ به عليه. ثم
انتصب منصب ابيه واجرى الامور على استقامة، ودبّرها
بسياسة عامّة، وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس شيرزيك
بن عضد الدولة غائبا الى مدينة واشهر من ارض كرمان
فلما بلغه نعي ابيه كرّ راجعا الى فارس وقبض بها على نصر بن
هرون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه حواصل اموالها
وبقايا اعمالها، وامتد منها الى الاهواز فملكها على اخيه
ابي الحسين احمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة معها
وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استعدّ
لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في اخيه الى
ساير ما يليه وسار حتى اذا وافاها تلقاه صمصام الدولة بما
اوجبه حسنه عليه اجلالا ومهابة ومداراة ومقاربة
تفاديا من ضرر استيحاشه وعدوى مسائته غير عالم بان غمدا واحدا
لا يسع سيفين ودرّا واحدا لا يضم سهمين فقبض ابو الفوارس

ورفع محله ثم خلعه وكحله وامر به الى قلعة كيوستان من
ارض عمان واستولى على المملكة ولقبه الطايع لله بشرف الدولة
وزين الملة فبقى على جملته سنتين ونجبه حكم الله تعالى فى جمادى
الاخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة وقام شاهنشاه بهاء الدولة
ضياء الملة ابو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط الامور
المايرة وتلافى الحال الحايلة وكفل بالملك كفالة خبير
بالتجارب، بصير باعقاب العواقب وتمالأ الاتراك بفارس
لصمصام الدولة فابرزوه من معتقله وحملوا غلامه المعروف
بسعادة على عاتقه منحدرا به فملك فارس وما والاها وتتبع
اموالها فجباها ثم تنكروا له من بعد وقدموا ابا على بن ابى الفوا
وعقدوا له الرياسة عليهم ولقبوه لشمس الدولة وقمر الملة وتجردوا
للدفاع والدعاء اليه فانتدب لموافقهم الى ان هزمهم اقبح
هزيمة وغنمهم ابرد غنيمة، فخنسوا الى بغداد صاغرين
خاسرين، وتحرك بهاء الدولة لقتال صمصام الدولة وتناوشا
الحرب وصال الكعوب الرماح، ما بين المساء والصباح حتى
خربت البصرة وتلاها فى الخراب اكثر كور الاهواز وقد

كان اولاد بختيار محتبسين في حصار بناحية فارس فاستنزلهم طايفة من الاكراد الخسروية عن معتقلهم موججين نار الفتنة باستنزالهم، وفك عقالهم، فناصبهم الحرب مستكفا شرهم، ومستدفعا باسهم وضرهم، فاختلفت حسبه الوقايع بين تلك الفتن الثايرة، والاحن الفايرة فكانت عقباها ان اجلت عنه قتيلا وتذمر بهاء الدولة للحادثة عليه فارصد للجناة بطايلته حتى شردهم كل مشرد وطردهم كل مطرد، والجأ اولاد بختيار الى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم يومئذ سالار بن بختيار الملقب بنور الدولة وكان من امره انه انتبذ عنها مدحورا متبوا فاضطرته الحال الى خفارة التجار في تجاراتهم، واجازتهم على مراصد القطع ببضاعاتهم، على خرج يستعين به من جهتهم على مون معاشه، ورياسته، واتبعه بهاء الدولة بجيش واقعوه بنواشهر فغلبوه ووصلوا اليه فقتلوه، وحمل غلام منهم راسه الى بهاء الدولة فامتعض للرحم الدانية، واللحمة الحانية من تشجعه على ملاقاته به فامر

الاكراد

تذمر غضب

بواشهر

بالغلام فسُلخ جلده من قرنه الى قدمه عبرةً لمن اقدم على ملك
بسفك دمه وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب الى بغداد
لمراعاة تلك الاعمال، واستيفاء حقوق بيت المال، فاشتدت
سيرته وحدّت في العدل بصيرته، وعمّر رفقه حجيج بيت الله
الحرام، بالمنايح العظام، فانطلقت بشكره السنة الخاص والعام
الى ان قبضه الله فسدّ مكانه بوزير الوزرا زيادةً في النظر
للرعية فاربى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة اصلاحًا
لهم ورفقًا بهم وطرحًا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان
لبهاء الدولة مضافة الى ساير اعماله وقعدت الفتن القايمة
على سوقها في زمانه فغمر الامن والسكون، وشمل الرفق
والهدون، واستراح عباد الله مما كان يقلقهم من طوارق
الجيوش ويلحقهم من معرة اختلاف السيوف وقد كان ابو علي
بن الياس قد ملك كرمان ايام عضد الدولة لال سامان
فاقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع، ولا يدافعه عنها
مدافع، وقد كان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا
من معرته للوثبة راها في رايه، واضطراب تبيّنه في وجوه شيمه

واخافته ولهى عنه مدة من الزمان مديدة وهو يكابد بينها
بوسا وشدة فاتفق ان اشرف سرب من نساء ابيه وجواريه
عليه وتبين لضيق مكانه ودبرن فى وجوه خلاصه وعلل
الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وخلصنه بها عن معتقله و
تسامع اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا عليه و
انقطعوا بجماعتهم اليه ممالاة له على ابيه لجفوات نقموها
منه وبلغ اباعلى خبر الحادثة فارسل الى ذوى التجارب و
المثالب باحيا عماد عاهم اليه فاظهروا الضجر بمكانه والتبرم
بطول زمانه وسالموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على ابنه
اليسع بطاعتهم له وتوخيهم مفارقته فعرك ابو على قولهم بجنب
المداراة والاحتمال فى عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف
الاموال وكر عايدا الى بخارا مخليا بين اليسع وبين تلك الولاية
واقام ثقتيه بوسن المهدى وترمش الحاجب على خدمة اليسع و
كفالة امره اذ كانت حداثته تقتضى استخلاف مثلهما فى كمال
وقوة رايهما على حصانة اموره وتبصيره الرشد فى وجوه تدبيره
ولما وصل ابو على الى بخارا بولغ فى تعهده واكرام مورده واجلال

اجلاً له من الايثار والاكبار محل امثاله الى ان توفيها
في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائة فاما اليسع فانزولى
كرمان فحمى اطرافها وجبى اموالها وكان اخوه سليمن مقيما
باسبيرجان واليا عليها فاغراه بشر بن المهدى به واشار عليه
بمعاجلته قبل انتظام شمله واستمرار رحباه فكتب اليه بسنة
لا يستغنى عن مفاوضته فامتنع عن الاجابة بعلل
اخترعها ومعاذير تمحلها وضاق اليسع به ذرعا ولم يجد
من مناجزته بدا فنهض اليه محاربا حتى هزمه وغنم ما ل[illegible]
سليمان الى بخارا واطمع اليسع نزق شبابه فى مغالبة عضد
الدولة ابى شجاع على بعض حدود عمله فكان مثله مثل العير
طلب القرنين فضيع الاذنين وذلك انه لما بلغ مفرق
الحدين بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته بطايفة من المستامنة
عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم ثم هرب
نفر منهم راجعين وراهم ثار نابه اليسع برفقائهم فظن ان وراء
استيمانهم حيلة او غيلة فاوسعهم تنكيلا وعمهم بالعقاب
قطعا وتمثيلا واستامن عنه الى عضد الدولة جملة من رجاله

فجملهم وحباهم ووصلهم ومنّاهم فلما اصحابه تباعد ما
بين الامرين تألبوا عليه وتنمروا له وتحزبوا عنه ونسل من جملتهم
صفقة واحدة ألف رجل من وجوه الديلم الى معسكر عضد
الدولة وهو بناحية اصطخر وفنا الطريان بين الآخرين
فجعلوا يتسللون لواذا ويتفرقون جميعا واشتاتا حتى انفض عنه
عامة اهل عسكره وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته واضطر
الى معاودة بارشير واسرع منها بعياله وبما خف عليه حمله من
اثقاله واموال نحو بخارا لا يلوي على احد دون الاغذاذ في
السير وطي بساط الارض بحوافر الخيل فلما اتصل خبره بعضد
الدولة بادر على اثره الى واشير فملكها واستصفى اموال الناس
بها ثم استخلف عليها كورتكين بن جستان ورجع عنها الى فارس
ولما ورد اليسع ناحية جوس من حدود قهستان خلف اثقاله و
غلمانه بها وركب الجمازات نحو بخارا للاستنجاد وطلب الامداد
فلما وافاها قرب محله ورعى لحقه واستحضر مجلس الانس تخصيصا
بمزية الاكرام والاثرة فلما قدر عليه سلطان الراح لم يتمالك
ان قال مستبطئا لو عرفت قعود الهمم بآل سامان عن اغاثة الراجين

انسل تسلل

لها واللاجين اليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا ومعتصرا

فخشن مس هذا الكلام المقال منه وامر فنفى الى خوارزم وبلغ

الى ابي على بن سيمجور حاله ومقاله فبعث الى جوين ثم قبض على غلمانه

واموالهم فقلهم واباها اليه غنيمة خالصة عن ايدي الاعتراض

والاشتراك واصاب البسع بخوارزم رمله على ان فقاعيه

الرملة بيده، فسالت على حده، وكان ذلك سبب هلاكه

وحينه ولم يطر من اعيان الالياسية بحدود كرمان بعده احد

وازداد باع عضد الدولة طولا، وعزة وارتفاعا وسموا الى

ان ورثه بهاء الدولة وضياء الملة فاجرى امورها بمجاريها

الموروثة في حفظ الاطراف، وبسط العدل والانصاف و

لما ملك السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان

وافتتح سجستان وحصل بين ولايته وبين تلك الديار ذمام

الجوار، فاتجه بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه خاطبا لكريمة

ودّه على صداق قلبه المغمور بموالاته، المقصور على تطلب

مرضاته، ووصل ذلك بهدايا ومبار تلاقت حب صدره،

وعلو همته وقدره، فاجاب السلطان يمين الدولة وامين الملة

الى ما خطبه، واوجب له مثل ما اوجبه، واتحفه بما رهن الوداد
واكد الاتحاد، وقضى حق المكافاة وزاد، وتشوفت الحال
بينهما الى زيادة عصمة تتحد بها البيوت والمرابع، وتشترك
فيها الاقارب والاباعد فنهض مشايخ الدولتين فى تشبيك اللحمة،
وتوشيج اسباب القربة، الى ان اتاح الله من ذلك ما عم
القاصى والدانى فايدته، وشمل الحاضر والبادى و
الطارى والنائى نفعه وعايدته،

ذكر غزوة نارين

ونشط السلطان يمين الدولة وامين الملة فى سنة اربع مائة لغزوة
فى ديار الهند بكا بها فرح نكايته فيها تقربا الى الله تعالى واحتسابا
للمثوبة عند الله تعالى، فنهض نحوها يحث الخيول ويخترق الحزون
والسهول، الى ان توسط ديار الهند فاستباحها، وإذل لقاحها
ونكس اصنامها، وعرض على السيوف اغنامها، وسار على هيئته
نحو مقصده واوقع بعظيم العلوج وقعة افاء الله بها عليه اموا
واغنمه خيوله وافياله، وحكم فيهم سيوف اوليائه يحسوهم
بها بين كل سهب وفدفد ويجزرونهم عند كل مهبط ومصعد

الثانى
بعينه بينه

مصعد وردّهم الى غزنة فيما حواه من تلك الغنايم الموفورة
سالماً غانماً وافراً ظافراً، ولما راى ملك الهند ما صبّ الله عليه
على اهل مملكته من سوط العذاب بوقايع السلطان يمين الدولة
وامين الملة فيهم ونكاياته فى اقاصيهم وادانيهم وايقن انه لا قبل
له بثقل وطاته وخشونة جانبه ارسل اليه اعيان اقاربه و
قرابينه ضارعاً اليه فى هدنة يقف فيها عنده امره ويتسمح لديها
ووفره ويتجرّد اوقات دعائه لنصره على ان يقود اليه بادىء
الامر خمسين فيلا يعدّ احادها باضعافها ثقل اجسام، وخفة
اقدام، ويحمل معها مالاً عظيم الخطر، كثير القدر، بما يضاهيه
من مبار تلك الديار، ومتاع تلك البقاع، والامصار، وعلى ان
يناوب كل عام بين افناء عسكره فى خدمة بابه بالفى رجل
باديين وعايدين الى اتاوة معلومة يلتزمها كل سنة سنة
يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم فى كفاية الملك مقامه
فاوجب السلطان اجابته الى ملتمسه لعز الاسلام بذل طاعته
واعطائه الجزية عن يده وبعث اليه من طالبه بتصحيح المال
وقود الافيال فقدّ ما وعد وقدّم الوفاء بما شرط وبعث بمن ضمن

تجهيزهم الى بابه من خواص رجاله على جملة الخدمة واقامة
رسم الطاعة فانعقدت تلك الهدنة وتزايدت تلك الاتاوة
وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند فى ضمان
الامان وجوار الحيطة والاحسان

ذكر غزوة غور

اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة فكر فى جبال الغور
وتمرد اهلها وتمنعهم على عطلهم عن حلية الدين وسمة الاسلام
وحصولهم فى المقلد من عين حوزته، والمركز من دايرة مملكته
وتنادى المارة والسابلة بعيث ارصادهم، وعيث قطعهم وافسادهم
لاستطالتهم بمناعة جبالهم السواهق، ومجال مسالكهم المتضايق
فانف للدولة القاهرة من ان يخليها على غلق اقفالها وسدة رتاجها
فصمم العزم على تدويخ ديارهم، وتذليل رقابهم، وانتزاع نعرة
الاستطالة من رؤوسهم، واستلال وحرة العصيان من صدورهم
واجلب عليهم بخيله ورجله معولا على صنع الله وفضله وقدم
امامه والى هراة التونتاش الحاجب ووالى طوس ارسلان الجاذب
وسارا مقتحمين مضايق تلك المسالك الى ان افضى بهم الدروب الى

الی مضیق قد غص بکماة الغوریة ممن لفظتهم القری القاصیة
والمحال المتنائیة، فتناوشوا الحرب تناوشا بطلت فیها العوامل
الا الصوارم فی الجماجم والخناجر فی الحناجر، وتصابر الفریقان
علی حر الکریهة حتی سالت لهم نفوس، وطارت عن الهام رؤوس
وبلغ السلطان خبر الفریقین فلحقهم فی خواص غلمانه وجعل
یلجئهم شیئا فشیئا ویملك علیهم ملاجئهم شعبا شعبا الی ان فرقهم
فی عطفات الجبال الشوامخ، والحقهم بقلل الراسیات البواذخ
واستفتح المجال الی عظیم الکفرة المعروف بابن سوری فغزاه
فی عقر داره، واحاط به من جوانب حصاره، وهی فی قصبة
تدعی اهنکران شد علیه الحرب وبرز الرجل فی قرابة عشرة
آلاف رجل کانما خلقت قلوبهم من حدید، واکبادهم من جلامید
ویستانسون باهوال الوقایع، استیناس الظماء بماء الشرایع، فصافوا
عسکر السلطان مرعدین بالبطش والباس ومبرقین بصوارم لا
وجعلوا یهرون فی وجوههم هریر الکلاب اعیاها الفرار،
واخرجتها الاحجار، فامر السلطان بمدارکة الشد علی ما اوجبه حکم
الاحتیاط اذ کانوا مستندین الی معاقل وبقة، ومعتصرین

بخنادق عميقة، حتى اذا انتصف النهار على وقاحتهم في مغاسة الحرب، ومصابرة الطعن والضرب اشار بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج والاغتيال، فاغتروا بخدعة الانقلاب وانفضوا عن مواقفهم الى فسحة الفضاء لاغتنام فرصة الانهزام فكرت عليهم الخيول بضربات غنيت بدوا تها عن اخواتها فلم ترتفع منها واحدة الا عن دماغ منثور وبناط مبتور، فصرع في تلك المعركة الواحدة رجال كهشيم المحتظر، او اعجاز نخل منقعر، وملك الاسر عظيمهم المعروف بابن سودى باقربته وذويه وما ثر حواشيه، وافاء الله على السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخاير الاموال والاسلحة التي اقتناها كابر عن كابر، وتوارثها كافر عن كافر، وامر السلطان باقامة شعار الاسلام فيما افتتحه من تلك القلاع والرباع، فافصحت بذكره منابرها واشترك في دعوته باديها وحاضرها ورجع بعد ذلك عن وجهه على جناح اليسر والنجاح والظفر المتاح، وحين راى ابن سودى حصوله في ذل اساره واستباحة ودايع حصاره، تبرم بحيوته واستراح الى برد وفاته، فامتص سما كان اودعه

وامتص خاتما كان اودعه سما ناقعا

والقصر

ربنا طرز منقطه قد حتى به القلب من الوتين

اودعه فض خاتمه فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع بنيسابور سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور خصوصًا وفي ساير بلاد خراسان عمومًا فهلك بنيسابور واطرافها دون غيرها مائة الف او يزيدون وكم دفن منهم باطمارهم لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة الاموات عنهم وكان الناس من بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتلاعون الجزع ويذوبون على انفسهم حتى تغور عيونهم ويجب للموت جنوبهم ورعوا نبات الارض حتى استحكم الياس عن الزروع وانقطعت الاطماع عن الربوع وضاق بهم الامر فجعلوا يتتبعون رمام الطعام على رؤوس الكناسات تعللا بها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليه الفوج بعد الفوج يتقاسمون نجيعها بالكيزان والجرار لتسكين حرارة الجوع واجتزاء به عن القوت ولم ينل منه احد الا سقط لجنبه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتتبعون مقابر حب الشعير عن الارواث وهيهات ان الشعير لاعيا الانام

تكييف البهايم والانعام ثم ترقى الامر الى ان اكلت الام ولدها
والاخ اخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس بعضا من
شوارع الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من الباجات
وحرمت الاسمان على الناس لكثرة ما صهر عليها من لحوم البشر
فبيع في الاسواق وقبض على اقوام بلا عدد كانوا يغتالون الناس
فيصهرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم ما يغمر العدة
من رؤس ناس قد اكلت لحومهم، وصهرت شحومهم،
فاما الكلاب والسنانير، فلم يبق منها الا العدد اليسير وهان
اوساط الناس وارباب الحرف ان يخترقوا اوقات العشاء محلاتنا
عن واسطة البلد الا في عدة، وسلاح عتيد، واذكر ان فقيها
وجيها من اصحاب الحديث دخل على الامام ابي الطيب سهل بن محمد
الصعلوكي فسأله عن تطاول عهده فقال ليأخذ الامام عني احدوثة
عجيبة ردّ الله بها على روحي فضلا منه جسيما وصنعا كريما
اني جعلت امر بعض العشيات وحيدا في شارع لسار اليه فلم
يرعني الا وثرضار في عنقي وجذبت به جذبة ضيقت على مخنقي
فبينما اهم بموافاة الجاذب ومداناته للسلامة على ضيق المخنق

اذ وثبت الى من بعض تلك الاوبات امرأة فضربت انثيي بركبتها ضربة سقطت منها مغشيا علي فلم اشعر بعدها بشيء من مصادر امور الى ان افقت عن الحس ببرد ماء رش به بين وجهي وترائبي فنظرت الى قوم اجانب يخادعونني عمادهاني ويكتمون صورة ما عراني فاذا هم ساعة وجبتي لجنبي ادركوني عائدين الى منازلهم فهرب منهم من اشفق على قتلي واستباحة دمي، و من سعى في قطع توكتي برمقي وخلى الوتر في عنقي، فصبرت ساعة الى ان استوفيت الافاقة واستعدت القوة والطاقة، وعدت الى المنزل وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا مبهوتا وحرضا مسبوتا الى ان من الله علي باوائل الاقبال وزوال الكثر ما مسني من الم الاعتلال، فبكرت يوم احسست بالخفة الى المسجد لاقامة الفرض وصعدت الميذنة على الرسم فلم استتم التكبير حتى اختطف عمتي من راسي وهو ... اراد صاحبه به رقبتي فاخطاها لما اراد الله من انساء اجلي واستبقاء مهلي فعدلت عن الاذان الى الصياح بطلب الامان وجعلت لله علي بعد ذلك ان لا اخرج مرة هذه الفتنة من داري الا والشمس

بيضاء نقية، ولا ارجع اليها الا وفى النهار بقية، فهذه التى
ثبطتنى عن الخدمة، واقعدتنى عن الرسم فى مشاهدة الجملة،
فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية، وسالوا الله حسن
السلامة والعافية، وحكى عن الاستاذ ابى سعيد عبد الملك
بن عثمان احد الصالحين من عباد الله الموفقين، والساعين فى
مصالح المسلمين انه نقل الى دار كان يسكنها المرضى والزمنى
من الفقراء وابناء السبيل فى يوم واحد من ايام هذه السنة
اربع مائة ميت من برح الجوع والمخمصة على ان يوعز بتكفينهم
ودفنهم فاتاه خبازه الذى كان يقيم جرايات المذكورين
من جهته وهو فى حيرته يذكر انه قد بقى فى هذا اليوم
بعينه مما كسد على البيع اربعمائة منا خبزا فسبحان من يقضى
على من يشاء بالفناء مكان الاقوات وجود الكفايات وقد
اكثر الناس فى ذكر تلك الغلاء والبلاء فمنه قول ابى نصر الكاتب على الداعى

قد اصبح الناس فى غلاء ه وفى بلاء تداولوه ، من يلزم البيت يود جوعا ه
او يشهد الناس ياكلوه ، ولابى محمد العبد لكانى الزوزنى
لا تخرجن من البيوت لحاجة اوغير حاجة ، والباب اغلقه عليك

اغلقه عليك منه رتاجه، لا يقتنصك الجايعون فيطبخونك شوربا جبر، وامر السلطان يمين الدولة وامين الملة بالكتب الى عماله بصبّ الاموال على الفقراء والمساكين فاستبقى الله مهجات قد اشرفت على الهلاك، وافتكّهم من بين احناك الاحتناك، فبقيت تلك السنة على حالها الى ان ادركت غلات سنة اثنين واربعمائة فمنّ الله بازالة تلك الشدة، واطفاء تلك النائرة المتقدة، وتدارك عباده بعد استحكام الياس بالغيوث الهامية، والريوع الزاكية النامية، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك عنه يراعي ما يبطن عند تدبير ايلك الخان و اخيه الكبير طغان خان اذ كان اخوه يمالي السلطان عليه لايمان يزعم لزومها اياه، ومواثيق يدعي انعقادها عليه ويظهر البراءة على الملة برسله من فعلات ايلك في منابذته

حلّ عقدہم ... الاهلاک ... یظہر ... یحتال ... محاربتہم

ومكاشفته، والتخطي الى حدود مملكته، ويورّك الذنب عليه
في اغرائه بما اتاه، ومكاتبته في البعث على ما جناه، ولما ظهر
لايلك ان اخاه طغان خان قد جعل عرضه للجناية وقلده
طوق المكاشفة براءة منه وخذلانا اياه، وشقا لعصاه، واسلاما
له بما كسبت يداه، رأى بان يبتدي بتحسيم مادته وداء قرابته
ويغسل بالسيف وضر جنايته فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده
واستدفاع مكره وغدره، وسار حتى اذا جاوز اوزكند نحوه
سقطت ثلوج سدت عليه مسالك العقاب المفضية اليه فارتد
عن وجهه الى قابل حتى طاب الهواء، وانحسرت الشتاء، و
جفت الانداء، فكر عائدا على بارة، لفت المشير مؤهنا
بتارة، وكان ورد رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره
فتراجعا القول في البراءة عن جناية العبور، واحال بعضهم
على بعض في نقض المواثيق والعهود، فخلاهم السلطان في لغط
القول حتى وصلوا بحر النقار الى برد الاشتفاء، واراد السلطان
يمين الدولة وامين الملة بعد ذلك قواهم فامر بتعبية جيوشه
وتغشيه فوله، فرتب العسكر سماطين عن جنبتيه في هيئة لو

لو راها قارون لقال يا ليت لی مثل ما اوتی محمود انه لذو
حظ عظیم وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه على التقابل
قرابة الفی غلام من عقایل الترك فی الوان الدبابیج من
بین سود وبیض وحمر وخضر وكهب وصفر وفیما یقرب من
موقفه خمسمائة غلام من خاصته على ترتیبهم فی مثقلات
الروم بمناطق من ذهب مرصعة بالجواهر واعمدة من جنسه
فوق الاكتاف والعواتق، وقد اطاف من عظام الفیول
اربعون فیلا على المحاذاة غواشیها دبابیج الروم تغشاها
ومعالیق من الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمین ویاقوت
وزین وورائه السماطین سبع مائة فیل فی تجافیف مشهرة
بالالوان مسورة بالحراب والمران وعامة العسكر فی سرابیل
فیلكات القیون، وردت عن اجتلائها العیون، و
رتب الرجالة امام الخیول فی الترسة الواقیة، والجنن
الحامیة، والسیوف المرهفة، والعوامل المختلفة، وقام بین
یدیه حجابه كالبدور، فی ظلم الدیجور، قابضین على قبایع
سیوفهم هابیین قلده، وناظرین امره، واذن لهولاء

الرسل على هذه الهيئة حتى لقوه، فما قاموا من رسم الخدمة
ما افترضوه، ثم عدل بهم الى المواثد في دار قد فرشت
بما لم يحك غير الجنة مزينة للمتقين، معرفة للعارفين، ففي
كل مجلس دسوت من الذهب الاحمر بين جفان كالحواض
واطباق كبار، قد نضد بها من صدره الى قدمه بما يناكل
من الاواني الفايقة، والآلات الفاخرة الرايقة، وفي
بخاص مجلسه طارم قد جمعت اواخره وعضاداته بقضبان
الذهب وصفايحه، ونقت بمسامير من جنسه وفرش من
الديباج المثقلة بما لا تدرك الابصار منه غير حمرة الذهب
وفي الصدر منقل مقسوم ببيوت مضلعة ومستديرة
يشتمل كل نوع منها على انواع من الجواهر التي اعيت امثالها
اكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال العرب
وحوالي المجلس اطباق ثخان من الذهب مملوة من المسك
الاذفر، والعنبر الاشهب، والكافور العطر، والعود العبق
وهلم جرا الى ما يملا الابواع والايدي من اترجات
مصوغة، ونارنجات مصنوعة، وما يشبه الفواكه من

من عقيان وبدخشي وبهرمان الى اوان لم يسمع بمثلها رقة اجسام، ودقة صنعة واحكام، وطاف على الرسل ولدان كالدر المنثور واللؤلؤ المكنون براح كالماء المعين، ورضاب الخرد العين، الى ان استفقوا من غمرات العقول، فاستأذنوا للقفول وصرفهم السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد هذه المادبة وراءهم بما اوجبه همته من تحقيق امانيهم، ورعاية حق الملح بينهم، وبقي الاخوان على جملتها في المنافرة والمناقرة، والمكاوحة والمكافحة، الى ان توسط السفراء بينهما ففصلوا الامر على ما كف كلا عن صاحبه على ما سنورد ذكره في موضعه ان شاء الله

ذكر فتح قصدار

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة يراعي ما يتجدد من اخبار الاخوين ايلك وطغان خان فيما تنازعاه من الامر فلما بلغه اشتجار ذات بينهما استخار الله تعالى في قصد قصدار اذ كان صاحبها قد الم بجانب المجانبة واخل بحمل مال القاطعة اعتزازاً بمناعة مملكته، واعتزازاً بحصانة الطرق المفضية الى حلته، وفصل السلطان عن غزنة الى بست موريا بالقصد

هراة حتى انتشرت الاخبار بعزمه، واستفاضت الاحاديث
بظاهر امره، ثم ركض الى ناحية قصدار في الغُلُب الغُلْب
من رجال ركضت طوت تلك الجبال الوعرة، والمسالك الصعبة
ولم يشعر صاحب قصدار الا بغلمان السلطان حول داره قبل
ان يكتحل بضوء نهاره، او يحتفل لشد ازاره، فنادى الامان
الامان، وبرز فخدم السلطان، والزمه السلطان خمسة
عشر الف الف درهم من جملة ما كان الطّ به من اموال
عمله والتزمها ونقد اكثرها وقبض السلطان على عشرين
فيلا ضخاما هائلة كان اعتقدها ليومي بوسه وباسه
ووكل به من استوفى المال عليه ورجع عنه بعد ان رعى
حق طاعته وضراعته باستخلافه على ما كان يليه وبسط
يده في اطراف عمله ونواحيه، ورجع عنه الى غزنة ظاهرا
نجحه، فائزا قدحه، عاليا يده، وريا زنده، صنعا من الله تعالى
لمن يجتبيه من خيار خلقه لعمارة ارضه، واثارة حقه، والله
يعطي ملكه من يشاء والله عزيز حكيم

ذكر التاريخ الوالد ابي نصر محمد بن اسد والشاه محمد

محمد ابنه وما افضى اليه قد كان يلقب كل من يلي غرشستان
بالشار سِمَةً مصطلحاً عليها تغني عن معنى التمليك، ورتبة
الاجلال والتعظيم، وكان الشار ابو نصر واليها الى ان ادرك
ولده الشاه وفيه لوثة مشهورة فغلب على الامر بقوة شبابه
واستظهاره بمن شايعه من اصحابه فاعتزل ابوه مخليا
بينه وبين ما كان يليه، ويتفرد بالنظر والتدبير فيه، و
مقتصراً على دراسة الكتب، ومطالعة الادب، اذ كان بها مولعا
وبلذاتها دون سائر اللذات مقتنعا وكان منتجع الافاضل
من اعماق البلاد ينتابه منهم كل مبدع خطا وبيانا،
او مُدَّعٍ به بلوى وامتحانا، فلم ينشب بعد ان ينتابه و
بابه، حتى يستخصب جنابه، ويستجزل بره وثوابه، وكان
صاحب الجيش ابو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما افتتح باب
الاستعصاء على الرضي نوح بن منصور رام ان يستضيف
ولاية الغرش الى ما يليه وان يجد من جانب الشارين طاعة
له في اوامره ونواهيه، فاظهر التمرد عليه كراهة لاختياره على
ارباب الملك الذين اعطوهم المقادة قديما، وسلموا الطاعتهم

تسليما، واذلالا بحصانة صياصيها وقلاعهما، ومناعة
حواشيهما واشياعهما، ومحاماة للرضى على حقوق طاعتهما
وسوابق حرماتهما، اذهم ابو على بمنازعتهما ملكا ورثاه او
طمع فى فضل مال اقتنياه فلم تنهنهه ابا على ان جرد اليهما ابا
القسم الفقيه احد انياب دولته، واركان دعوته، فى
جيوش كثيفة، وخيول على الآلاف منيفة، فناهضهما فى
عقر دارهما متوقلا اليهما فوارع تصافح السماء، وشوامخ
تناطح الجوزاء، ومتوغلا مخارم تمرد على السالك، مرود الموت
على غلاظ السلوك، يناجزهما فى تلك المقامات التى تدار عندها
بالروس، ويغشى على النفوس، ويلجئهما من مضيق الى مضيق،
ويفجعهما بفريق بعد فريق، حتى اجلاهما عن قرارة بيتهما الى قلعة
ورثاها فى اخريات هاتيك الجبال تزل عن اعاليها اقدام الغيوم
وتحلق دون مناكبها كرام الطيور، وملك عليهما صحون
جبالهما وسهول ديارهما ومحالهما، يجبيها ويتتبع ما ينتسب الى
كل منهما فيها الى ان صمد الامير ناصر الدين سبكتكين صمد ابى على
فاسترد ابا القسم الفقيه شغلا بالبازل القرم عن الثنى، و

يشنب

وبالعقاب المنقض عن الكركي وعلم ان قد اتى الوادي فطم
على القرى وانضم الشاران الى الامير سبكتكين في نصرة آل
نوح فانتقما من ابي علي حين ولى هزيما، وتعرى عما تولاه و
واقتناه حديثا وقديما، واجفل نحو جرجان لا يملك رايا
ولا عزيما، ولم يزل بعد ذلك حالهما على جملتها في الامنة
والسكون، والجاه المصون، الى ان ورث السلطان
يمين الدولة وامين الملة خراسان حكما لله في ارضه يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن ولاة الاطراف
للطاعة، والتزام حكم التباعة واعطاء صفقة البيعة
وفرع المنابر باقامة الخطبة، وكلهم سمع واطاع، وبذل
في الخدمة والقربة المستطاع، انهضت الى الشارين
في اخذهما باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف
وضمناء الاعمال فتلقيا في بعروض، والحرص على الاقتداء
بالجماعة، وامرا بالخطبة فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرش
في شهور سنة تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين
كتب المنهازمين الى بخارا عن هزيمة مرو يذكرون انهم

على الاستعداد والتجرد للعاد فلينظر ام عن قريب وليأخذا
من الانتصار، ودرك الثار، فبعث لثار ابو نصر بهلال الى
درج رقعة اوذنى بها يسالنى تاملها وانفاذها باعيانها
الى السلطان ليتقرر حاله فى الموالاة وهذا لفظ ذوى المبادأة
والمعاداة فكتبت اليه فى جواب رقعته تاملتها اطال الله بقاء الشا
فوجدتها تدل على خلود قد عمل فيها صيقل الوقاحة كجدل
يتوعد صاحبه بان يضرب فكيه، ان لم يكف عنه كفيه، وما
نحن فى هذا المعنى وفيما اولى الله مولانا السلطان من الحسنى
الا كما قال المتنبى ولله سر فى علاك وانما، كلام العدى
ضرب من الهذيان، واما قولهم انا على الانتصار، وطلب الثار
فتلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين، على انا
نقول لئن كان اعجبكم عامكم فعودوا الى حمص فى قابل فان
الحسام الخضيب الذى قتلتم به فى يد القاتل فان قالوا العود احمد
فذلك لمن حمد البدء لا لمن ذم وصادف فيه ما سر الا ما ساء و
غم وقد ذاقوا فى بدء لقاءهم كيف شرقت السيوف بدمائهم
وتحكمت السنون فى اشلائهم، فان نشطوا ثانية، فهاتيك الصوارم

ماضية، والقناع ضارية، وما اشبه حال القوم بما قام به
ابن الاشعث خطيبا فى قومه فقال يا قومى انه ما بقى من عدوكم
الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به يمينا وشمالا فما
تلبث ان تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاءه توهج
قليلا، ثم لم يغن ذالك من حينه فتيلا، فالحمد لله الذى جعل
سيوف مولانا يخطب على منابر الرقاب، اذ جعل السنة
اعدائه تخطب فوق اسرة الاذقان، واليه الرغبة فى ان يطيل
بقاء مولانا ما طلع نور من حجاب شمس وطلع نفس من قرار نفس
منصورا على من نابذه وناواه، ليودعه من بطن الارض ملحده
ومثواه، وعن كثب سيرى الشاك كيف يفعل الله بالغاوين، و
يلبسهم خزى الباغين ويردهم اسفل سافلين، وقبل وبعد
فالحمد لله رب العالمين، فكان الامر على ما حرست وتفرست
فحان ايلك الخلد اليهم فملك عليهم دار الملك بخارا، واخذ
معظم القوم اسارى، وشرد الباقين فى الارض حيارى، ثم
وطالعت الحضرة بصورة الشارين فى الطاعة حتى حظيا من
الاكرام بما توقعاه، وحليا من الاعزاز والايثار بما تطلعا

ابن الاشعث خطيبا: ... [illegible]
ما برز نور من حجاب شمس

وحضر الحضرة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار فصادف ما استحقه من ترحيب وترتيب، وحظ من الايثار والايجاب رغيب، وعبر صدقاً على هذه الجملة وهو بين نخوة الاغترار بسمة الملك، ولوثة في الطبع قلما يسلم امثالها عند الملوك على الهلاك، وهو على كل ذلك محتمل، وبلطف القبول والاقبال مقتبل، واستاذن من بعد للانصراف وراءه فصادف واذنا بالمبار الكريمة مشفوعاً والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعاً، وعاد الى اقتين قرارة بيته، ومثابة عزمه، الى ان عنت للسلطان غزوة احب ان يحتشد لها افضل احتشاد، و يستظهر فيها بما خول من قوة وعتاد، وامراء جيوش وقواد، و امر بالكتاب اليه في استنهاضه اسوة امثاله، ثقة بخصوص حاله، وثمرة ما افاض عليه من سجال افضاله، فلزبه الخذلان على المكان، ولقنه معاذير واهية الاركان، وظل يتردد بين الحران والاذعان، الى ان حقت عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره، واقبل على ما اهمه من امر مسيره، حتى اذا دان لما قصد، وظفر بمن كند، وتمرد

ثم تردّد وعاد بالفتح خافقة الويته، والنجح شارقة اضواءه، وجدّد مكاتبته ايمانا له من خيفة ان أوحشها وايناسا من وحشة ان لابسها، واستبقاء للصنيعة عنده من ان يختص اشاؤها او يقطع دون الماء رشاؤها، فلم يزدد الا كفورا، وكان امر الله قدرا مقدورا، وعند ذلك جرّد السلطان حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش وفتاه والى طوس ارسلان الجاذب فيمن ضمهم الى جملتهما، ووسمهم بالمسير تحت رايتهما، لمناهضة الثائرين وامتلاك الغرش عليهما واحاقة وبال العصيان وكفران الاحسان بهما فنهضا في العدة والعديد، والبطش الشديد، واستلحقا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل، ومخارم تلك الشعاب والقلل، فسارا اليهما في رجال قد كرمتهم التجارب، ونكبتهم النوائب، يعجمون باطراف الثنايا على الزبر، ويدخلون ولو خرت الابر، ودمرا على الثائرين تلك الناحية فاما الشار الكبير الوالد ابو نصر فاستشف امتثال العاقبة، واغتنم شعار العافية، ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش مظهرا

للبراءة من فعل ولده، وصاد عابما اشتهر فى الخاص والعام من عقوقه وتمرده، وتحمل لشفاعته الى السلطان فى ملا بعين من لم يرتكب جريرة، ولم ينغل سريرة، ولم يبدل فى الطاعة والاخلاص سيرة، تحدره الى هراة بين ترفية فى طاعته، واحتياط اوجبه خلاف الابن وممانعته، فكتب بحاله الى السلطان فورد فى الجواب ما آمنه رهق المواخذة وعنت المعاقبة، واما ابنه الشاه فتحصن بالقلعة التى آواها ايام السيمجورية وهى التى سبق وصفها فى عزة الجوانب ومناعة المناكب، وصعوبة المصاعد، والسمو على متون الغيوم الرواكد، واستصحب اليها خواص غلمانه و خزانته، وساير حاشيته وبطانته، وقصده الحاجب ابو سعيد وابو الحرث وارسلان الجاذب فى الجم الغفير من اعيان القواد، وابطال الافراد، وتقاسما اركان الحصار قذفا بالمجانيق المنصوبة، والعرادات الموضوعة، ومناوشة للحرب من جهات كادت حتى ثابت النفوس من هول المقام، ان تذوق كوس الحمام، قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام، وواصلا صبوح تلك

الحروب بالغبوق حتى هدما احدى اسوار الحصار فوضعاه
بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم المجانيق وتسلقها اهل
العسكر منحين على ساير الاسوار كالعصم واقلة في شم الهضاب
او الارانب هاربة من عضف الكلاب، واشتبكت الحرب على تلك
الحال ضربًا بالسيوف القواضب، واخذًا باللحى والذوايب،
حتى سالت المذانب من دفع النجود، واحمرت المتالع من علق
الصدور، ورأى الشاه عند ذلك هول المطلع ما لم يكن ثم كان
فدعا الامان الامان، هيهات ان غضاب النفوس اذا صادفت
نجح المرام، ووجه التشفي بالانتقام لموقورة الاذان، او فعل
افعالها، وتنال من درك الثأر منالها، وما زالت تلك دعوة
وهذه حالهم حتى اخذوه اسرًا، واستنزلوه عنوة وقسرًا
واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار، ومال واسنطها
واخذ حاجبه ووزيره، بل نديمه وسميره، بل قليله وكثيره
ووضع عليه الرهق حتى اعفى بما عرف من ذخايره، وخبره من
ودايعه، وجلب عامة اوليائه وعماله، والمتصرفين في امور
امواله، حتى عروا عن لباس اليسار وغرت اخلافهم دون

الاستدرار، وقوطع ابو الحسين المنيعي عن ارتفاعات العرش على ما علم ارتفاعاته منه قبل للنثار فتمكن منها واستخلف هناك من تقوى يده في عمله، وشحن الحصار بكوتوال يوثق بامانته وجلده، وبعث السلطان بعض خواصه لنقل النثار الماسور الى حضرته على سبيل ارفاق لمن جهته فلما سلم اليه حمله في وثاقه نحو غزنة وسمعت بعض الثقات انه اتفق للغلام ان يكتب الى اهله بخبره، وما لقيه في حالتي ورده وصدره، ويبشرهم بمنصرفه فاستدعى النثار في عقاله وامره ان يتولى ذلك بخط يده فالغم تفكرا ثم اظهر تنكرا، وكتب ما هذا معناه ايتها القحبة الرعنة اتريني اغفل عما احدثته بعدي من خيانتي في الفراش، وتمزيق ما خلفته عليك من مال ومحقه بانواع الفساد، لقد انهى الي جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور، وضيعته من مالي في كل محظور ومنكور، وها انا عائد اليك، وايم الله لاضعن الرهق عليك، وعلى والديك، ولاذقن يديك على رجليك، ولاجعلنك عظة لربات الخدور، في الدور، يا كذا وكذا واستانف الشتم حتى علم انه

انه قد اكتفى واشتفى ثم طوى الكتاب ودبعه الى الغلام فطيّر به بعض ثقاته فقامت القيامة على اهله وخففن عدوًا سعى بهن وحرّف صورتهن وفكرن فى امرهن فوجدن اصوب الآراء تفريغ الدار، وتقديم الاستتار، وفعلن ذلك دأيبات على القلق بايتات على الجوى والارق، فلما وصل الغلام الى الدار فاذا هى كالقاع القرق لا يلم بها نافخ صرمة، ولا معلق ذمة، وبقى حيران، وسأل الجيران، فاخبروه بصورة الحال والكتاب، وما خيف من الفضيحة والعقاب، فدعاوا ويلاه، ولعن الكاتب ومن والاه، والكتاب ومن املاه، واحتال فى رد العيال بضمان اكرره، واحسان جرده، وبلغ السلطان الخبر فضحك لاحتيال الثار عليه وقال كذا حق مثل من يستخدم الثار كاتبا، ووضع حرمته بالامس جانبا، ولما حمل هو الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط تاديبا له على ما اغفل من حق النعمة، وهتك من ستر الحشمة، فجرد لها واخذته عذبات العذاب فاكثر الضراعة والاستكانة وشكى الم الذل والمهانة، فلما استوفى فى التاديب

حقه دون ان يبلغ النكير منتهاه، والعقاب امده وملاه، امر بانزاله واعتقاله، فى موضع يصلح لامثاله، وامر بمواساته والتوسيع عليه فى اقواته، من حيث لا يشعر باذنه فيه، وفيما اتاه من الترفيه، كما سرى فى تضاعيف مزاجه ولا الخمر فى عروق البشر، او الماء فى عروق الشجر، والتمس اسعافه بغلام كان حظيا عنده فرد عليه، واعيد بعض ما يصلحه اليه، فاما ابوه المقيم بهراة فاذن له فى ورود الباب، ولوحظ بعين الايجاب، وابتاع منهما السلطان خاص ضياعهما بالغرش حلا لهما عن عقدة الشبهة، واستضافها اياها الى جملة ضياعه الملكية، وامر لهما باثمان ما باعاه نقدا صيانة لهما عن مس الفاقه، وذل الحاجه، ورفرف الشيخ الجليل على السارابى نصر بجناح الاكرام والرعاية حتى اتاه للداعى، وقام الناعى، وذلك فى سنة ست واربع مائة

ذكر وقعة ناردين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما استصفى نواحى الهند الى حيث لم تبلغه فى الاسلام راية، ولم ينل بها قط سورة

وآية، وخص عنها ادناس الشرك، وقشع اغباش الكفر، وبنى
بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بالاذان الذى هو شعار الايمان
راى ان يطوى تلك الديار الى واسطة الهند منتقماً لله ممن
يجحد توحيده، ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى حده
ووريده، وحكما فيه سيوفاً طبعت على غرار الاسلام، و
سقيت بماء الايمان، وصينت فى قراب دين الله، وانتضيت
بايدى الابرار والاخيار من اولياء الله، فندب الرجال، وفرق
الاموال، واخلص اليقين، واستنصر الواحد المعين، و
نهض فى الطم والرم، والليل المدلهم، وذلك فى سنة اربع واربع
مائة وسار فى اخريات الخريف ثقة بطيب الهواء من جانب
الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك الديار ان سقطت ثلوج لم
يعهد مثلها قبلها فسدت مخارق تلك الجبال، وسوت بين
الاباطح والتلال، وكلح وجه الهوى كلوحاً اثر فى الحوافر
والاخفاف، فضلاً عن المحاسر والاطراف، وضلت مهايع
الطرق فلم تعرف الميامن من المياسر، ولا المقادم من المآخر،
واضطرت الحال الى الانعطاف، الى ان ياذن الله تعالى

ثانياً فى الانصراف ، ولكل شئ حد محدود ، وامدّ من المقدور
ممدود ، واقبل السلطان على استيناف العدة والعتاد ، واستكمال
الميرة والازواد ، واستدعا أعيان الغزاة من اطراف البلاد
حتى اذا تمت العدة والعديد ، وباهى العقد بواسطة الفريد ، وتصام
الناس كقزع الخريف من كل وجه منشورا ، وعن كل
اوب محثوثا ومحسورا ، واقبل الخريف بطيب المقيل ، و
اعتدال برد الغداة والاصيل ، استخار الله فى الرحيل ، وسار
كالبحر الاخضر تضربه الاعاصير ، والامر الحتم تحجبه المقادير
فغدت وحوش الارض ماسورة ، وطيور الجو مقهورة ، ولو
احست الارض لرنت من ثقل الحديد ، والمشى الوئيد ،
وحث الابطال فوق القب القياديد ، وساق امامه ادلاء
يهتدون اعماق تلك البلاد ولا الشمس عليها طالعة ، والنجوم
بينها مستقيمة راجعة ، وحث الركايب شهرين بين انهار عميقة
الاغوار ، بعيدة ما بين الاقطار ، وبواد تضل فى ارجائها
اسراب اليعافير ، وتحار فى دهنائها افواج العصافير ، حتى
اذا قارب المقصد عبا الخيول كتايب ، وميزها عصايب ، ورتبها كواكب

كواكبَ، وقسّمها مَناسر ومقانب، ونصب اخاه الامير نصر
بن ناصر الدين في الميمنة من كُماة القوّاد، وحُماة الافراد،
وارسلانَ الحاذبَ في الميسرة في البُهم الذُكور، والبُزل
الفحول، وجعل اباعبد الله محمد بن ابرهيم الطائي على المقدمة
في مَناعير العرب احْلاس الظهور، وابناء الصوارم الذكور
ورتب في القلب الحاجب التونتاش وسائرخواصّه وغلمان
داره، رجالٌ اذا اصطفّوا فهي الجبال الشواهق، وزحفوا
فالسيول الدوافق، وبلغ بهم عدو الله ملك الهند ففزع من
فاجئ الفزع الى من حوله من كماكرته، واعيان رجال
ناصرته، ولجأ الى شعب جبل لحج المدخل، خشن المتوغل صعب
المرتقى والمتوقل، مستعصمًا بالاحتجاز عن البراز، وبالاحتراس
من وقع الباس، وسدّ مَخفر الجبلين بفيلة لم يراها الراؤن هضاب
نابتة، وجبالا ثابتة، وبثّ النفير في اقطار مملكته يستنهض
من يحمل حجرًا، فضلا عمن يلقم القوس وترًا، ويحسن بالسيف
اثرًا، ومدّ في طول المطاولة كي يلقى بقوة وافية، وعدّة متوافية
او يلجئ اولياء الله الى الاخلال، من فرط الملال، او النفور،

الحاجب

جيوشه

مفغر

من ضيق الصدور، ولم يعلم ان الله من وراء المومنين وان الله موهن كيد الكافرين، ولما علم السلطان من نيته فى ارجاء القتال، وتاخير النزال، دلف الى عدو الله بقلوب قد صقلها التوحيد، وبشرها الوعد وانذرها الوعيد، ورماهم بالصيلم، من رجالة الديلم، والشياطين من الافغانية المطاعين، رجال كالآجال مطوحة بالنفوس مذللة للاعين الشوس، او الليوث احرجها الجوع، واعياها الى اشبالها الرجوع، ينفذون فى الاسداد نفوذ المناقب فى العيدان، او اليارم فى الحيطان، ويفرعون البواذخ كالوعول وينزلون عنها منحدر السيول، واصلها عليهم اياما تباعا يجذبهم بصدق البراز جذب النار للسليط، والمغناطيس للحديد، فلما فارقوا تلك المضايق، التقطهم الفرسان كما يلتقط الافراس البياذق، ولم تزل هذه حالهم حتى انظم الى اللعين اكثر من والاه، ولباه معظم من دعاه، وعنده احتشد للبروز مستندا الى الجبل، ومن حوله الافيال كالقلل فجد المصاع، واحتد القراع، وحمى الوطيس، واستوى المرؤس والرئيس،

وصار اللقاء كفاحًا فمن آخذ بالتلابيب ومناقر كاليعاقيب
ومضارب ما بين الروس الى العراقيب، وكلما أشليت
الفيلة للتهويل والتفخيم، والحطم بالأظلاف والخراطيم،
مطرتها سحايب الزانات ملتوية كالاراقم، منسابة الى
حدق العيون ونغر الحلاقم، ورأى الكافر موقع ابى عبد الله
محمد بن ابراهيم الطائى من الغناء وضراوته بإسالة الدماء
فانتحاه بأخشن من في جملته شوكة، وأعظمهم شكة
حتى لحزوه ضربًا على الهام، وحطمًا من خلف وقدام، وهو
كالحرون ثابت لا يمل شرف مقامه، ولا يكل دون الضرب
بحسامه، متسمحًا بالروح في نصرة الدين، وطاعة رب العالمين
ورأى السلطان اخناء الكفرة عليه فأمده بكوكبة من
من خواصه لاستخلاصه فاستقدوه الى السلطان مشوقًا
بالسيوف، منقوطًا بالاسنة كالحروف، فأمر له بفيل يستريح الى
سعيه عن ألم الجراح بجوارحه فصار ملكًا له يتميز به من أعيان
اهل عسكره ولم تزل الحرب على حالها حتى اهب الله ريح النصر
لاوليائه، وأدار دائرة السوء على أعدائه، فأخذتهم سيوف

يحشونهم بين كل مصادٍ ومنعطف وادٍ، ومدخل ومغار، ومعتسف ومنار، وملكت عليهم القلل التي اعدّوها لهم حصونا واقية، فصارت عليهم عباقية باقية، وافاء الله على السلطان واوليائه غنائم رجحت الصدور عن ربّن الحسد لاشتراك الكافة في الغنى المقصود، واستوائهم في كفاية الموجود، وفتح الله نارذين فتحاً طرّزبه شعار الاسلام اذ لم تبلغه راية الحق من لدن عهد النبي صلّى الله عليه وسلم الى زمان السلطان يمين الدوله وامين الملة عزّ كتب الله على يده، وصنعاً اتاح له التوفيق والتيسير من عنده، ووجد في بيت بدّ عظيم حجر منقور دلّت كتابته على انه مبني منذ اربعين الف سنة فقضى السلطان من جهل القوم عجباً اذ كان اهل الشريعة الغرّاء، والحق المنزل من السماء، على ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا منها في الالف الاخير وكل ما تناذرت به الاخبار من امارات الساعة موجودة، وبابصار العيون وبصائر القلوب مشهودة، واستفتى فيه اعيان العلماء فكل اجمع على انكار ذلك المنقول، وعلى تزييف مثلها من شهادات

شهادات الصخور، وعاد السلطان وراءه بتلك الغنايم
العظيمة وكاد عدد الارقاء من العبيد والاماء، يزيد على عدد
الدهماء، ورخصت قيم المماليك فصار اصحاب المهن الخاملة
فضلاً عمن فوقهم من السوقة، يعتقدون عدة من تلك الروقة،
وذلك فضل الذي اعز به الدين المحمدي واذل الملحدين و

ذكر الحمد لله رب العالمين وقعة تانيسر

قد كان انهي الى السلطان يمين الدولة وامين الملة ان بناحية تانيسر
فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب وان صاحبها
غال في الكفر والجحود، وغير آل جهداً في الطغوى والعنود،
وانه محتاج الى ذوقة من كاسه، وحرقة من جمرات باسه
ليعلم ان عز الاسلام عام، وان له من سطوة الله سهماً كما
لساير اقيال الهند سهام، فعزم السلطان على غزوة اليه يرفع
راية الاسلام، وينسخ معها آية الاصنام، ويدع الكفر
عليها مجبوب الغارب والسنام، وسار في اولياء الله الذين
قد لثأوا على القراع، لثأ الاطفال على الرضاع، وضروا بدماء
الكفار، ضراوة الصقور ببغاث الاطيار، وقطع الى المذكور

أودية لم يقطعها غير طاير، او حيوان عابر، وحرف سباسب
لم يطأها نعل ماش ولا نعل حافر، وجهدهم في تلك القفار
علالة الشفاه، وبلالات الافواه، فضلا عن ساير الاقوات
حتى صنع الله لهم بان بدوامها الى فضاء يفضي الى ناحية المقصود
ودونه لهم صخاب، ارضه ظراب، وصفاح كظبي السيوف
حداد فلقي بباطنه شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا
بفيول، ومتكثرا باوباء رجال وخيول، واحتال السلطان لفتاك
عسكره في مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروه
من طريقين، وشغلوهم بالباس من كلا الجانبين، ومهما
جد الكفاح بين الفريقين امر السلطان بحملة على الكفار في
مخاضات النهر الهايل، والماء الصخب السايل، تزعجهم عن طرف
الساحل، وتقحمهم اسلا في تلك الشعاب والمداخل، واشتدت
الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر، وبالقواضب بالمناكب
واولياء الله في كل حال ظاهرون، والكافرون هم الصاغرون
حتى اذا كاد يصرم شباب النهار حمل المسلمون من جميع
الجهات حملة اوجرت بهم لهوات تلك المخارم مضطرين

فحلقوا القبلة التي كانوا بها معتزين، وتبعها اولياء الله يردون الاعظم فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم تفتهم الاماجد به فى الهرب، وضاق دون اقتناصه مجال الطلب، وصب من دماء اولئك الارجاس ما نجس به النهر الحاجز على طهارته، وامتنع الحارث الانجاس من الشرب على غزارته، ولولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم القتل اكثرهم، صنعا من الله لدين بعث به رسوله المصطفى الويل صلى الله عليه وعلى آله الذى ارتضى مظهرا له على الدين كله، ولو كره المشركون، فهو على الازدياد، الى يوم التناد، وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا، وظاهرا منصورا، ومحمودا كاسمه ماجورا، وقد غنم ما تكل عن ذكره انامل التحرير، وتضيق عن اثباته ادراج الاضابير، وتطايرت البشائر فى الآفاق، وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق، والحمد لله رب العالمين، على عز الاسلام والمسلمين.

ذكر الوزير ابى العباس الفضل بن احمد بن الاسفرائيني وما انتهت اليه حاله الى ان مضى لسبيله قد كان الوزير ابو العباس الفضل بن احمد من خاصة فايق الملقب كان بعميد الدولة ومن كفاة بابه، وثقات

اصحابه، وكان على البريد بروايام سالارية السلطان
بنيسابور فتمى الى ناصر الدين سبكتكين خبر قوته وامانته
فكتب الى الرضى ليستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله
وتدبير اموال امواله ورجاله، فاوجب اجابته الى ملتمسه و
خوطب بالبدار الى نيسابور على مقتضى مثاله، فاعتمده السلطان
للوزارة، واستكفاه مهمات الامارة، بعد ان كان يرى
مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة ابى القاسم احمد بن الحسن
فى الكفاية كتابةً، وحسابةً واصالةً واصابةً، وهداية
ودراية وحماية وجباية، اذ لم يكن على طراءة شبابه بين
لداته اغنى منه غناءً، وامضى مضاءً، واذكى ذكاءً،
وادهى دهاءً، غير ان الامير سبكتكين جنى عليه فى ابنه
اعتماده لوزارة لبست وتدبير اعمالها واموالها جباية سبق
السيف فيها العذل اصغاءً منه على اعدائه فيما شقّقوه فيه
من دمغة، ولفّقوه عليه من سعاية ووقيعة، فاستوحش
استيحاشا عن بادرة فعله والمسئ نفور والقلوب عن ذوى
الاساءة صور، وكره السلطان الاستبداد على ابيه

ابيه في استضائه حسب ارتضائه واستكفائه، ووفق
المحبوب من وفائه طاعة له في اختياره، واتباعا لفلك شدا
تحت مداره، وقضى الله ان يكون ما يليه حتى يعرف خراسان
بانه عذيقه المرجب وجذيله المحكك، ويتتبع ما افسده
الغير بالاستصلاح، ويستدرك ما احرضته ايدي الاجتياح
ويداوي كل اختلال بدوائه، ويرد غاير الماء الى لحائه
فاجرى الوزير ابو العباس الامور مجاريها على جملة لم يعرف
فيها غير الجباية والاستدرار، وقصد التوفير دون
الاستعمار، حتى جبى مالا عظيما سنين عدة اذ كانت خراسان
بعد مكسوعة باغبارها لم تترف منها دواعي اللبن، ولم
ينتزع عنها كوامن السمن، فلما احتلبها انتزافا، واستنفد
ما في ضروعها اسرافا، ومن قبل ما قرحال بينها وبين خصب
المراتع، وبرد الموارد والمشارع، وصبت اما على ظهورها
من فضول دسم، وسحت بما وراء عظامها من نقي مقتسم
حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالاشلاء الحنية،
بل الاخلة، وتداعى بالخراب معظم الضياع، ووقفت القفى

بين الفصول والانقطاع، وشرّد في البلاد اكثر الاكرة والزراع، فعنها اخذ الجار بذنب الجار، والزم القاد مؤنة الفار، حتى تمت البلوى، وعمت الشكوى، وشملت نوايب البوس، وذهبت حرايب النفوس، ووصلتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محسورًا، والمتوسط مفقورًا، والفقير مقبورًا، وكان امر الله قدرًا مقدورًا، وبقيت في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكبر، وتاو ومتحير، لو اذيبت عن آخر فقرة منها لم يف ببعضها فضلًا عما جمعته اقلام الاستيفاء منها فاظهر السلطان ضجرا من تحيّز الاموال وتراجع الارتفاعات وطالب الوزير منها بما اقتطعه، وانزاه وضيعه، وهو يرجم القول على سبيل الدالة بين البراءة والاحالة فهما عضه التعب بثقافة اظهر الاستعفاء، وجلب الى نفسه البلاء، واسلم النفس اختيارًا، وآثر الحبس قرارًا، وتوسط الملاء بين السلطان وبينه على ان يجبر بعض المنكر من خاص ماله، بما استفضل طول وزارته من مرافق اعماله، فابى ان ينزل عن درهم الا بعزله وحبسه اني شاء من قلاعه صنيع المتبرم بالعمل، المتغص بالامل،

المستسلم للبلية، المتحكك بالمنية واختار، اذ ذاك السلطان
الدهقان، ابا اسحق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس بلخ لصحابة
الديوان، واستنضاف البقايا على العمال والسكان، بنيسابور
وانهضه اليها سنة احدى واربعمائة فانحدر الى هراة و
من الاموال ما درت اخلافه، ولانت على المس عطافه،
ولم يلبث الا يسيرًا، حتى حمل حملا كثيرا، والوزير ابو العباس
بعد في صدد الوزارة، والشيخ الجليل ابو القسم يسعى بينه
وبين السلطان على سبيل السفارة، يروم انتصاحه اياه كي
يسند به مكانه، ويستنيم الى عرض الاستقامة شانه، وهو
يابى سوى اللجاج، في القاء القول عن حجزة المزاج، حكما
من الله عليه لم يسع رده، وقضاء سابقا اعيا العالمين صده،
وما زالت هذه حاله لزوما للصدد، على ما به من ضعة العدد
الى ان ركب بنفسه الى قلعة غزنة مستروحا بزعمه الى الاعتقال
عما تولاه، ومنسخيا بجملة ما حواه واقتناه، فلم يسمع بمثله رجلا
يشتري الحبس اختيارا، ويستقبل صرف الزمان بدارا، و
غاظ السلطان ما اتاه فاستنزله الحظ بعزامة ما جناه، على

امواله ورعاياه، فبذل خطه بمائة الف دينار ثم لم يزل
يستدره الى ان عرض حال الفاقة، وعدم الطاقة، ثم
استحلفه بحيات رأسه، على ظاهر افلاسه، وعلى اعلاق
دمه ان وجد على الطلب له مالاً مفرقاً ومجمعاً، ومدفوناً
ومستودعاً، وبقي على جملة ينتابه اولاده معفىً عن
الارهاق والتعنيف، مصوناً عن التحامل والتكليف، الى
ان ظهر على ما ذكر له مال عنه بعض التجار ببلخ وديعة
وامر بوضع الدهق عليه لاستصفائه، واستخراج ما وقاه بنفسه
وذمائه، وما بقي من رمق جاهه ومائه، واتفقت في
غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله، واستبراء ما يصدق
او يكذب من مقاله، والدهق يستمر به على الروم، وينال
منه يوماً بيوم، حتى اتاه اجله، وحاق به ما كان يستعجله
وذلك في سنة اربع واربعمائة ولما عاد السلطان وراءه
ساءه ما سمع فيه وهيهات اين من المساءة روح مطموسة
ونفس بين اطباق الثرى مرموسة، كذلك من آثر المخلوق
على الخالق، ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق، وقد كان ادرك

ادرك له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القسم محمد بن الفضل فبرع على ميعة الشباب في وجوه الفضايل والآداب، حتى استطار ذكره، واستطال قدره، واستفاض نظمه ونثره فمن شعره قوله من قصيدة في ابيه

لقد ادنى ابو العباس جودا ** على جود الربيع لمعتفيه
ففي احدى يديه ممات قوم ** وفي الاخرى الحيوة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا ودانت ** فهل من في سواه فيرتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى ** غدا بصرا وانت النور فيه
فنور النور نورز سعيدا ** رفع الحجب في عيش رفيه

وله في السفود

وزنجية قادت الى القوم بضعة ** ليكلها من كان يعشقها قدما
فقام اليها واحد بعد واحد ** ولم يرذنبا فعلهم لا ولا اثما

وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما كان عودا، وانبته عمودا، وانضره سعودا، واحمد قياما وقعودا، وحكى لى بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروى بيتا تلقنه في المنام وهو

أرى الدنيا وزخرفها ككاس ، تدور على أناس من أناس
فلا تبقى على احد كمالا ، يدوم بقاءها في كف حاسي
سأحفظ عهده ما دمت حيا ، وحفظ العهد من كرم الناس

فتطيّرتُ به ولما قضى نحبه زاد ابو الحسن الموصلي الكاتب ابياتا

فيه وهي

أبعد محمد بن الفضل ارجو ، امانا لي من الدهر العاسي
اساس الفضل كان به فاودى ، وابقى الفضل منهدم الاساس
رأى في النوم معجزة جرير ، يقصر دونها وابو فراس
فتى في نثره والنظم ادبي ، على ابن ثوابة وابي نواس

ورثاه بعض اهل العصر فقال

يا عين جودي بدم ساجم ، على الفتى الحر ابي القسم
قد كاد ان يهلكني فقده ، لولا التسلي بابي القسم

وسلّاني الله مكان الماضين بابي الحسن علي بن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره ، وعلم جامع سوره ، وحلم ثابت طوره ، وجود موكل بانثار آمال الاحرار صوره ، فتى السن في حصافة الكهول ، جبان الرأي في شجاعة السيول ،

ادهم الباس في غرة الشجاعة، فلدم الحياء في ذلق الفصاحة، ندب لاعمال الجوزجان فلدت على الباس ولايته، ونقل الى اعمال نسا فضاقت عن فضاض كفايته، يصون الاعمال صيانة عرضه عما يصمه، ويحيى الآمال احياء شرف ابيه، ويميت بدع الرسوم اماتة ذكر اياديه بسيط،

يسمو الرجال باباء وآونة + . + يسمو الرجال بابناء وتزداد
كم من اب قد علا بابن ذرى شرف ،، كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل شمس الكفاة ابي القسم

احمد بن الحسن رحمه الله قد كان الشيخ ابو القسم يلي ديوان الرسايل للسلطان ايام سالار يقتهم بنيسابور وهو الكريم نسباً، والعظيم حسباً، والعريق مجداً وحرية، والوثيق رايا وروية، ينادى عليه اقطار الارض بفصاحة القلم، وسجاحة الشيم، ونفاسة الهمم، واحتقار الدينار والدرهم، ودرجه وفاقه للسلطان على تصاريف الاحوال به الى ان ولاه عرض عساكره في اقطار مملكته وزاده اعمال لبست والرخج وما والاهما باموالها وارتفاعاتها علاوة على ما ولاه، فقام بجميع ما ولاه

قيام من وفقه الله وحيّا اليه جوده بنى الآمال من اطراف
البلاد فوسعهم حَدْواه، وعمّرهم نداه، وكتبت لهم امانا
من الفقر يداه، فاما مروته فما يومن بالمعجزة الصادقة
الصادعة منها الا من شاهدها عيانا، واستفتى عدول
احساسه عليها سبرًا وامتحانا، وكان الوزير ابو العباس
لا يصدر الا عن رايه، ولا يحتشم غيره فى تصاريف عزماته
وانحائه، لفخامة شانه، ومكانته المعمورة من سلطانه
ووساطته بينهما فى معظم ما يزجيه ويرجيه، ويحبيه ويبقيه
ويبذره ويأتيه، ويقدّره ويفريه، ولما وهت على قوة امره،
وانكرت سورة خمره، واتفق للسلطان ان يرتحل نحو ناردين
فى الغزوة التى تقدم ذكرها استخلف الشيخ الجليل الوزير
ابا القسم على مهمات بابه وامداد صاحب الديوان فيما يليه
ويحبيه بصواب رايه وبعثه على مواصلة الحمول عن فرط
وغنائه فهو متسم بالوزارة غير متسم بها الى ان اتفق استدعا
صاحب الديوان فى عمال خراسان لرفع الحسبانات، وتقرير
وذلك فى شهور سنة سبع واربعمائة، فنهض اليه كل رئيس

رئيس ومرؤس وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول،
وسمين ومهزول، قد اتخذوا الغمض والطعم حراماً، و
وضعوا الارواح على الراح توكلاً واستسلاماً، ووافق
وصولهم ركضة عزمها السلطان الى الهند فسبت عليهم
لاذناب اهل عسكره ما راه، ووكلهم باستخراجه في مدة
يومين لاهمام الركض وضيق رقعة الوقت فعصبوا عصب
السلم، وسلخوا سلخ الغنم، واقيموا على جمرة الضرم، ونكسوا
على الهام والقمم، حتى اعتصروا ما منهم عن تضاعيف
اللحم والدم، وعندها صب السلطان على الشيخ الجليل
الوزارة، وفوض اليه مهمات الامارة، وامره على محاسبات
العمال، ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الاموال، محكماً في
الحل والعقد، مخيراً بين الاخذ والرد، وسار السلطان نحو
مقصده، واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده، فهذب
الامور، ونظم المنثور، ووظف الاموال، وصرف العمال،
ورد صاحب الديوان ابا اسحاق على جملته الى خراسان مستوفياً
عليهم ما يلزمهم من حاصل وباق وعتيق وناض وقعد في الدست

كالبدر المنير، والسيف الشهير، منفرداً بالتدبير محتشداً
لروعة الملك وهيبة السرير، فلما اتفق عود السلطان الى
قرارة عزه وشاهد الامور في كنف وزارته منظومة العقود
مضبوطة الحدود، والاموال وافرة الريوع، الحافلة الضروع
ورسم له بان يحمل الى خراسان مستنظفاً ما وهى او وهن
من صاحب الديوان في جبايته واستيفائه، وقصّر او قصر عن
ترضه وامترائه، فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ النفوس
بمخنقها، وتختلج القلوب عن معلقها، ويكاد ينطق له كل مال
مخزون، ويلفظ اليه كل درهم مدفون فجمع عن تسمح النفوس
بما جمعته، واستكراهها عما منعته، مالاً لم يسمع بمثله محمولاً
من خراسان اذهاباً واوراقاً، وعصباً دقاقاً، وغلماناً رشاقاً
وافراساً عتاقاً، وتلافت الرفايع على صاحب الديوان بما ناله
من صنوف المنافع، ووجوه المطامع، فسامه السلطان
تصحيحها تسبيباً، وحملاً الى بيت المال قريباً، فاعتزل العمل،
ونزل عن كل ما حصّل، وفزع من بعد الى الخاص املاكه
وضياعه، ومواشيه وكراعه، وتجمله واثاثه، حتى حُلي انا

فحل ما اعتقده منها على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا
عمله وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم
بها في سالف الايام، ولم يرض بناته بخدمة الاقلام، فانقلت
المخاطبات مدة ايامه الى الفارسية، حتى كسدت سوق
البيان، وبارت بضايع الاجادة والاحسان، واستوت
درجات العجزة والكفاة، والنقي الفاضل والمفضول على
خطى الموازاة، فلما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل اسعده
الله واسعد به جدود الافاضل، وقرت بمكانه خدود الفضل
برفع الوية الكتاب، وعمر افنية الاداب، فجزم على
اوشحة ديوانه ان تنكبوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل
من يكتب اليه، وعجزه عن فهم ما يتعرب به عليه، وطارت
توقيعاته في البلاد ولا شوارد الامثال، وابيات المعاني
من القصايد الطوال، ففي كل ناد نداء بالحانها، وفي
كل مشهد شهادة باستحسانها، فاما الشعر فقد نشر عليه ملاوة
وسعد به جدوده، وفتق بالعذب الزلال صخوده، فاربا
كالعادب تعزيدا بمناقبه، والقمارى تسجيعا على الضرب

العميد ابو القاسم
الغمل الابيض القشيف

المأذي من ضرائبه، فهو بعدله في الناس غياث ورحمة، و
بفضله لاهل الفضل ثمال وعصمة، وانفرد بتدبير البلاد
والعباد، بناء على الاساس، وصلبا على الابساس، واخا فه
مع الايمان، ومكافاة بالاساءة والاحسان، واسوة لجراح
القلوب بمراهم الترغيب، وانكارا بمعروف العمارة سابق التجريب
واشارة على السلطان في امور مملكته بما يفيده من عاجل التوفير
وآجل الثواب الغزير، لاجرم انه استتبت الامور بغنائه
وانسدت الثغور على آرائه، وكذلك من كان على العلم
ايراده واصداره، وعلى البصيرة ارجائه وبداره، والله اعلم

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب الامير فلك المعالي ابي منصور منوچهر منصبه ووراثة مملكته

قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب، والرأي البصير بالعواقب،
والمجد المنيف على النجم الثاقب، مر السياسة، لا يستباغ كأسه
ولا يؤمن بحال سطوته وباسه، يقابل زلة القدم، باراقة
الدم، ولا يعرف في ادنى درجات الثار وان لم يقصد اليه مراد

مراد ولم يشترك في كسبه اعتقاد ، غير حرّ الانتقام بحدّ
الحسام ، والتقليق عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب
ولا يعرف معنى السوط والخشب ، ولا يرى الحبس إلا ما بين
الصفايح والترب وهالك على خشونة هذا المسّ وصعوبة
هذا البطش قيام من حاشيته لو استبقاهم على خفّة أجرامهم
لكان اشبه بالجلالة والبقّ بالاصالة والعدالة فما زالت
هذه حاله حتى انقلبت القلوب عنه واستوحشت النفوس
منه وشحنت الصدور عليه ومالت عنه الاهواء المائلة
اليه ، أذ كان كل احد لا يأمن العثرة ، ولا يملك العصمة ،
ومتى كان العقاب ملحقاً بالخطا اليسير صارت النفوس
مجتاحة ، والارواح مستباحة ، والمرء من البشر ، لا
من ورق الشجر ، فهو اذا مات فقد فات ، وليس مما يعود ،
بعدما عرى العود ، واتفق ان حاجباً له كان يعرف بحاجب
نعيم وهو احد الكراكلة في صدور جرجان عليم الغائلة
والعادية ، سليم الناحية من أفناء الحاشية ، وكان اعتماده
لضبط استراباذ وسياستها ورفع عليه انه طمع في بعض رعاياها

فى منال اومآل، الى الانتفاع منه بمآل، فامر بقتله وتعليقه عن خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة ساحته، ونقاء جيبه وراحته، وقصور ما سُعى به عليه لو صحّ اسناده عن افاتة نفسه واراقة دمه فزاد قتله فى ايغار الصدور واضغان القلوب وتوامر عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدى عن طاعته وكفاية النفوس شغلها بثقل وطأته وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى المعسكر بجناشك استبدالًا لهوائها عن لفح الحرور عند طلوع الشعرى العبور، فعمى عليه وجه الصورة وشذّ عنه علم تلك المشورة، فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التى اعتصم بها وانها بهم امواله وافراسه، وبغاله، ومراكبهم فشرع واستنزاله، فهز فى وجوههم من كانوا نزولا بفنائه، محامين من ورائه حتى انكشفوا عنه صاغرين، وولوا على ادبارهم داحرين، ومالوا الى جرجان فتملكوها عليه معلنين لشعار العصيان، لابسين عار الكفران، وبعثوا الى منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لعقد

استنزاه الى هوائها [illegible]

[illegible]

اعقابهم

عباد

البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب
استغطاما للحادث بابيه، واكبارا لما نفذ من المكيدة فيه
وطمعا فى تدارك الخطب وتلافيه، فلما دنا منهم مضربه
توافقوا على طاعته ان خلع اباه، وابتزازه رداء الملك اذا
اباه، فلم يجد فى عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر
ورشا على ما استعر، وصونا لستر الحشمة من الانخراق، وابقاء
على سكر الفساد من الانبثاق، وخوفا على الملك من التخطف
والانتزاع، واشفاقا على بيته من الضياع، وقد كان شمس
المعالى لما سمع نبا القوم واجتماع كلمتهم على الخلع عطف
بمن يومن معه من رجال ومال الى ناحية بسطام ناظرا ما
يسفر عنه عاقبة التحزب، وتنتهى اليه ثائرة التغلب والتوثب
فلما تسامعوا بنبائه استكرهوا الامير منوجهر على قصده وازعاجه
عن مكانه او رده فسار معهم اليه مضطرا، ودافعا بالشر
شرا، كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ
فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه من اتباعه وحواشيه
اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون

خلاله، والروح وقفاً على شكر احسانه، فلما وصل اليه
كفر طاعة وخضوعاً، واسال اودية الشؤن دموعاً، و
تناكيا صورة الحادث، وتذاكرا حق المورث والوارث،
وعرض الامير منوجهر ان يكون حجاباً بينه وبين اعاديه، و
ان ذهبت نفسه فيه، ورای شمس المعالی ان العارض قصارى
امره، وختام عمره، وانه احق بوراثة ملكه وولاية الامر
من بعده، وسلم خاتم الملك اليه من يده، واستوصيا الخير به
مادام فى فسحة من امله، وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة
جناشك متفرغاً للعبادة الى ان ياتيه يقينه فيسلم له نفسه
ودينه، وان يتفرد الامير منوجهر بتقرير الملك فريا وتقديرا
وتقديما وتاخيرا، وقدمت اليه عمارية على هذه الجملة فانتقل
الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته
على تحري مصلحته وعطف الامير منوجهر الى جرجان فولى
الصدر، وضبط الامر، واخذ يداری القوم ترغيباً وتطميعاً،
ويمنيهم الاحسان جميعاً، وهم على النفول، خيفة النبول، ما
دام شمس المعالى فى فسحة البقاء، وزمرة الاحياء، ومارأوا في

فى الاحتيال عليه حتى فزعوا عن امره، وسلموا كما زعموا عن عادية شره، ولم يرضوا به وهو فى صوان الاموات حتى كشفوا عن محياه رداء رداه فطابوا نفوسا، حين عدموا قابوسا، وواروه فى مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان على سمت خراسان وغدا الناس فى معناه كما قال المهلهل

نبئت ان النار بعدك اوقدت ٭ واستب بعدك يا كليب المجلس

وتفاوضوا فى امر كل عظيمة ٭ لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلثة ايام على رسم الجيل فى جز الرؤس، وضرب النفوس، ورفض المنام، وهجر الطعام ولما مضى ايام المعزى المذكور، لثى المقبور، واستوى على البيعة السرور، كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر، ولما سمع القادر بالله بخبر شمس المعالى واستئثار قضاء الله تعالى به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا، ولقبه بفلك المعالى مشرفا ومحليا، وعزم الله له على الصواب فى اختياره، والرشد فى ايثاره، ففزع الى السلطان معتصما بحبله، معتصرا بظله، مستظهرا

بطاعته، مستنصراً في متابعته، مستغيثاً أرداء عناية
متلافياً وهن المصاب بقوة إشباله ورعايته، وأنهض
عدة من ثقات بابه بمبار موفورة، ونفايس مذخورة،
ورسايل على صدق الإخلاص وصفوة الإمحاض
مقصورة، فصادف مارجاه رغبة في موالاته حرصاً
على تقمص مرضاته وتردد السفراء بينهما على رباية هذه
الحال، وتوكيد عقدة الوصال، واحتكم السلطان
عليه في اقامة الخطبة له على منابر ولايته امتحاناً لمصدوقة
عقده في موالاته، وانهض اليه أبا محمد الحسن بن مهران
احد ثقاته بمبار راى اصحابه من نفايس خلعه وكراماته، فصادف
منه قرباً مجيباً وسمعاً مطيعاً، وامر باقامة الدعوة باسمه
على منابر جرجان وطبرستان وقومس والدامغان،
والتزم في السنة خمسين الف دينار اتاوة على علمي الطاعة
والاخلاص علاوة واستدعى السلطان على تقيّة ذلك
وقد عزم على غزوة نار ابن انجاد حشمه بطائفة من الجبل
والديلم يحسنون حروب المضايق ويغنون غناء الكماة البطارقة

فسرى اليه الفى رجل من خُلّص الجيل ان راموا الوعود وعوا
اوقصدوا السهول فسيولا، وقد امر بازاحة عللهم فى
اعطياتهم ونصب لهم من يقيم اوَدَ حاجاتهم ويطلق مدة
الحاجة الى غنايهم واجب ارزاقهم واستحقاقاتهم فلما
استحق على السلطان بآثاره فى القربة مزيد الرتبة، ولما
فى الطاعة قضاء الحاجة، انهض رئيس جرجان اباسعد
الجولكى المقدم فضلا وادبا، والمحتشم حسبا ونسبا، لاقتضا
مزيد الحال بوصلة تقوم مقام الكفاءة لخطبتها عنه والطا
باستجابها له فنهض فى خفارة الادب تهديه وكفالة الرفق بما
يدله وياتيه ولم يزل ياتى الامر من بابه ويستطلع المراد
من جنابه، حتى اسمحت قرونة السلطان لما استدعاه، و
اوجب بما توخاه، ولما انكفأ الفاضل ابوسعد الجولكى
وراءه بصورة الايجاب، وماصادفه من هزة المجد للاطلا
جثمة الامير فلك المعالى معاودة الحضرة مع القاضى بجا
وهو شيخ العلم ورواية الحديث ورضيع اخلاف المذرب
والتجرب لتنجز النجاح، وترتيب عقدة النكاح فنهضا الى الحضر

السلطان مقيمين رسم الخدمة، وخاطبين ضم السدى الى اللحمة فراى السلطان تحقيق مبذول العناية وعصيان سلطان النفس طاعة لرب العزة وفلذة للامير فلك المعالى فلذة من كبده وسمح لربا الزهرة الغراء من نجوم ولده واى نجم كان فى فلك المعالى مداره لم تبعد داره انّى مدار النجوم الافلاك وازواج الملكات الاملاك، وجرى من الاستبشار بانخاد النفوس والديار، وصب النثار، وصوب المبار، كالغيوث الغزار، أرّخ به كتاب الدهر، ورسم بذكره سالفة العصر، وعاد الرسولان بذلك النجح الموقوت، ولا السعدان تقترنان فى الحوت، وعندها تكلف الامير فلك المعالى حرمة للقربى، ونحلة بين يدى النجوى، مالا تبين من رآه على اختلاف اصنافه واغراب نقوشه وافوافه ان لرهمة الى قمة الجوزاء مرفوعة، وبنية على صدق الولاء مطبوعة، ولم يبق احد من اركان الدولة وحواشيها والرتعين حول مراعيها من لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك فى البر المعقود بالشرف لا جرم ان السلطان رعى

رعى حرمة قرباه، وجزاه عما سمحت به لمناه، واوفد كلا
منه ومن قواد جيوشه وافراد رجاله بخلع علمت اجانب الملوك
كيف شريطة الجود، والسماحة بالموجود، وتقضى المجد بعفو
الراى دون المجهود، فاما ما صحب درة الصدف وياقوتة
الشرف فما عهد الدهر لمثله مجموعا فى مكان محمولا من
خراسان ولا غرو فالشمس تعير البلاد نورا، والبحر يدع الخليج
مسجورا، وقد كان الامير فلك المعالى بعد ان استكتب
له امره، واشتد لمظاهرة السلطان ظهره، دبر على اعيان
عسكره المشتركين فى دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل
وانواع العلل حتى اباد خضراءهم وسقى ظماء الارض دماءهم
واحس ابن خركاش وهو القريب العاقة، والنسيب
المشاق، بالداهية الدهياء فانسل تابطها بين سمع الارض و
بصرها تاباه الرعان والاباطح، وتلفظه القيعان والصحاصح
فهماش جلب القرامطة طلبته هامة الماضى بالنار فهام
على وجهه لا يفيد ثقيف بين تشريق وتغريب، وتصعيد و
تصويب، وكان احد من اثار ذلك الشر على شمس المعالى

على ما تسانـدت به الاخبار ابو القسم الجعدي وكان صاحب جيشه فانحدر الى راس الجبل كأنه على قفاز يرى كل صخرة عليه وكل حشيش بينهم اقواس جنبية فامهله الامير فلك المعالي زمانا حتى ظن ان له دون شؤون الآخرين شانا، ثم اطباه بترغيبه وتطميعه حتى اعلقه حبالة الاقتناص، وآيسه من الطمع في الخلاص، وان لله تعالى حكما في امور عباده معلقا بآماد معلومة وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم لما تأجل، ولا دونها مستأخر لما تعجل، واحتال ابو القسم حتى انسل هاربا واعتسف البيد جانبا ثم جانبا، وما زال على حاله واحتيا له حتى ورد نيسابور وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان على تغلغل ما وادهانه بما لف فعل وقابل مع ما مهد في ذات البين من عقود تأكد من عهود واشترك فيه من طارف وتليد يحل عنه عقال آثامه ويكف عنه ما حق عليه من بأس الله تعالى وانتقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة مقتول وشر المحن ما اومض بالخلاص قبل ابانه واستيفاء

عاز ... | موضع ... | اصلاح | صور | زماه | اوقات | ... | عطف على الا ...

مدة النضج على مجرانه ليوهم الفكاك، ثم يعقب الهلاك،
كالهرة تطمع الفارة فى الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة
... لا جرم ان السلطان لما انهى اليه صورة حاله
من قبل ما سمع بسوء فعاله امر برده وراءه فى عقاله، ولقد
احسن ابن الرومى فى مقاله حيث قال

الخير مصنوع لصاحبه فمتى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالى وما انتهى اليه امره

قد كان دارا بن شمس المعالى بعد استيمانه من جانب
ابى على محمد بن محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور اكرم
مقيما على خدمته سهيما فى نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان
وطبرستان فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره
وصادف من الاشبال والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة
والنبوة ثم خوله شمس المعالى طبرستان فاقام بها
سرادون مناميه، وزماما على اوليائه ومعامليه ثم
استنهضه منها على قرنفر القيت اليه فاتاه وهو باستراباد

يريد صحة اديمه واستواء حديثه بقديمه، فاحسن
استقباله وازاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب على
قصد مجلسه ثم عطف عطف الليث الخادر نحو خراسان
بين غياض تشكو الاراقم بينها ضيق المجال والمضطرب،
وصعوبة المنساب والمنسرب، واستصحب من رافقه و
وافقه من غلمانه واهل الثقة به فالى ان عرف شمس المعالي
خبره، واستركب لاقتناصه عسكره، ما قد طارده الركض
وحال دون مناله الارض، ولما شافه حد خراسان
رفرفت الامنة عليه بجناحها الى ان ورد حضرة السلطان
فقبله احسن قبول، ولقاه حسن مقول ومفعول، وما زال
يرفع منه تمويلا وتخويلا، وتفخيما وتبجيلا، حتى اغترة فضل
الانبساط، وعز الانتساب بما هدّ قربته، وهدم رتبته،
فاستوحش من عارض الاعراض، واشفق من رهق التغير
والانقباض، ولاذ بظلام الليل هربا، وبات يطوى الارض
تقريبا وخببا، وامر السلطان بطلبه واتباعه في وجوه مهربه
فالحق حيث قامت الخيول تعبا ولم تجد السيوف عليه مضربا فغر

نفر هو على وجهه ملتجئا الى ابن الشار المعروف بالشاه مجا
بينهما في الصفاء معمورة، واصول ود بالوفاء مابورة،
فلما استقر به المكان، وخبّر به السلطان، كتب اليه فاستردّه
وخوفه ان ياتي عليه ما بعده فاضطر الى رده واسلامه
عن يده وبقي في الحبس مدة يكابد بوسا وشدة الى ان وجد
فرصة الانفصال عن رق العقال، ففارق معتقله من حيث
لم يطمع فيه احد ولم يكن ليغني عنه لولا المقدور راى ولا
جلد وابت عليه لجاجة المحنة ان يتم خلاصه ويستتب له مناصه
فاعثر عليه حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه والالحاح
بخناقه الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه فانشاه نشاة
ثانية، وانبت ريشه قادمة وخافية، واعاد حاله بالاحسان
حالية، ويده على ايدي الاضراب عالية، ووجهه لولاية
جرجان وطبرستان معضودا بارسلان الجاذب وذوي
النجدة من كماة الرجال، وكفاة الابطال، لولا ان فلك المعالي
منوجهر يسبق تمام الراي باظهار الطاعة، وعرض ما هو مع
الوسع والطاقة، ولما حالت حرمة القرب دون الاختيار

عليه استرده السلطان الى حضرته فجرى مجرى اركان
الدولة واخدان العشرة، لا يفارقه في حفلة، ولا يزايله
في خلوة، ولا يقعد عنه وقت ركوب، ولا ينفرد دونه دون
كوز وكوب، الى ان ورد ابو الفوارس ابن بهاء الدولة حضرة
السلطان منزعجاً عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهراً
به على معاودة مملكته وارتجاع بيته ونعمته، فجمعهم ليلة
مجلس دارت فيه الكؤوس، وطابت النفوس، وجرى حديث
السلف والخلف واغراق من اعرق منهم في الشرف، فنطق
دارا بما لو سكت عنه لكان اشبه بحق الحرمة، وحكم الحشمة
وقت الاجتماع على رضاع العشرة، وحمله رمز الاعز عليه على قصد
المرادة، وركوب المخافة، حتى تادى به الامر الى ازعاجه
عن مكانه، واشخاصه بغصة المدل على سلطانه، وامر به
في غل وقد في الثقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على
ضياعه فأجريت مجرى الجوزيات تستغل اسوة سايرها الى ان
سال الشيخ الوزير في بابه فامر بردها عليه معونة له على مصلحة
حاله ومونة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع واربعمائة

ذكر مجد الدولة ابى طالب بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة كتب الى حسام الدولة ابى العباس
تاش وهو بجرجان منحدرة اليها عن خراسان على لسان
الصاحب ببشرة بولادته، واجراء الله تعالى فى الصنع
به على كريم عادته، وكان مما كتب اليه وقد رزقنى
الله ولدا كنيته ابا طالب طلبا للسلامة فى مدته و
سميته رستم لانه من اسماء نصابه وارومته فلما اخترمته
المنية بايع الناس مجد الدولة الا ان التى قامت عنه
كانت اختا للاصبهبذ بفرهم وساير مملكة الجبل وهى فى
منعة من اهلها، وعزة من جانب ارضها فملكت على الديلم
واستاثرت بالامر والنهى والحل والعقد وجرت بينه
وبينهما مناوشات نادت بها الى استنهاض بدر بن حسنويه
اليه وامتلاك الرى عليه وجرت بينهم مناوشات
افضت بالديلم اولا وباهل الرى ثانيا الى بوس وفاقة
دماء مهراقة وفتن ليس فيها فواق من افاقة وعن قرب
يعود الخلاف جزعا وحبل الصلاح منجذبا منقطعا اقسم

عنه اِبادة الرجال، واستباحة الاموال، وشرود الصلحاء
فى البلاد، وضراوة السفهاء بالافساد، ولما عرض
مجد الدولة بالامر وبما يفتدح على الروم من شرر الشر
آثر البرّ فى الاعتزال على سمة الامارة وجلة الاعتراف
لها بالطاعة على العقوق المفضى بمن تحت ولايته ورعايته
الى خطة الاحتناك المشفى بهم على خطة الاجتياح
والاستهلاك فلزم البيت متفردا بالكتب والدفاتر
ومتبيّضا وجه الفضل بسواد المحابر، وانفرد اخوه شمس
الدولة بولاية همدان وقرميسين وما والاهما الى حدود
بغداد وورث بدر بن حسنويه اموالا عظيمة طالما حفظتها
صدور القلاع مكنونة وخفتها خيوط الاكياس مختومة
فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال واستنفدتها
حقوق الآمال شبهة لرفى التحقق بالفضل، والتخرق
فى البذل، وقد كان ابن فولاذ قد فخم فى دولة آل بويه
امره وارتفع قدره، وانتشر صيته وذكره والتفت عليه
صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فسأل مجد الدولة

البرّ ... هذا الاعتراف لها الطاعة على ترك العقوق

الدولة والكافلة بالتدبير ان ينزلا له عن قزوين طعمه له
ولمن معه ليتفرد بولايتها وجبايتها ويصير ركنا من اركان
دولتهما وظهرا من ظهور حوزتهما يذب عنهما بسيفه
وسنانه متى دهاهما خطب او دخنت على نارهما حطب
رطب فضنا عليه لضيق رقعة الملك وبكوء درة الدخل و
ادليا اليه تظاهر العذر فقصد اطراف الري على حماة العصيان
يفسد ويغير ويقطع دون اهلها سبل من تمير وملك عليهما
ما يلي جانبه من قرى وضياع وريع وارتفاع الى ان استظ
بالاصبهبذ المقيم بقربه فاتاهما في رجراجة فخمة من الجيلية
أولي الباس والحمية فنا وشوه القراع وصدقوه المصاع
وجرت بينهما في دفعات ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين
واصاب ابن فولاد في ساقه نشابة اثخنته فولى فيمن تبعه
على سمت الدامغان حتى الم بها فضم النشر ورم الرث
وعالج المرتث وكتب الى فلك المعالي منوچهر ليسهره
على عسكر الري على ان يقيم له الخطبة ويظهر الطاعة
ويلتزم الاتاوة فامده بالفي رجل بوزن احادهم بالاف

وازادهم باضعاف يرون الشرف فرضاً لمن مات تحت
السيوف المشرفيات، والتزيّب حقّاً على من حاد عن
اليثربيات، ووصل جناحهم بمال قضى به حق انقطاعه
اليه واعتماده عن ظهر الثقة عليه ونهض نحو الري حتى
اناخ بظاهرها فاعاد الاغارة، ومنع المائرة والمارة، و
غادر الديلم بها في ضنك البلاء، وضيق اللاواء، حتى
اضطر مجد الدوله ومن وليت التدبير الى اشارة باصفهان
فعقد له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه واستعاذة
من شره فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن راسه، و
نصلت وحرة العناد من صدره، واقبلت يروض عسكره
على رشاد وسداد، ويغل ايديهم دون استراد الى
فساد، وصرف عسكر الامير وراءهم بذكر صلاح حاله
واستغنائه عن رجاله وعطف الى اصبهان خاطباً
لمجد الدولة على منابرها وذلك في سنة سبع واربعمائة
وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع الى السلطان
يمين الدولة وامين الملة فاقام على خدمته الى ان جعل ناحية

بیار وجومند برسمه فنهض الیها واقام بها یشتغلها ویتوفر
علیه دخلها الی ان دعاه مجد الدولة من الری فاعتسف
البید الیها اشفاقا من عسکر شمس المعالی قابوس ومکایده
وعیون ربایاه ومراصده. فلما وصل الیها عُرِف له حق
قرابته، وقوبل بما اقتضاه حکم طاعته واستجابته. فبقی
هناك سنین مرجوعا الیه فی الرای والتدبیر، موثوقا
به فی التقدیم والتاخیر، الی ان عُثِر منه علی ممالاة لبعض
المخالفین فقبض علیه وحبس فی قلعة استونا وند وما زال
بها محصورا، وفی مخلب الامتحان ماسورا، حتی عفی عما
جناه، وردّ ثانیا الی ما یتولاه، ووافق مآبه خلع الدیلم
لجام الهیبة لعدم السیاسة، وانفراد مجد الدولة فی بیته
بالدراسة، وتبسط الدیلم فیما شاؤا من غصب وقطع و
نهب، وکبس ونقب لا یرتدع منهم الا من اشعره الله الخوف
واودع صدره الرحمة والرأفة، فانبری نصر بن الحسن لقمع اولئك
الضلال فاجتاح فریقا واوسع آخرین تفریقا وتمزیقا، فلما
رای القوم ما دهاهم فی اضرابهم من حصده واستیصاله

تجمعوا على قصده وقتاله، واحاطوا بداره فدافعهم بجنا[صبته]
مليا ثم انثنى عنهم منهزما وغادر ملكه فى الدار منهوبا
ومغتنما وما زال يضطرب فى محبسه الى ان اتاه يومه [الى يوم منيته]

ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره

قد كان بهاء الدولة بعد ان فتح الله على السلطان بسجستان
راغبا فى موالاته خاطبا لمصافاته موثرا لمكاتبته،
حريصا على مقاربته، بحكم الجوار الواقع بين الدولتين
والصقب الحادث بين المملكتين ووافق ذلك من السلطان
رغبة فى مثله من جهته لشرفه بنفسه وسلفه ولما حيز
لهما من الكفاءة فى الملك والملاءة فى سعة الملك سفر
بينهما السفراء على الحام سدى القربة واحصاد قوى
المودة حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتاكدت
العهود وتاحدت الحدود وعندها احب السلطان
ان يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة مصاهرة فانهض
القاضى ابا عمرو البسطامى شيخ الحديث بنيسابور الى
فارس وهو النبيه فضلا والوجيه محلا والامام علما و

علما وتحقيقا، والحسام لسانا فصيحا ورأيا وثيقا، وصادف من اجلال بهاء الدولة واكرامه، واظهار التطفل عليه في مرامه، ما اقتضته جلالة من اصلة ومساعدة القدر له في كل ما قدّره واقام عليه منقولا من مجلس الايجاب الى متوسّد الاكرام ومن راحة الاشبال الى عاتق الاكبار غير ان بعيد طلوعه عليه وافق منه علة احدثها سوء المزاج بين الف الراحة والراح فاعياه تنجز المراد على العارض العائق وقد كان فخر الملك مقيما ببغداد وهو الوزير والنصير، ومن اليه الرأي والتدبير فجشم القاضي الى ما قبله ليتفاوضا فيما يوجب صرف الرأي اليه وتأريب العقدة اليه فاتفق مع وصوله استيثار قضاء الله تعالى ببهاء الدولة وانتقال روحه الى جوار ربه وبايع الناس ولده الكبير ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المومنين بسلطان الدولة واستتب له طرفا الامر واعتدل عليه عمود الملك وجرى له الطير بالاقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي الى ما قبله لم يملك له من ذاته جوابا يغنيه

ابو عمر

ش عطف على ما قدره

واقام فصادف دالضمير في عليه عائد الى الموصول وهو ما اقتضته وفي منقولا ضمير يعود الى اجلال واكرام من موضع المجلس الى المتوسد من راحة الاكرام الى عاتق

الاشبال جمع الشبل

هو فخر الملك

هو ابو غالب وزير الوزراء

كلف بهاء الدولة

تحكم

ولا حوارا ليتقيه، اذ كان دونه رسولا الى ابيه فصدر
محملا من رسالته في وراثه الود والوفاء بسالف العهد
واشتراك الخلوص بقاصيه الجهد ما اقتضاه حكم الابتدا
لغرس الوداد واستثمار الوفاء على ظهر البعاد وقد كان
الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة اخو الامير سلطان الدولة
مقيما بكرمان فشجر بينهما خلاف فاقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش
لقصده واستصفا تلك النواحى واستخلاصها من يده فنهض هو
لمقاومتهم وكف عاديتهم واوقد وا بينهم حربا افنت الرماح اكلا وشربا و
اجاحت الارواح طعنا وضربا واستمرت الكشفة بانتباع
الامير ابى الفوارس فانقلبوا منهزمين واقبل ابو الفوارس
فيهم نحو سجستان يؤم حضرة السلطان متطيا رجاه و
مستنهضا كرمه لرده وراه، فلما شارفها قد انهى الى السلطان
خبر اقباله فامر ابا منصور نصر بن اسحق النايب عن الامير
صاحب الجيش نصر بن ناصر الدين بخدمته استقباله وتكلف
الواجب من انزاله، واقامة انزاله وانزال من معه من
طبقات رجاله ونثر عشرة الف دينار من خاص بيت ماله

فبلغ مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من قرانها وطرايها ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك لم يخل ان مثله يسيح به تيار البحور، فكيف اقطار الصدور، واكتسب ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجم ضفايره، وافاض على الشرف بعضه على العرب سايره، ولما وصل الى الحضرة السلطان اوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال، وتلقى عظيم قدره بالاجلال، وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والانعام بكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام ما وقع عند الخاص والعام، موقع الاستعظام ما خلا الهمة التي ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من اشعارها وصوفة من اوبارها، وغرفة من بحارها بل قطرة من امطارها، واقام لديها قرابة ثلثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين ارحاما وشجة وانسابا قريبة حتى اذا نشط للانصراف، والتمس معونته على عارض الخلاف، ارتاح السلطان لما استدعاه فاعطاه فوق

رضاه امو الا اجفت اقدام اقلام الكتاب ، واوهت
انامل الحساب ، واغض في صحبته ونضرته وافاضته
خدمته ابا سعد عبد الرحمن بن محمد الطائى احد مشايخ
بابه ، وافاضل كتابه ، فى رجال قد تعودوا النضر
من خدموا رايته ولم يعرفوا وجه الانقلاب بالاثقال على
الاكفال تحملت صهوة اخرى شواكلها من طول ما
حملت سببا على الكفل ثم توجه الامير ابو الفوارس فيهم
وفى ساير خاصته نحو كرمان فخلا عنها من كان ولى
عليها علما بعجزه عن المقاومة وافتضاحه ان تعرض للمحاق
فملك تلك النواحى ملكه اياها من قبل واقام بها ابو سعد
الى ان قرت تلك الامور ، ودرت للجبايات الشطور ، ثم
كرّ وراه فيمن كانوا برسمه وتحت قيادته واتت على ذلك
مدة من الزمان تمنع حشمة السلطان وحرمة الناهضين
من اتباع رايته فى امر وسمه تعزعنا يته ان يقصد بما يوهم
خلافا عليه حتى اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير
ابو الفوارس بالتدبير وارتاش بعد التحسير سرب سلطان

الدوله عسكرا ثانيا لمواقعته واستخلاص تلك الناحية عن يده فتلاقيا على حرب اشابت القرون تحكيما لظبى الصفاح في مخارج الطلى، وتحويما لشبا الرماح على موارد الكلى، حتى تشقرت الارض من صبيب الاوراد، وتمغرت من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم الامير ابي الفوارس فانتهى به الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظاما لقدره، واهتماما بامره واغتناما لشكره، واستعدادا لنصره، واقام مدة مديدة على هذه الجملة حتى استشعره شعرا به معزورا مقصودا، والى اخيه سلطان الدولة مردودا، ففر نفار الايم من ضربة القاتل والوحش من كفة الحابل، وفارق مظنته قاصدا قصد بغداد وسنشرح ان شاء الله تعالى من بعد حاله وما انتهى اليه امره مما كان عليه اولا

ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه حاله

فلما كان ايلك الخان بعد الكشفة التي اتجهت عليه ببلخ ركب ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرب على نفسه غيظا مما

دهاه، واسفا على ما اعياه، ومازال يعاتب طغانخان

اخاه، ويستنفر قدرخان على ما اوهن من قواه، وفوّته

مراده ومغزاه والقدر له معاند، والزمان مناكر ومناكد،

حتى طرحه الكمد على الفراش وفجعه عن قليل بطيب حيوته

فاشبعه التراب بعد ان جوّعه الحرص والاضطراب همة

كانت معلقة بالاثير محلّقة على فلك التدبير غير ان يد القدر

فوق يد التدبير وما يصنع المرء بالجدّ اذا وافق الجد سافله البئر

فهبه رحًى يجري لها اليوم ماؤه وليس لها قطب بما ذا ايديرها

وقد ينهض العصفور كثرة ريشه، ويسقط اذ لا ريش منها يسورها

وقد كانت وفاته في سنة ثلث واربعمائة وولي مكانه

اخوه طغانخان فوالى السلطان ووالاه وهادنه وهاداه

متلافيا بزعمه لما احلّ به اخوه ومتوددا من حيث ركب الخلاف

ذووه وجاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغانخان

وبلاد الاسلام من ديار الترك وساير ماوراء النهر تزيد عدتهم

على مائة الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلهم على صعيد واحد

يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم بغيا طال ما صرع اهله واودى

كما يورد الهدى محله فاستنفر من خطط الاسلام حتى
اجتمع عليه من رجال الترك واحرار الغزاة والمطوعة
قرابة مائة الف رجل فاستكت اسماع المسلمين من فظاعة
ذلك النباء الهايل والبناء المائل وارتاعت له القلوب
والتاعت النفوس وتناصرت الادعية والاذكار وسار
طغانخان مستقبلا من اقبل اليه من جموع الكفرة الفجرة
بنيات مقصورة على الاستقتال واستقبال الآجال اوينزل
الله نصره ويظهر حزبه تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول وقوله الحق انا
لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا والتقوا اياما تباعا
على ملاحم لم تدر من فتق العروق، وضرب الحلوق، وشد
الخيول على الخيول اصوب انواء ام صب دماء ولمع بروق
ام وقع سيوف وظلمة ليال ام رهج نزال وفي كل ذلك
يتولى الله عباده بالايد المتين، والنصر والتمكين، حتى وثقوا
بالصنع المستبين، وطلوع النجح مشرق الجبين، وتلاقوا اليوم
منصوص عليه على فيصل الحرب فشد بهرام بطاقه، واداز

الفريقين دهاقه فاما اعداء الله فسكروا سكرا استوجبوا
به الحدود بالحدود البواتك فصُبَّ عليهم من لدن لاح
جبين الشمس الى ان ذكت سراجا وهاجا وكادت تصير
على قمم الروس تاجا واما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا
معها للضرب فوق الهام والعبث بطلايع الحمام لاجرم ان
الله حماهم، ونصرهم وآواهم واظفرهم، فغادروا ابين حماير
الكفار قرابة مائة الف عنان صرعى على وجه البسيطة عن
نفوس موقوذة، ورؤس منبوذة، وايد عن السواعد مجذوذة
تعرى للضباع، بل جفلى للسباع والوحوش الجياع، وافاء
الله على المسلمين مائة الف راس غلمانا كالبدور واللؤلؤ
المنثور، وجوارى كالحور العين والبيض المكنون وسوايم غصت
بها اقطار البيداء، وضاقت اطرار الدهناء، وشرد الباقون
وراءهم تشلهم السيوف شل الانعام، وتضربهم ضرب القداح
نقيعة القدام، وتخطف ارواحهم بايدى الحمام، وتطايرت
به البشارات فى ديار الاسلام، فنضرت له الوجوه وضحكت
القلوب وعم السرور، وتوفر الشكور، وتباشرت الدور حتى

حتى القصور والخدور لطفاً من الله تعالى للدين ارتضاه
ووعداً ان يصل بين المتنائين قواه، ولم ينشب طغانخان
بعد فراغه من هذه الحروب العظيم باسها الشديد مراسها
ان استأثر الله فنقله الى جواره، وبوّأه مبوأ الصديقين
من دار قراره، ختماً له بالشهادة، وحتماً عليه بالسعادة، فورث
مكانه اخوه صنوه في التقية، وتلوه في الامور الالهية ثلث
المقام في دين الاسلام لا يعرف له جاهلية، ولا تنقم منه عنجهية
ويحرّفيه يقيم الصلوات جماعة ويفترض العدل سمعاً لله
وطاعة وعمر الحال التي كانت بين طغانخان اخيه وبين السلطان
يمين الدولة اظهاراً للمصافاة واستشعاراً للمواخاة وايثاراً
للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب السلطان
اليه والى اخيه ايلك كريمة له على ولده الامير ابي سعيد
مسعود بن يمين الدولة فاحسنا الاجابة واغتنما القربة
وتردد بينهم السفراء في ذلك مرة على جملة التهادي ورمّ
الحال باقتسام الايادي الى ان حقت الحقيقة وتمت العقدة
الوثيقة وانهض السلطان من احرارهم من ثقات بابه لنقل

اليتيمة الكريمة فجهزت وديعة تناح عليها ملكان هذا
صيد الملك وذلك ملك الترك يختص بها الشبل بن الليث
والوبل بن الغيث والتيار بن البحر والصباح بن الفجر الامير
الجليل ابو سعيد مسعود بن محمود ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد
صحبها من فقهاء تلك البلدة واعيان رجالها من عدّ وا ائمة الدولة
المشرق وارباب المنطق فادوا امانتى اليد واللسان على ما
الحمت الحال بين الجفنتين ورفضت الحشمة فى ذات البين
وامر السلطان اهل بلخ قبل الوصول بعقد الآذين وتكلف
التنجيد والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغا لم يستبق فيه من
الوسع مذخور، ولا من الرسم مذكور ومسطور، وراى
السلطان بعد ذلك ان يرفع من قدره بعقد له على هراة سرة
مملكته ونواحيها وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم بعيد ذخيرة
وليوسعه تجملا وذبنة فنهض اليها رشيد السيرة، حميد السريرة عادل
الطريقة فاضل الخليقة خليقا بالامارة على الحقيقة وذلك
فى سنة ثمان واربع مائة

ذكر الامير ابى احمد محمد بن يمين الدولة وامين

وامين الملة جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه
من حاله وذكر خصاله قول القائل
ان السرى اذا سرى فبنفسه ‌ وابن السرى اذا سرى اسراهما
قد جمع الله له من الميل الى خصايص الادب والسعي لمعالي
الرتب والبعد عن مكامن الريب، ما دل على انه ابن ابيه
شرفا سمقت على النجوم شرفاته وكرما تعرفت لاهل
الفضايل عرفاته خرج من حضن الكفالة خروج الابريز
من جمرات السبايك، والهلال من تحت الشعاع المتشابك
ولم يعرف له طول ايامه الايفاع غير الارتفاع الى اليفاع
تصرفا على كرم الطباع وتقييدا للمأثور بالسماع، وبذلا
لما لفظته يد الطباع، وارتياضا باداب الثقافة والمصاع
حتى اذا نزع يداه برد الحداثة ولبس جزاه طوق الشهامة
راى السلطان ان يوفيه حق البنوة وكونه شرط المروة
ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه واستدعته
العناية به والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر الفريغوني
والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى

الكفاية كفاءة، والى النغمة همة، وعقد له على اعمال
الجوزجان. كما عقد للامير الجليل ابى سعد مسعود على
هراة وهى التى وليها آل فريغون وهم الذين حكوا فى العز
افريدون، وفى الهمة المنجنون وفى الغزارة والسماحة
جيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران كفاية اموره
وولاية تدابيره فبرز اليها بروز السيف من يد الصيقل
ومشى على اهلها مشى السحاب الهاطل واحياهم بندى العدل
الشامل وعدل فى العطف عليهم بين الايامى والارامل
فعلقته قلوب الخاص والعام، وكفته النفوس مؤونة
الاستخدام، ولما راى السلطان حميد اثره ورشيد مخبره
ازداد شغفا بآثاره وحرصا على اصطناعه وابثاره فلم
يخل من جديد انعام ومزيد حفاوة واكرام وسياتى
خبر الاخوين الجليلين فى موضعه من بعد باذن الله تعالى

ذكر التاهرتى الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة منذ شحذ الله عزيمته لغزو
الهند محييا سنة ابيه ومقتفيا نهج آثاره ومساعيه باحثا

رمل الرجل فنى زاده
والارمل الذى لا امراة له
والارملة التى لا زوج لها

باحثاً على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام
ماحياً للبدع المعترضة عليها فى سالف الايام استنصاراً
منه فى الدين واستظهاراً على قمع الملحدين فقرأ الكتب
الكثيرة وسمع التاويل وتتبع القياس والدليل و
عرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع وتلقن
من اصول الدين ما لم يستجز معه فى الدين بدعة ورأى كل
ما خالف ظاهره نكراً وشنعة وألقى اليه ان فى غمار الرعاع
بخراسان اقواماً ينتحلون المذهب المنسوب الى صاحب
مصر وظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض بتاويلات
موضوعة تؤدى الى رفض قواعد الدين وحل معاقد الحق
واليقين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض
والنقض فامر بوضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم
وعثر على رجل كان سفيراً بين المذكور وبين اوليائه
والملبّين لندائه يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنص على
عصابة منهم مختلفى البلدان والاوطان فانتحصوا الى الباب
ورجموا تحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك باضرابهم

ومن كان يخرج له ذكر بالقابهم حتى التقطتهم حجارة الرجم
والرض عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد
بن اسحق بن محمشاذ زعيم اصحاب ابى عبد الله بن كرام غزير
الفضل كبير المحل مذكورا فى القاصية والدانية بالديانة
الوافية والامانة البادية مشهورا بالتيقظ على الفرق الغاوية
والبدع الجافية فوافق راى السلطان على اجتياح من ركب
بنيات الطريق وعدم فى العدول عن مثل مخارف النعم مبادى
التوفيق ونبه على عدة زعموا انهم ضلال ولهم فى فضول القول
وهذر المحال مجال فسلكوا فى اصفاد الاخرين ونصبوا عبرة
للناظرين وازداد ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر المحاماة على
دين الله والمراماة دون حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن
كل ذى ريبة بعيدة او قريبة حشمة اطمعت فيه الرجال و
امالت اليه الامال واية حشمة وضع الله عليها طابع الدين
نهى فى جوار النجم علو مكان وسمو شان وكفاك بها فخامة
ما ورد فى الخبر المروى ان الله تعالى قال للدنيا من خدمنى فاخدميه
ومن خدمك فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل

رجل من ديار العراق ينتسب الى شجرة العلوية يذكر انه رسول
صاحب مصر الى السلطان يمين الدولة بكتاب تحمله وبرتزوده
فورد نيسابور مدلا بسبب النسب ومدليا بصلف المشرف فاستوقف
الى ان انهى الى السلطان خبره ووكل الى ما يرد من مثاله صدد
ونهض من بعد ذلك الى هراة ممتدا الى الحضرة فامر برده الى
نيسابور لتقرير ما تحمله على رؤوس الاشهاد وبمرأى ومسمع
من كل حاضر وباد صيانة لخاص مجلسه عما عسى ان
يضاف اليه من احالة ومرتحت رسالة فلما رد القهقرى و
فتش عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط في الشريعة
الحنيفية اصحّ منها في الاسماع خباط المجانين ووسواس المبرسمين
لا توخذ في معقول ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر على امور
من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد لها على نار
الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات
ومازال يضرب اسداسا في اخماس الى ان تبين له انه اخطا
في تحمل تلك الرسالة وحرم التوفيق في تقلد تلك السفارة
وقضى الله ان اشخص الى حضرة السلطان فلما وردها

أُستحضر مجلس حفله وقد غص باعيان الاسلام سادا تها
وكبرائها وقضاتها وفقهائها وغزاتها وزعمائها وهناك
الحسن بن طاهر بن مسلم العلوى ومن قصته ان جدة مسلما
لم يكن فى الطالبية من اولاد الحسين الاصغر رضى الله عنهما
وعن اباتهم الطاهر بن بناحية مصر اوجد وانبه منه ولا اغنى
واقنى عنه فلما استقر معدّ ابو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض
بناته على ولده ابى منصور الملقب بالعزيز بالله وسبب ذلك
على ما قيل انه وجد فى داره رقعة فيها ان كنت من ال ابى طالب
فاخطب الى بعض بنى طاهر فان رآك القوم كفوا لهم
فى باطن الامر وفى الظاهر فأما من سفه خوزية يعض من الاعضاء
منها النظر بالاخر فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر
لان كورها خورستان وهى ام محمد بن عبد الله بن ميمون
فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة من بناته الا وهى فى حباله
تحت عقده تفاديا من اجابته وتحاميا من مصاهرته فلما عرف
امتناعه ذهابا بنفسه وترفعا بنسبه دونه وضع عليه يد الاستصفاء
بعد ان اودعه الحبس سنين وخبط خبط العصا ورق السلم والبيع

البسه عن فضفاض الغنى غلالة العدم وهلك من بعد
على يده فقال قوم غيب عن محبسه فلا يدرى كيف صار امره
واين جعل قبره وزعم آخرون انه هرب من الحبس على طريق
الحجاز فاحتضر على الطريق وعند ذلك ارتحل طاهر والد الحز
المذكور الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستولى عليها
متامرا على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابى على بن طاهر
وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث ابو على مكانه
من الامارة الى ان لحق به وورثه ولداه هانى ومهنى دون
الحسين لاستصغا فهما اباه وتفويضها بالحال والمال عليه فرحل
هو نحو خراسان ملتجيا الى السلطان سنة ثلث وتسعين
وثلثمائة ولما ورد الشام فى زعمه رسولا صغر الشريف
الحسن شانه ووضع منه لسانه وابى ان يكون له نبات
على دوحة الرسالة وانتساب الى بنعة النبوة وادعى عليه
انتساب الكذب وتحمل الزور والتقول وعزاه الى فساد الدين
واستحقاقه ضرب الوثن فخلى السلطان بينه وبين ما يستجره
لنفسه ودينه فقام الى جيده لضربة غرقته فى دم وريده وقد

لاستضعافهما

كان القادر بالله امير المومنين قد كتب الى السلطان بما ترامى
اليه من خبر الرسول وما تقتضيه الدين من التصلب عليه و
ترك الحفل له وتقديم الحبل للانتصاف للاسلام والمسلمين
منه فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة
صورة الحال وكعم السيف افواه العذال فقوبل من القبول
بمقتضاه وجرى الخبر على ما اتاه وتوخاه فكان مثل الناهي
كما قيل ، ومن يشرب السم الزعاف فانه حقيق بانياب
المنايا النواهس ،

ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان مملكته

قد كان ابو الحسن علي بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته
وقد كان المستضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى
السلطان احدى اخواته تفوهية لعمرة الحال وتشديد للحمة
الوصال فاوجب اسعافه بما استدعاه استكفاء اياه وتوخيا
لرضاه وزفت اليه من خطبه ووصل باسبابه سببه ودر
التهادي بينهما حتى صارت الدار واحدة والاسرار لغير الاخلاء

جاحلة وعبرت الحال على جملتها فى الاتشاج والامتزاج الى
ان قضى خوارزم شاه نحبه ولقى بانقراض الاجل ربه وورث
الامير ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه وولى ما
كان يليه فكتب الى السلطان يساله ان يعقد له على شقيقته
عقده على اخيه من قبل فهو تاليه فى الطاعة بل اتم اخلاصا
وثانيه فى القربة بل اشد اختصاصا تشفع السلطان فيه
دواعى الكفاة واستجد الحال رونق الطراءة وعقد له عليها
عقد الخلطة فيه بنفسه وفرغ له فريقا من قلبه وخلبه و
مازال الامر على جملة الاشتراك والاشتباك الى ان
دعا السلطان دواعى الاختيار الى سومه اقامة الخطبة
باسمه فانهض رسولا بتنجزه العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه
فصادف ذلك منه حرصا على الاجابة، وافتراصا لحق الطاعة
غير انه عرض الحال فيه على من حوله من اعيان اشياعه
واتباعه فاظهروا انقارا، واصروا واستكبروا استكبارا
وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما سلم لك الملك عن الاشتراك
فاما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق

خلافًا لك وتمكيًا عليك وجهادًا فيك فعاد الرسول الى
السلطان بما رآه عيانًا وسمعه بغيًا وعدوانا واحسّ القوم
بحمرة الدم من وراء جرأتهم على ولي نعمتهم بالقول الفظيع
والرد الشنيع وزعيمهم في الامر يومئذ تنالتكين البخاري
صاحب الجيش فاوجسوا خيفة وتوامروا على الفتك به
غيلة وما زالوا في التدبير عليه الى ان دخلوا عليه ذات
يوم على رسم السلام فاذا هو صريع كاس الحمام لا يدرى
كيف قتل ومن اى وجه وصل فبادروا الى العقد لاحد
ولده وبسطوا ايدى الاصفاق على بيعته وعلموا ان السلطان
يمتعض للحادثة ويقصد قصد الانتصاف للوارثة فتحاملوا
على مقارعته ان غزاهم في عقر دارهم وجزاهم عن مسخوط
آثارهم ولما انتهى الى السلطان خبر صنعتهم بولي نعمتهم
وهو قيم شقيقته وحامي حقيقته ازعجته قوة الحفاظ للانتقام
من اولئك الغدرة الفجرة والمرقة الفسقة لحماس لما هضتهم
على حمية مسجورة وحفيظة على ذات الله تعالى مقصورة و
كانت سعادة ايامه قد لقنت اولئك العتاة البغاة ما اوقع

إبرته استحقاقاً للنقمة وبراءة من العصمة وتمهيداً لعذره
قرباً وبعداً في استخلاص مملكة كانت الى عزايا لية نازعة
ولباب الاقبال برفق سياسته قارعة، وجر الجحافل كالجبال
سائرة والبحور زاخرة حتى اناخ بعقوتهم مستعيناً بالله على قتالهم
واستنزالهم الى مناهل آجالهم، وساور بيا لتكين عامة قواده
في ركضة على طلايع السلطان بياتاً يعضهم بانياب الحديد
ان لم يسلمهم للتشريد والتبديد وطار بحت حوافي الليل حتى
انفض على ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي وهو طليعة
السلطان في كماة العرب حين انفض الكرى رؤوسهم و
شغل برد الصباح نفوسهم واختلط البعض بالبعض ضرباً
بالسيوف القواصل وطعناً بالرماح الذوابل، وطار الخبر
الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه الى معترك
الحرب وثبتت الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى
ان حمي وطيس النهار جاهدين في القراع مجاهدين دون
المساكن والرباع يظنون ان يظفروا وقد غدروا بمن ربّاهم
في حجور الانعام واداموا من ثدي الاكرام، وهيهات

ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار وثانيهما
آجل النار ولم يشرف على التكبير حتى اضجعت الخيول والفيول
رجالا احكوا اجمالا قد قصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم
وفلقت بالسيوف هامهم ونضعت بها اجامهم وانهزم
الباقون في خمر الغياض والآجام على شاطئ جيحون و
الصوارم من ورائهم تخطب ارواحهم حتى اذا واقعتها
نحلتها الطلاق صداقا واستاسر منها خمسة آلاف حقن الله
دماءهم عبرة للنظار وعظة لامثالهم من الغدرة الفجار
وركب البخاري ظهر الماء موائلا في الهرب ومقدرا خلاصا
من العطب ولم يدر ان فعله السوء يخزيه واقدامه على
ولي نعمته يرديه وان حافر البئر لاخيه ساقط لا محالة فيه
وجرت بينه وبين بعض اصحابه منافرة حملته على الاستيثاق
منه وبعث الملاح على استقبال المعسكر بوجه الزورق
فلم ينشب الا يسيرا حتى حصل في يد السلطان اسيرا، و
احضره السلطان في مجلسه في سائر القواد المأسورين
يسأله وإياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعية

واجترائهم عليه من غير وطأة عاتيه في جواب المستبسل المستقتل واما الباقون فسقط في ايديهم لا يدرون ماذا يردّون وامر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وصلبهم اجمعين عليها مع علة من اتهمهم بالدين وعدّهم معدّ الناكبين عن قصد السبيل وامر بالكتابة على جدرات تلك المقبرة بان هذا قبر فلان بن فلان بغى عليه حشمه واجترأ على دمه، فقيّض الله له السلطان حتى انتصر منهم وصلبهم على الجذوع عبرةً للناظرين وآيةً للعالمين، وامر من بعد بالاسرى فوضعت الاغلال في اعناقهم يقادون الى غزنة دار الملك فوجّا بعد فوج حتى اذا حصلوا بها وقد امتلأت منهم العيون وغصّت بهم المحابس والسجون، منّ عليهم بالافراج وفرض لهم في ساير الحشم والاجناد ووضعهم مواضع امثالهم من ديار الهند ربايا يحمون اقطارها ويغضون عن عيون العيث مناكبها واطرارها، وولّى خوارزم حاجبه الكبير اباسعيد التونتاش فاقام بها قامعا لجوم الفساد، ووافيا عيون الغي والعناد،

الى ان نضب ماؤهم، واذعن للطاعة أفناؤهم، واستقرت تلك الاسباب، ودرّت تلك الاحلاب، وذلك تقدير العزيز العليم

فتح مهرة وقنوج وناحية قشمير

ولما فرغ السلطان يمين الدولة من مهم خوارزم وقد انضافت كاحدى اخواتها الى ساير ممالكه الموشحة بآثار ولايته الموشعة بانواع ابساغ عدله ورعايته رأى ان يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام اجماماً للركائب والركب وتقليباً لرأى الغزو بين جوانح القلب فعدل الى بُست كالشمس وقد جنحت للشمال و جاوزت نقطة الاعتدال، فالدنيا بها حواشى المطارف او عواشر المصاحف اوعقود المخانق اونهود المعصرات العواتق يكبر اعمالها ويروّى فيما صار احمى لها الى ان اذن الله له من معاودة غزوة منشيا سحاب الفكر في غزوة تحقق اعجاز القرآن بما تضمنه وعد الله المنّان في اظهار دينه المرموم لسيد البشر، ومولى البدو والحضر محمّد تاج الانام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام على الدين كله وان سخطت نفوس وضرعت خدود ورغمت

رغمت معاطس وانوف بعد ان كانت الشقة قد بعدت عليه
وعلى اعوان دين الله السايرين تحت رايته بنور هدايته
اذ كانت الهند قد تحيفت من شواها واطرافها سبيا وانتهابا
وملكت على اربابها سهوبا وشعابا، فلم يبق الا ما اجنه ضمير
قشمير، ومن دونها فياف تقصر عن كل عزيف وصفير، وتضل
فيها وفود الرياح الاعاصير، واتفق ان حشر اليه من اداني ديار
ما وراء النهر الى اقصى حدوده زهاء عشرين الفا من مطوعة
الغزاة قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد مقدمين
في ذات الله للاستشهاد يخطبون الجنان بصداق الارواح
ويستامون الغفران بحدود الصفاح، فحرك من السلطان
نفيرهم وذمر نفوس المسلمين تكبيرهم، واقتضى رايه ان يزحف
بهم الى قنوج وهي التي اعيت الملوك الماضين غير كشتاسب
على ما يزعمه المجوس وهو كبش اقرانه وملك الاملاك بزعمهم
في زمانه فما بين غزنة دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلثة
اشهر بسير الركايب القود، والخوانف السود، فاستخار ربه
وسار وهجر النوم والقرار، واستصحب من شهد من انصار دينه

دين الله، واعوان حق الله، رجالاً لا يقتحمون اسواق المنايا
شوقاً الى السعادة بالشهادة، وحرصاً على الموعود من الحسنى
والزيادة، وعبروا سيحون وجيلم وچندراهة وايراجة وستلدر
سالماً فى سالمين، وهذه اودية تجل اعماقها عن الاوصاف،
وتمتنع اطرافها عن الاطراف، منها ما يغمر غوارب الفيول،
فكيف كواهل الخيول، ويبهره ثقال الصخور، فكيف خفاف
المطايا والظهور، صنعاً من الله لمن والاه، وغرضاً بروحه
فى استدامة رضاه، ولم يطأ مملكة من تلك الممالك الا اتاه الرسول
واضعاً خد الطاعة، عارضاً فى الخدمة كنه الاستطاعة
الى ان جاءه سبلى بن شاهى بن بيمهى صاحب درب قشمير
عالماً بانه بعث الله الذى لا يرضيه الا الاسلام مقبولاً
او الحسام مغلولاً، فاظهر العبودية عن حاضر التوفيق، وضمن
الارشاد باقى الطريق، وجعل يسير امامه هادياً، ويجزع
وادياً فوادياً، وكلما انتصف الليل اذن بالمسير خفق الطبول
واستوى اولياء الله على ظهور الخيول، يجشمون تعب الركض
والسلوك، الى ان تجنح الشمس من عين الدلوك، حتى يستظهر

الاطواف
الشب ما بين السنام والعنق
اتاه جنكى
الجزع القطع

ما خَوْن لعشر بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما زال
يفتح الصياصي والقلاع مبنية على نُهود الجبال وجروف
القلال بحيث تألم منالها الاعناق، متى تخصت اليه نواظر
الاحداق الى ان شارفه قلعة برنه من ولاية هردت وهو احد
الرايان اعنى الملوك بلغة الهنود فاطلع على الارض
اطلاعة وهي تموج بانصار الله مسومة وفوقها الترايك
ومن حولها الملايك، فتزلزلت قدمه، واشفق من ان
يستباح دمه، فراى ان يتقى بالاسلام باس الله وقد شهرت
حدوده، ونشرت بعذبات العذاب بنوده، ونزل في نحو
عشرة آلاف منادين بدعوة الاسلام، متبرئين عن ولاية
الاصنام لحقق الله ميعاده، واحسن بفضله اسعاده، ثم
وامتد الوجيف به بعده الى قلعة كلجند وهو من اعلام الشياطين
واعيان اولئك الملاعين، يدل على الملوك بعزه اقعس
ويربو على القروم بطرف اشوس، قد قضى في الكفر
معظم عمره وغنى بهيبة الملك ولبسطة الامر عن جنيّه
وثمره، ولم يقصده احد الا ارتد مفلولا، وعاد عقله عنه

محلولا، عزة حال، وكثرة مال، وقوة رجال، وعدة افيال،
ووثاقة معاقل وحصون، وملك عن مطامع الانام ومطامح
الوهن والاشلام مصون، فلما راى السلطان قد قصد قصده
وجرد لمجاهدته جهده رتب خيوله وفيوله وراء غياض لو
رميت بافراد الابر لا تقتها الارض باوراق الشوك والشجر
واغرى السلطان به بعض طلايع جيوشه فثاروا اليهم
يخرقون تلك الآجام خرق الامشاط منابت الشعود بل
الاسنان مخارز السيور واعترضت للسلطان طريق من فوق
القلعة المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله
اكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقبلين و
تواصوا بالمنايا مستبسلين والسيوف تاخذهم من فوق ومن
قدام وتبضعهم ما بين لحوم وعظام وحملاتهم بينها يتصل اتصال
الكعوب وضرابهم تتوالى توالى الغيث المصبوب غيران
الله منزل الحديد ذي الباس الشديد هو الذي اذا شاء قطع
واذا شاء نبا وامتنع ، ، ، ، ، ، ، ع
كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها، وتقطع احيانا مناط القلايد فان

التقية كذا او قد
ثبتت ورا ده
اعرضت
مده بحر به عالم
اى وصيم ماشيح
مستنفين
اهل القلعة

فان نالت من اولياء الله فلأجر الاستشهاد، وثواب المعاد
وان نبت فلاعجاز القدرة واظهار العبرة وليُعلم ان الحكم
له في كل مخذول ومعصوم ومحروس ومقصوم وظل
المجاديل يتناسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم نابية وسيوف
اهل الحق عليهم ماضية وحملاتهم واهية، وحملات اهل الله
اولى وثانية، ما هولاء من جنس الانس ولا من زمر البشر
هيهات ان وقع الحديد يحز في الجبال ولا جزاله في هولاء
الابطال حتى اذا امثل لهم شخص الطغيان في صورة الخذلان
تواصوا باقتحام ما وراءهم من زاخرة المياه يظنون انها
تقيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام ولا يرون ان
الكفر سبيله وان الله يُردي بكثير ما يحيي قليله لاجرم ان
صفائح الماء وافقت صفائح الدماء فاوسعوا قتلا واسارا
واُغرقوا فاُدخلوا نارا ولعل عدد القتلى والغرقى يزيد على
خمسين الفا اصبحوا طُعمًا للنسور والضبعان واقواتا للتمساح
والحيتان وعمد كلحذ الى قتاليه فاهلك بها عرسه ثم كرّ عليه
فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان ماية وخمسة وثمانين

راساً من الفيلة الضخام مضافة الى ساير ما طرد عليه
حكم الاغتنام من نعم الله الجسام وقسمه الراجحة بالاتسام
ولما وضعت تلك الحروب اوزارها وحلت له الغنايم
ازارها عطف عنانه الى سط البلد الواقع عليه اسم المتعبد
وهي مهرة الهند بطالع ابنيتها التي تزعم اهلها انها من
صنيع الجان دون الانسان بابداع اساس وسقوف واعجاز
اوساط وحروف وازاي بما يخالف مجرى العادات وتفتقر
رواياتها الى الشهادات، بل المشاهدات بلد امبنى السور
من صم الصخور قد شرع بابان منها الى الماء المحيط به موضوعة
ابنيتها فوق شواخص التلال صيانة لها عن مضار سيول
الماء ومعار غيوث السماء عن جنبها الف قصر مشبهة بسائر
الابنية في الوثاقة مشتملة على بيوت اصنام قد هندمت
مفاصل اعرافها بمسامير تساوي سطوح البناء وتوازي ما
وراها من الجزوز تحت الخفاء وفي صدر البلد بيت اصنام
تحكي اخواته او احسن ويجري مجرى اضرابه او اتقن لا يهتدي
الكتاب باقلام واله واة ولا النقاشون باطراف الخامات

الى امثالها تحسيناً و تزويقاً و نقوشاً تخطف الابصار بريقاً
وكان فيما كتب السلطان به انه لو اراد مريد ان يبني
مايعادل اشباه هذه الابنية لعجز عنها بانفاق مائة الف
الف دينار في مدة مايتي سنة على ايدي عملة كملة، ومهرة
سحرة، وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب الاحمر مضروبة
على قدر خمسة اذرع في الهواء منصوبة قد الفقت عيناً واحد
منها ياقوتتين لو سيم مثلها على السلطان لابتاع بخمسين
الف دينار استرخاصاً ولم يستشرفيه درگاً ولا خلاصاً
وعلى آخر قطعة ياقوت ازرق ريا من ريق الماء وبريق اليما
يتزن اربع مائة وخمسين مثقالاً وخرج من وزن قدمي
احد الاصنام المذكورة اربعة الف واربعمائة مثقال
فكانت جملة الذهبيات الموجودة عن اجرام الاشخاص
المنصوبة ثمنية وتسعين الفا وثلثمائة مثقال وزادت
الفضيات منها على مائتي قطعة لم يمكن وزنها الا بعد
التفصيل والعرض على كفف المعايير وامر السلطان بعد
بساير بيوت الاصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت

سقوفها مواطى الاقدام وسار من بعد قدما يروم قنوج وقد
استحق له القال من تصحيفه فتوحا وعده صغامن الله تعالى
ممنوحا وخلف وراءه معظم العسكر تطميعا لراحيبال ملكها
فى الثبات لحفة الزحام وتقبيحا اليه قبل اللقا صورة الانهزام
اذ كان امراء الهند على غلب رقابها وقوة اسبابها واصحابها
اطواعا لراي قنوج اعتزازا بمكانه واغترارا بفخامة شانه
ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها بالارض
وعرض اهلها على الاسلام او السيف وحاز من السبايا و
النهاب والنعم الرغاب، ما يعجز انامل الحساب ووصل
ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راحيبال حين سمع باقدام
فراق من لا يرى الهزيمة عنه عارا، ولا يعد الفضيحة به
شنارا، وعبر الماء المسمى كنك الذى يسمى كنك وهو الذى
يتواصفه الهنود قدره وشرفه ويرون من عين الخلد فى السما
مخترفا ان احرق ميت منهم ذر رماده فيه بعطامر وظنوا الطهرة
لآثامهم وربما اتاه الناسك بعيد فغرق نفسه فيه يرى ان ذلك
ينجيه، وهو فى العاجل يرديه، وفى الآجل يصليه ويخزيه،

ثم لا يميته ولا يحييه، وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي سبع موضوعة في الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قريب من عشرة آلف بيت الاصنام يزعم المشركون انها متوارثة منذ مائتي الف سنة الى ثلثمائة الف سنة كذبا وزورا، وقولا موزورا، وعدولا عن سنن الهدى وكفورا، وبحسب قدمها عبادتهم كانت لها واجها شهم بالدعوات اليها وقد شرد عنها اكثر اهلها خيفة الايم واليتم وحلول النكير بالهتهم البكم الصم فمن بين ناج اغاثته نجاؤه وثاو اباده ثواؤه، ولم يحجه من سيوف الحق ارضه ولا سماؤه ففتحها كلها في يوم واحد ثم اباحها لاهل عسكره ينتاهبونها وقبا وذلالا وركض منها الى منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم حي لقاح، وعتاة ما لهم عن الفساد براح، فثبتوا للقراع اشباه العفاريت عارجة والشياطين ماردة اومارجة حتى اعوزهم الثبات واعجزهم النجاة، وعلموا ان ليست لهم بالمسلمين طاقة وان دماءهم لاسك مهراقة تهاووا من غرفات الجدران وشرفات البنيان على سنا الرماح وظبي الصفاح

استخفافا بالنفوس والارواح، واستسلاماً لامر الله
المتاح، لاجرم ان السيوف اشربت الارض دماءهم
واطعمت النسور اشلاءهم، كذلك المنايا اصهارهم من
خطب اليها لم نزله ردا ولم تجد من انكاحه بدا واخذ
على تقفية ذلك نحو قلعة آسي وصاحبها المعروف بجذال
پور احد انياب الهنود، وارباب الجنود، لم يزل ذا منعة بالملك
وسعة في الملك فعرض له راى فتوجه منازعاً ومادة الحرب
مكاوحاً ومفادعاً فلم يزد على ان اتعب اولياءه وبكل على
الخيبة وراءه وقد احاط بهذه القلعة غياض متكاثفة
باعراف الجياد ومتداخلة كاشعار الحلود لا تستجيب
الافاعي بينها للرقاة، ولا يستنير البدر عندها للسراة، قد
احاطت بها خنادق فغيرات الحفاير فسيحات الدواير لطامح
النوز بالثريا فالدعها انفراج، ولا لها دونه انعراج، فلما
شعر لذنكور بنهض السلطان اليه في كواكب دولته و
مواكب جملته فقد قلبه فرط الحذار وحبس نبضه وكان ذنب
الفار وراى الموت فاغرا فاه فلم يملك الا ان يوليه قفاه فا

السلطان بقلع قلعته من اصولها وتعويرها على من بهم آنفا
بجلولها وقفى آثاره بعفاريت انصاره ينهبون ويغنمون
ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون انهم الخاسرون
وكان المخذول يرى ان اعوانه من كماة الهضاب وحماة
الاشاهب ورماة الكتائب حتى راى عسكر السلطان
بين تلك المشاعب وآثارهم بالقنا والقواضب والقسي
المواطر كالسحايب فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب
الثاير الغالب وقوس المحلج غير قوس الناشب ولما فصل
السلطان امر جنداً آل واذاقه في مهربه الداء العضال
عطف على جند راي احد اكابر الهند في قلعة شروة وهو
يظن بنفسه ان القايل يعنيه بقوله
عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قايم
قد ذهب بها عن ان يعطي غيره مقادة او يالف غير التعزز
عادة وكانت في غابر الايام بينه وبين بروجيبال مناوشات
تجاحش عن خيوط الرقاب فدامت حتى استلحمت رجالا
واصطلمت ابطالا فابطالا ثم قام دست الحرب بينهما

فاضطر الى التوادع والتكاف جنفا للدماء وصونا للاعراض
وخطب بروحيبال اليه ابنته على ابنه بهيمال استدامة
للالفة واماطة للفرقة واستدفاعا للفساد واستبقاء
للسيوف فى الاغماد وسرح ابنه اليه على تنجزه عقدة الوصال
وشرط الانتاج فى اللحمة والاشتراك فى البيت والنعمة
فلما حصل الختن فى يده جعله تحت قده وقيده وطالبه بعوض
ما ذهب له على يد والده فعجز بروحيبال عن فصل قلعته
واقتناص بيضته واستخلاص ابنه من اسار محنته عوان
المنازعة لم تنفك بينهما قايمة الى ان طلعت رايات السلطان
على تلك الحدود وسفر صنع الله له فى المقصود بعد
المقصود فاما بروحيبال فلحق بهوجند احد المتعززين
بحصانة المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المراقى
خلاصا بمهجته واعتياصا بزعمه على من همّ باقتصاص اثره
واما جندراى فانه استعد للمدافعة واحتشد للممانعة
اغترارا بوثاقة قلعته ولو ثبت لقلعته وادلالا بمنعته
ولو وقف لخلعته فراسله بهيمال بان محمود اليمين حضر

ليس من جنس اكابر الهنود وامراء رجالهم السودان السلامة

من مثله تغنّم والجيش باسمه واسم ابيه لبسته هزم وقد راينا

من كان اقوى منك حكمة واعلى اكثر لم يقم لضربة من ضربات

حدوده، ولم يف بهضبة من هضبات جوده، فان اردت

الافتضاح فشانك او الخلاص فعوّض ما استطعت مكانك

فعلم ان الرجل قد نصحه وانه ان خالف الحق فضحه فقرّب

اثقاله وامياله وخزانته وامواله، نحو جبال تناغي كواكب

الجوزاء، وآجام توارى خد الارض عن عين السماء، وورّى

بوجه مقصده فلم يدر اين سار وبين اى الاقطار طار، استغشى

الليل ام امتطى النهار، وكان عرض النصح المظلوم في تمرسه

وتعريبه اشفاقه من حبالة الاقتناص فيستام من كلمة الا

ماسيم اعمامه واقاربه قبل حين اضطروا الى الاستيمان

والاستسلام فلما احاط السلطان بتلك القلعة وامتحنها

على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومراصدها وتوسّع منها

في علف كثير ومال على اختلاف اصناف خطير فلم يهنه الموجود

وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه

وانتزاعه من يدهم هربه فاقتص اثره ركضا نحو خمسة عشر
فرسخا بين منابت اشجار تصك الوجوه فتدميها ومساقط
احجار تصدم الحوافر فتحفيها ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين
من شعبان وقت العتمة وهم يطوون مجاهل الارض هبوطا
وصعودا ولا ظى النجار بحضر موت برودا، واهاب باولياء
الاسلام وابناء الصلوة والصيام الى اقتصاصهم وادراع الظلام
فى اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه، القاضى على الكافر بتوهينه
فكم قتيل هنالك قبل ان يمسه حر الحديد، واسير تقيد قبل شد
التقييد، فاما الاموال فبانت مجادون الارواح، وستزادون
حد السلاح وحز الجراح، لا يعبؤ بها او تشفى النفوس من
غزوة الكفار، وعبدة الشمس والنار، وظل الاولياء يتجرعون
طرائح المخاذيل ثلثة ايام تباعا تنفلا واغتناما وحلالا بعد ان
جمعها الكفار حراما واما الفيلة فمن بين مقهور ومردود ومتطوع
بالعود الى السلطان محمود لطفا من الله تعالى الذى يتيح لغنائم
الاموال حتى يسوق اليه بهائم الافيال لا جرم انها سميت خدا
اورغ شكرا لله على الهام ما لا يمسك الا بالمقامع، ولا يملك فى

المرائم الا بالحيل الخوادع، ان يأتي طوعاً ويهجر الاصنام و
يخدم الدين والاسلام، ولقد احسن من قال فكانما عنى به السلطان
وقد اتاه الله هذا الاحسان

قل للامير عبدتّ حتى قد اتاك الفيل عبدا
سيحي من جمع المحاسن عنده قرباً وبعدا
لو مس اعطاف النجوم جرين في الترسيع سعدا
او سار في افق السماء لانبتت زهرا وورداً

وبلغ ما رُدّ من خزاين السارب الهارب ذهباً وفضة ويواقيت
محمرة وفرايد مبيضة قرابة ثلثه آلف الف درهم فاما السبى فاشاهد
على كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاستيام على الواحد منهم بما بين
درهمين الى عشرة دراهم وذلك فضل الله ذخره لايام السلطان
يمين الدولة وهو المليء له بتمام الثواب يوم قيام الحساب فالحمد
لله خير معبود ومحمود وله الشكر على ما اقر به عين محمد محمود صلى
الله عليه وعلى آله الطاهرين الى يوم الدين

ذكر المسجد الجامع بغزنة ولما عاد السلطان

يمين الدولة على نفثة النصر الموكل بقمع الكافر المفتري الكلِّ

التكميل الاخطر ... والنفقات الاكلية
... محيط ... رودار

بسعدی السماء الزهرة والمشتری الی دار الملك بغزنة و
قد كاد تغيض سيحها على عدد الارقاء من العبيد والاماء حتى
استفرغت عليها اكياس التجار الضاربين عليها عن نوازح البلاد
ونوازع الامصار فحص ما وراء النهر الى مرابع العراق ومبادى
الاشراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعدل فى التمليك بين السود
والمسود واجب ان ينفق ما افاء الله عليه من انفال اولئك لقلف
الاغفال فى برٍ يشيع حدواه ويرفع الى امر الاحتساب مغناه و
كان قد اوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع
اذ كان ما اختط قديما على قدر اهلها حيث عدّت من زمعات
البلاد شحوط دار وشطون مزار فوافق عوده من مضربه حصول
المراد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران على ترابيعه فصبّ
بدر المال على الصنّاع كما صبت دماء الابطال يوم القراع، و
نصب لمشارفتهم احد الزعماء بحضرته وهو يطوف عليهم مطالبا
بصدق العمل ومعاتبا على رمز الخلل حتى اذا توسدت الشمس
قلة الجبل اقام السفرة الموازين ناطقة بالانصاف وازنة بالجزاف
فيمشون بين اجرين عاجل على السلطان منقود وآجل على الرحمن موعود

موعوه ونقلت اليه من اقطار السند والهند جذوع توافقت
قدودا ورصانة وتناسبت وبرا وثخانة كانها استودعت
ارحام الارض لامر معلوم وفجعت باعمارها ليوم محتوم فجاءت
ولا الحق كمالا والعدل استقامة واعتدالا يثنى عليها الملا
والسداد وكان بها صمما فهي لا تصغي ولا تكاد وقد فرشت ساحتها
بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضروب سحيق على تقطيع
التربيع اشد ملاءمة من راحة القناة وصفحة المرآة وعقدت
عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز
فلو عاش سنمار لعدة في جنبها معدة الواهن العاجز فاما الاصباغ
فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف
الابصار وتقيد النظار واما الذهب فحسبك منه ان صناع
الرصافة قد عزت عليهم الحقاق وضاق لهم تكليف ما لا يطاق
وليس بصفائح الزرياب فقط لكنه ضبات الذهب الاحمر اخذ
عن صور الاصنام المجذوذة والبردة الماخوذة فطفقت تعرض
على النار بعد ان كانت آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد ان تعبد
بالحذوذ العانق اوليس الذي ينفق على جدران مساجد الله عبرة

للموحدين، وغيظاً للملحدين، اتم سماحة، واكرم راحة، ممن يتخذه معبوداً، وينصبه للضر والنفع مقصوداً، نعوذ بالله من رب سنارة عار وهو محتاج الى شعار وجزى الله عن الاسلام ملكنا هذه افعاله واعماله وامتهان الروح والممنوح في سبيل الله دابه وآدابه نعم وقد افرد السلطان لخاصته بيتاً في المسجد مشرفاً عليه مكعباً لبناء موسع الفناء متناسب الزوايا والارجاء فرشه وازاره من الرخام كررت عليه الطهور حتى نقل من ارض نيسابور وقد احيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الاحمر مكحلا باللاجورد في تعاريج من الوان المنثور والورد من يرها بعينه يقسم بلسانه لاستحسانه لا زال هذا الاستاد ممتعاً ببنائه الامن راى مسجد دمشق فراغه مراه وشاء النظر حتى ثناه وقضى بان ليس يوجد سرواله دونك هذا البيت نعزملك المشنوية ويحكم عليك القضية ويبشك ان الحسن بعض صفاته والابداع احد سماته وانفال الهند من خدام نقوشه والهمة العليا قد طمحت بعروشه نعم وامام هذا البيت مقصورة بتعاريج عليها منصوبة لتسع ثلثة آلاف غلام متى شهدوا للفرض اخذوا اماكنهم

منها صفوفا، واقبلوا على انتظار الاذان عكوفا، واضيف الى المسجد مدرسة فيحاء لشتمل بيوتها من بساط الارض الى مناط السقوف على تصانيف الائمة الماضين من علوم الاولين و الاخرين الملوك الصيد نقروا عن ديار العراق وربايع الآفاق حتى اقتنوها بخطوط كعزايد سموط مصححة لشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد يتنافسون فقهاء ذار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين على كتابة ذوى الحاجة منهم ما يهمهم جراية وافرة ومعيشة حاضرة وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق يفضى اليه فى امن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال من بين صالح و طالح فيركب اليه على وفور سكينة وشمول طمانينة حتى يقضى المكتوبة ويقتضى الاجر والمثوبة فاما ما يرد ورا الحجاب ويصون الفواد فما يشق لحقايق الانفاق عليها الامن اتاها اعتبارا و شاهدها اختبارا فيرى ماء الاباطح ابنية تشرف على الهضاب شرفاتها وتكاد تقترن من نهر المجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوى على مرابط الف فيل اشتغل كل منها بساسة ومائة

منقولة عن خزاين

داراً كبيرة وخطة وسيعة ان الله تعالى اذا اراد عمر البلاد وكثّر العباد وهو على ما يشاء قدير

ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان وطره القيظ بغزوته واقبل الخريف بتقفيه وسمح الزمان بحاضر رائية وقد كانت طوائف الافغانية المتوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا فعل القطاع لذنابي عسكره منصرفه عن غزوة قنوج اغتراراً بمناعة اماكنهم وحصانة مساكنهم او ظناً بخفاء افعالهم والتباسها بما كثير امثالهم رأى ان ينتقم منهم بركضة تتيح عليهم اوكارهم وملاجئهم وتخضب بدماء النحور حاجاتهم فعزم على مادبر وصمم على ما قدّر وورى بنهضته نحو احدى اقطار بيضته ثم ركض عليهم في خاصته ركضاً صبّحهم في مراقدهم فلم يشعروا الا بحز الصفاح على برد الصفاح ضربات تقطف الرؤوس عن النحور وتفرغ البحور على البحور كما قال ابو تمام

صرعى الى صرعى كانّ جلودهم طليت بها الشيان والعلام
فيالها نهبة انمت عليهم الرقود وآلت حلفة ان لا تعود او تشملهم

تشهد اليوم الموعود، فكم جثث فوق الاعلام، ورؤوس تحت
الاقدام، حتى اذا استلحمت السيوف اجسامهم، ولم تستبق الا
ايامامهم وايتامهم، كف كف الاقدار، وعلا ذروة العز بالا
وغادرت تلك الوعور سهولا، وكان امر الله مفعولا، وعطف الى
غزنة مجيلا للرأى بين ان يشتو ببلخ مستجما، ولغاير السنة في
القرار مستتما، وبين ان يركب سنة يمينية في غزوة تقشع باقى
ضبابات الكنود عن ديار الهنود مجهزا على ملكان يضرب بذنبه في
مهربه كالوزغة المتحنه لا تلبث ان تموت فابت عليه حمية
الاسلام ان يسيغ على القعود جريضا او يستبقى في مجالس
الاعياد بيضه وثنى عنانه نحو الهند في رجال يرون منتهى الشهوات
صهوات الخيول، وقصوى اللذات ملاقاة الفحول، ومجتزئين
بالظهور اسرة مرفوعة وبالاكوار وسائد موضوعة، و
بالسموم رياحين مقطوفة، وبالآجن الطرق الصهباء مصروفة
وبالعرق السايل ماء ورد، وبالقسطل الثائر منار عنبر وفتات
ند، وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى وسمارا فمن بينهم نسب
فان اباهم المشرفيات بواتك، وامهاتهم الزاعبيات فواتك، و

اعمامهم القسي جوازع، واخوالهم النبال قوازع، وما زال يخوض

اغمارها بحجة واودية هاوية لم يضمن قطعها غرقا بادية وعين

الله ترعاه في كل سعي يسعاه حتى اقتحم مغارات اولئك المغاوير

فظلت بذرايا الفل يضجون بالويل والثبور صحيح الموقن رواجع بيت

الله المعمور، وما زال السلطان يصفح عمن آمن واطاع، ويفضح

من اظهر الامتناع، بعد ان اصاب غنائم لا يضبطها حساب ولا

يطعمها ماء ولا تراب، حتى انتهى به المسير الى ماء يعرف براهب

غاير المخاض حمى الغرارة كالخضخاض يبتلع الخف والحافر، و

يبتلع الدارع كما يبتلع الحاسر، فاذا ببروجيبال من تلك الحيرة في

رجال كالصريم، وافيال تحت الاديم، قد اخذ من فاجي الركضة حذره

واسنده الى نواحي النهر ظهره، ورام ان يمنع السلطان عبوره ويشغل

عن اقتحام الغمر جمهوره، حتى اذا اكتحل الليل بقاره مرّ في خمر استار

مرور مزوّر على جاره فلما علم السلطان ذلك من قصده ورأى

استعداده واحتشاده لصدّه امر بالاطواف فهيئت للعبور و

اهاب الى عدة من غلمانه للركوب فامتثل الامر ثمانية منهم يبتدرون

العدوة القصوى ويلتزمون كلمة التقوى فلما رأى بروجيبال استقلالهم

الماء بهم رماهم بخمسة من فيلته المجففة وفوج من رجاله
المصففة فاراد الله تعالى ان يحقق قول النبي صلى الله عليه نبيه الا
الامين ورسوله المويد بالتمكين حيث قال صلعم زويت لى الارض
فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى
منها فالهم تلك العترة ان استوقفوها على مظانها فخرتا اللاطلا
بهاتيك النبال وغرزا المسابعد في وجنات اولئك الضلال
طائرة كالسهم وعبروا النهر في اسرع من لمح البصر معجزة لم يسمع
بمثلها قبلها ثمانية تجزع سيلا وتدافع فيلة وخيلا وبلغ من
لفظ السلطان عند عيان ذلك البرهان ان قال من قدر على
السباحة فليتعب اليوم للراحة فاذا بخاصته ومعظم عامته خائضين
ولصعب الماء رائضين فتارة يسبحون بالاطراف واخرى يستريحون
الى الاعراف حتى لفظهم النهر سالمين لم يبحث لهم خيبة ولم تعطب
حربية ولم يذهب بحمد الله سبيبة وحمل السلطان بهم وقد نزوا
على الظهور رجالة توزعتهم بين عقير سكران من عقار الحدود و
اسير حيران من اسير القدود وطريد يخاف وقع القواضب و
قتيل يرى النجوم الثواقب وصار ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة

مائتين وسبعين ثقال الاجسام، خفاف الاقدام، كانها صدع الجبال عند طارقة الزلزال، وطار الكافر هزيما، لا يملك عزيما، ولا يقدر تاخيرا ولا تقديما، وقد كان السلطان قبل ان لقي الكافر ولبس جوبنه الدروع والمغافر، اخذ فال الامر كتاب الله تعالى بهدايه عاقبة ما ينويه فخرج له قوله تع عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ٥ فلما حقق الله وعده ونصره بفضله وحده ضمن على نفسه ان يفي بواجب عمله على ارفقه الانام وغزوا يويد الاسلام، وشكرا يقيد الانعام لا جرم ان الله كاليه وحاميه، ومصيب به اغراض آماله وامانيه، والذى يدخره له من ثواب المعاد اوزن مقادير وارجح مكائيل ومعايير

ذكر ما انتهت اليه حال نيسابور بعد الوزير ابي العباس فيمن رشح لاعمالها الى ان ندب ابو الحسن علي بن محمد السيارى لصاحبة الديوان بها

قد كان السلطان لما انقضت نوبة الوزير ابي العباس عن معاملات عمال بها عليه في تحيف الرعية وتخون الارتفاعات القانونية

القانونية واشراف الضياع على الخراب وتفرق الاكرة

والحرّاث وخصوصًا بنيسابور فرصد خراسان والعراق ونجعة

التجار من مناكب الآفاق ندب ابا الحسن طاهر بن عبد الصمد

الزعيم كان بفوسنج لعمل الديوان بها اذ كان بعمارة الضياع

معروفًا وبرسوم الدهقنة والزراعة موصوفًا واطلق له

اخراج خمسين الف دينار من جملة المجموع عليه من معاملات

فوسنج في وجوه عمارات الضياع بها اباحة للطموم من قنيها

وعمارة لما انقوض اوانهار من رباعها واستقامة لنزاع

الاكرة باستداد الايدى الجائرة الى اماكنهم منها وابقاء

لما يجب اقامته من جارى البذور لهم فورد ها سنة اثنتين

واربعمائة يتتبع الموات بالاحياء والخراب بالابتناء والعيون

بالاجراء والشراد بالتالف والاطباء غير ان نفقة الفساد

على تعاقب الاعوام يمتنع هناؤها الا في مثلها من الايام

وكان السلطان يطالبه عقيب كل سنة بزيادة الارتفاع

على قدر ما خمنه في مطلق المال فتارة تقصر العمارة عن ظاهر

الارتفاع واخرى بنحط سعر الغلات واقلام الديوان تعمل

اعمالها فى جميع الاموال الى المال والحاق الحق بالمحال حتى
غرق الرجل فى بحيرة الحيرة وتهدد من الحضرة متى تلكأ ببقايا
عمله وحمل تتمة ما جرى على يده بان يجعل عبرة للعيون و مضغة
فى لهاة المنون فراى جميع ملكه لا يفى ببعض ما يراد منه و
جل ظرفه لا ينهض بشطر ما يراود عليه وسرت خيفة الانتقام
وروعة الافتضاح فى سر مهجته حتى اذنفته واحرضته
فطفق يتحلل وجه المال حيا فى صورة ميت وراجيا فى هيئة
آيس حتى حاق به اجله وحق عليه ما كتب الله له ومن قبل ما
سير السلطان ابا الحسن السيارى اوحد بابه كتابة وحسابة و كفاية و
دراية وامانة وصيانة تحكيه البرق خواطره و انامل والبحر منا وفضايل و
الابريز نصاوشية والياقوت قدرا وقيمة فجرد له معاونته حتى هذب حسبانات
وقرر معاملاتها وتصور وجوه الارتفاع ما خفى منها او على او دخل فى جملة الضمار
او تعين فراى السلطان مع حاجته الى مقامه بباب فى جملة اقرانه على مهمات
ديوانه ان يسيبه بخلال نيسابور اذ كانت عين مملكته ووجه افطار ولايته وقد حكم الحكما
بانها ثلث اقاليم البسيطة بالاضافة الى ساير اعيان الامصار تحت خط معتدل النهار
فلا اسم له من تهذيب اعمالها وترتيب احوال الرعايا والعمال بها فانتصابه لها عن علم بانه

هناء نقبتها وصمام خرتها وثقاف قناتها وقيام رفاتها سيّما معه وكفاية جامعة
ورفقا بالتجلب والاستدرار وجمعا للصغير الدار الى القطار ونفي الجيب من فضول المنال
امين العتب من ركوب المحال معوضا اياه عن بعد من باب قرب محله من اجادة و
وفور حظه من رضاه واعتماده فورد نيسابور ورود الغيث على البلد الماحل والمرد على
الهدان الناجل والبشير على الطالل المضل والبدر المنير على الخابط المستدل بعد ان عرض
على السلطان حالها فيما يرتفع عنها على وجه الانصاف والانصاف دون العبرة التي غادرت
الرعايا والعمال عبرة للرجال ومثلة تسير بها شوارد الامثال ورفع بذكر ما لا مستزاد عليه
ولا مطمع في اكثر منه فائتمنه عليها ووثق بما قرره منها واظهر الرضا بما ينسكب
على يده في غلبة التجلب ويجمع في قرارة التبرض نظرا له وللرعايا قبل من تقدمه من العمال
على نباهة اقدارهم وجلالة محالهم واخطارهم فانتعش به اهل نيسابور حاضرهم و
وبآنيهم وقارهم الاخذة فوق ايدي العمال بها دون الاصول المقننة والفروع المستننة
ونصب كفاة ثقاة يوعون ما يحصل عن المقاسمة العادلة عن وجوه الغلات
وضروب الارتفاعات من غير حيف على المزارع ولا احتمال على فضول المطامع
وغبر على هذه الجملة اربع سنين مواصلا للمحمول في نجومها المعلومة واوقاتها
الموسومة تعب للناس وبهم وادعون ويستيقظ على مصالحهم وهم هاجعون
وقد خطم بينها اصحاب الشرط دون استيكال الرعية وقصدهم بنوع من

دون م

من التنا والقرار
الى البلد والى القرى

انواع الاذية اللهم الا اذا عرض جرم فاحش او وقع دم ظاهر فيأخذ
للسياسة بحقها على حكم الشريعة ومقتضى السنة القويمة ولو لم يكن من مساعيه
المأثورة غير احتماله الرفق وما تعدّوا بفضل الحشمة حدود الدالة الى الاستبطاط و
شروط الاقتراح الى الافراط اخذا بحكم المداراة وعركا للحادثات
بجنب الرزانة والاناة لكفى ووفى واقنع وشفى فيا لها من نفس نفيس بل عندها
ان كان يذبل ويستبان معها ضعف ابان فانما طرت ذكرته في هذه
الحال حين اعضل الداء واستفحل البلاء وانكشف الغطاء وصرح عن
زبدته الغضاء وسياتي شرح ذلك في موضعه انشاء الله تعالى فاما
فضول اوقاته فقد كانت مقصورة على كل فاضل حبر وكامل بحر يتناهبون
بينهم بدايع الكلام وروايع الاداب والحكم فما من مجلس مجالسه الا احتاج
الفاضل ان يبسط حجره ليلتقط دُرره فان افاض في التجنيس فهو
ابن بجدته وابو عذرته ولو انسرب في اعماق الارض تجنيس لاستنابع
في خنابس واستوقفه للافهام في عقال وابا من ولولا ان هذا الكتاب
عرفي الصيغة كتابي الصنيعة لاوردت من تجانيس مقطعاته
الفارسية ما يقضي منه العجب ويحقق ان بيا هي به العرب وسيأتي
ذكر ساير احواله بنيسابور من بعد باذن الله وعزته ذكر

ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاذ والقاضي ابي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى اليه امرهما بنيسابور

قد كان ابو بكر مرموقاً بعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكان ابيه من الزهادة، وضمه الاطراف على العبادة، واقتفائه نهج ابيه فيما كان ينتحله ويدعيه وينتحيه، وكان الامير ناصر الدين ابو منصور سبكتكين يرى من عصابته في التزهد والتعفف، والترهب والتقشف ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين، واعيان المتعبدين، فحلا ذلك في قلبه كما حلي بعينه والمجاهد في الله تعالى محبوب، وقد يكرم اهل الشفاعات من له ذنوب، واستمر السلطان بعده على وتيرة في ملاحظتهم بعين الاحترام، وايثار طوايف الكرامية بالاكرام، حتى قال ابو الفتح البستي فيما

شاهدة من نفاق اسوافهم شعر

الفقه فقه ابي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام

ان الذين اراهم لم يومنوا بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية، والذريعة

الالهية انه لما توردجيوش الخانية، خراسان

عند غزوة السلطان ناحية المولتان قبضوا بنيسابور

على ابي بكر احتياطا لانفسهم من شيعته،

واحتراسا من غامض مكيدته، ونقلوه

في جملتهم حين طلعت رايات السلطان

من مغاربها، واومضت سيوف الحق عن

مضاربها، الى ان وجد منهم فرصة الافلات،

والسلامة عن منترك الافات، فاعتد

السلطان ذلك له في ساير مواتيه، فاوجب له حقا

يلحظه بعين مراعاته وبعثت من ارباب البدع

الباطنية على ما تناسبت به البلاغات والله اعلم

ما تجنه الضماير والنيات، قيام وافقت تصلبا من

السلطان

السّلطان فی استیصالهم، وتعصّبًا لدینِ الله تعالیٰ فی
احتناكِ امثالهم، فحشروا من اطرافِ البلادِ، فصلبوا
علی العبادِ وكان ابوبكر احدَ اعوانِ السّلطان
علی رایه حسن الیه وتصویبًا للرّای علیه فصار البریٔ
كالسّقیم مذعورًا، وعاد الملأ فی عارضِ الخطب
شوریٰ، ورای النّاس انّ ریقته السّمّ القاتل و
مُدْیه السّیف الفاصل، فنحوا الیه بالطّاعةِ، وفرشوا
له خدودَ الضّراعةِ وانعقدت له الرّیاسةُ فی لِبسةِ
الصّوف، ولحظته الخاصّةُ والعامّةُ بعین المرجوّ والمخوف
واتّخذت خاصّته سوقًا، للاطماع بعلّة الابتداعِ
فاستَرَبوا النّاس، واستفتحوا الاكیاس، فمن الظّ منهم
بمكاسٍ، رُمی بفسادِ معتقدِهٖ، او یعطی الجزیةَ عن یدٍهٖ
وعبرت علی هذه الجملةِ سنون لا مطمعَ لاحدٍ فی تبدیلِ
شكلها، وتحویلِ فادحِ الحال عن اهلها، ولا علم
بانّ الزّمان بتغیر الاحوالِ ضمینٌ، وبالخلاف علی
صورةِ المعتاد رهینٌ، ومن صبرَ علی الایّام رایٰ

الرّفيع وضيعًا، والضّليعَ ضريعًا، وشاهد عن سموم
القيظ صِرًا كالحًا وصقيعًا، واتفقَ للقاضي ابي العلا صاعد
بن محمدٍ أنْ حَجّ بيت الله الحرام سنةَ اثنتين واربعمائةٍ
وهو الامام المرموق، والزاهد الموموق، والفاضل
الجزلُ، والبازلُ الفحلُ قضى اكثر عمرِه على الحظِّ
النفيسِ، من ثمر الدرسِ والتدريس، تنطفل عليه
الاعمالُ فيأباها وتنصّب اليه الاعراضُ فيرى الخيار
فيما عداها، ومن حاز شرفَ العلمِ لم يشتر بـه
ثمنًا قليلًا، ولم يعدلْ بهِ حظًّا وان كان جليلًا،
فلمّا حصل بمدينةِ السّلامِ، وانتهى الى القادر بالله
اميرِ المؤمنين خبرُه في حجيجِ بيتِ اللهِ الحرامِ،
قوبل بمقتضى حقّـهِ في الاسلامِ، من واجب الاثرة
والاكرام، وظاهر التوقيرِ والاعظامِ، وعُضِد
بالكتبِ الى السلطان بعزته فيمن يقرّرُ من حالهِ
وفي مهمّاتٍ اوجب الاحتياطُ شرحها على
لسانٍ مقالهِ فلما عاد من وجهه شخص الى حضرة
السلطان

السلطان بعزته فعرض ما صحبه وقرر ما تحمله، وادى
من حق الامانة ما التزمه وبها الاستاذ ابو بكر محمد بن
اسحق بن محمشاد فجرى في مجلسه ذكر الكرامية
واطلاقهم القول بالتجسيم، وتعريض الله تعالى
لما لا يليق بذاته الكريم، فانف السلطان لهذه
الشنعاء من مقالهم، والعوراء من فحوى جدالهم،
ودعى ابا بكر سائلا عنه، وباحثا عن صورة الحال
منه، فانكر اعتقاد ما نسب اليه، واظهر البراءة
عما احيل به عليه، فسلم مع الانكار عن مس العنت
والاكبار فاما الباقون فان الكتب نفذت الى العمال في
تقليم الاستقصاء عليهم فمن اظهر البراءة عن قوله
الشنيع، واعتقاده الموجب للتبديع ترك وشانه
من عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير
ومن اصر على دعواه، ولم يختر لنفسه سواه، جعل
مغناه عليه حصيرا، وردّ لسانه دون الفضول قصيرا
وخلع السلطان على القاضي خلعة لا قت بجلالة

وقيل راجع الى الحضرة

والانكار

قدره، وزخارة بحره ورعاية امير المؤمنين لحقه وايعازه

بتمهيد امره، وصرف كلاً منهما على جملة الايناس،

والتفخيم على اعين الناس، ولم يزل غصة القول

بالتجسيم ناشبة في صدر ابى بكر يصارع الايام بهزة

المكافاة بها الى ان استتب له الامر في عقد محضر على

انتحاله مذهب الاعتزال و تنجز خطوط قوم من الاعيان

سلكوا فيه طريق المساعدة، او تنفسوا به عن غزة

المنافسة، فغيظ ما لا يطاق داء دخيل، وهم على

سر النفوس نزيل، واحتيل في عرض المحضر على

السلطان استفسارا لصورته لديه، فوقع التدبير

موقعه من الاحفاظ عليه، ورای ان يبحث عن صورة

المرفوع فی احقاق من صور، او ابطال من زور،

فانهض قاضی قضاته، واحد ثقاته، ابا محمد الناصحی

من لم يشركه فی اصطناعه، والجذب الى العلاء بأضباعه،

فانه استخصه على طراة شبابه لخلتين قلما توجدان

فی قرح الاسنان، فضلا عن احداث العنيان، و

والشُّبّانِ، وهما العلمُ والورعُ أخوان، دونها الدُّرُّ و
الياقوتُ والصحّةُ بالكفافِ من القوتِ، واقعدَهُ نَعْرَبة
دارِ الملك للتدريس والفتوى واصباحِ النّاس مِن
ساطعِ نورِهِ في التقوى، حتى اذا ابهرَ كمالِهِ، و طفحَ
بالفضلِ مكيالُهُ، ولّاهُ القضاءَ على القُضاةِ في عامّةِ
دِيارِ ممالكه، ثقةً بقوّتِهِ وامانتِهِ، وورعِهِ
ونزاهتِهِ، فتولّاهُ بنفسٍ كصفحةِ الشمسِ طهارةً
ونقاءً، وروضةِ الحَزْنِ ديّمتها السّماءُ عشاءً فعم
وأمرهُ بان يستحضرَ القاضي ابا العلاء صاعدًا وابابكر
الأستاذ في وجوهِ الرّتوتِ واعيانِ الشهودِ وطالبهما
باقامةِ الشّهادةِ على الدعوةِ المذكورةِ على
روسِ الملاءِ من غيرِ محاشاهُ، او جُنوحٍ الى مُداهنةٍ
ومحاباةٍ، فقابلَ الامرَ بالامتثالِ، وتجافى عن حُرمةِ
العلمِ لحشمةِ الملكِ وهَيبةِ الجلالِ، وسألَ اربابَ
الحُطوطِ عمّا عندهم من قضيّةِ الحالِ، وجليّةِ المقالِ
فامّا ابوبكر فانّه ارادَ ان يتلافى نائرَ الخطبِ فزعمَ

فاغرَ الخطبِ

ان الاشتراك فى رتبة العلم أحدث بينهما منافسة
تنازعا معها مذهبى التجسيم والاعتزال فلا صحّ ما
تسبنى اليه ، ولا تقرّر ما ادعيته عليه واما الآخرون
فمن جارٍ على حكم المساعدة فى المحاباة والمهاودة و
من حاور أثنام الاحتشام فى التصريح ، واطلاق الدعوى
باللفظ الفصيح ، مكاشفة عدة الشهادة الى التعصب
وجاوزت حد المعلوم الى التغضب ، وسيئ لذلك
وجوه اهل الرأى حتى كادت تثور فتنة لولا أن
هيبة السلطان احرجت لسلطان الالسن الطوال ،
وضربت على النفوس التطامن والانخزال ، وتلطف
قاضى القضاة لعرض الحال ، وتقرير صورة المحال
واتفق ان تحتّن الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين فى
مجلس السلطان فرصة القول فى باب القاضى
ابى العلا فنبّه على سمته وسيماه ، وأنبأه عن ورعه
وتقويه ، والتمس على سبيل التلطف ان يقع تلافى
الغضاضة به ، وتداركٌ للمهانة الطارية عليه ،

بعرك

بعزائم من تصدى لمكاشفته، وتعرض لاستفساد

مكاتبته فوثق به السلطان فيما قال، وحدس ان

صاعدًا اجل من ان يعتقد الاعتزال وامر باشخاص

من انتدب لمراغمته ومقابلته بما اقتضاه حكم وقاحته

واستجلس القاضي قرارة بيته فلم يكن يبرز الا لفرض

يقضيه، او علم يمليه، مجتزيا بالله تعالى حسن عدة

عن غيره، ومقتنعا بما ادره عليه من خيره، وراى ان

بقية العمر اجل من ان تضاع على القيل والقال، و

خدمة فضول الامال، ومزاولة ما يصم قدر العلم

بالابتذال، واستناب ولدين له كالفرقدين الشعريين

ابا الحسن وابا سعيد شريكي عنان في المروة والفتوة،

ورضيعي لبان في اوامر النبوة، واحكام ايات الله

المتلوة في قضاء الواجب، واحتمال النوايب، فعفى

له عن حقوق الناس، وفرغ لعلم النظر والقياس

وحظي بمثل ما اشاعه ابو الفتح البستي من حاله بقوله

قد جمع الله ارجالي ++ فيهن عزي وحسن حالي

وعدة

من قوله عليه السلام ...

بلاغُ عِلْمٍ مَسَاغِ شُرْب . رَفَاغُ عَيْشٍ فَرَاغُ بال .

ثم واطلق تمادي الايام على نباهة ابى بكرٍ وارتفاع مكانته، واتساع حشمته ومهابته، وانبساط ايدى حاشيته، فى اموال واعراض اهل ناحيته، واستمرار العناد بينه وبين اعيان الاشراف فى جيرته، السنَ الجمهور بحضرة السلطان بما طغى من حاله، وبغى من جرح خياله، ادلالاً بافاعيله، واعتماداً ابن عمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله، فتداركه الاحتمالُ مُدّةً من الزمان مديدةً، محافظةً على الصّنيعة من الانتزاع، والعارفة من الارتجاع، وابقاءً على المحلّ المرموق فى الله من ان يلمّ به انحطاط، او يحلّ له رباط، حتّى اذا جاوز الاحتمالَ حدَّه، وامتنع المستزادُ بعده، عقد السلطانُ رياسة بنيسابور لابي على الحسن بن محمد بن العباس وقد كان جدّه فى دولة آل سامان مجدوداً وفى جملة الاعيان والثناء معدوداً واثره فيما بين آثار الرجال محموداً، ووافق ايام السلطان اول

واشفاقاً

مقدمه

سقدمه خراسان، وانتصابه منصب اصحاب الجيوش

لآل سامان، فانجبل خلقاهما على مناسبة الشباب، وعرف

السلطان له حق الخدمة والاصطحاب، غراته اعتبط

في شبابه فعاد كما بدا، وكل امرئ يوما مداه الى

الردى وكان يضرب ابا نصر احمد بن ميكال بقرابة واوامر

مستجابة فنشأ في حملته نشأة المقبل، وخرج خروج

قدح ابن مقبل، واحدث له شكر النعمة حشمة

وصفو الخدمة ادبا وهمة، فلما مضى ابو نصر لسبيله

انهي الى السلطان حاله في كيسه وذلاقته، وظرفه

ولياقته فاستحضره لخبرة فوافق اولى النظرة قبولا،

وطرفا بمورد الاعجاب مكحولا، وازداد على طول

الخبرة وفاقا، وعلى سوق الخدمة نفاقا فيما نموا الاشياء

اصلحها التدبير، ولقحها التابير، والماء النمير

حتى سمت به المراتب الذوايب، وتوجهت اليه

الرغبات والرغايب، وقابلت حشمته حشمة ارباب

الجنود، وسادات الاقلام والحدود، وكان غرض

زیاد ابن ابیہ کان معروفا بالضبط والسیاسۃ وکان من حکایتہ اذ دخل البصرۃ امیرا وکان مشرح بالرعاع والشراق فضبطہا فی ثلثۃ ایام بحیث امن الناس بطرح اموالہم لقارعۃ الطریق ۵

السلطان فی عقد الرياسة له ان يفعم به من انعقدت
له بد الله التأله والتعبد، وسابقة الترهب والتزهد فقدر
ان الذي حظي به معقود باليمين فلا سبيل الى حله،
ولا لحاق ابدا لمستهله، ونزجع به الى ما يوجب حكم
النقية، من رفض المراتب العلية، والمطامع الدنيا
فلما وردها ساس اهلها سياسة لو علق اليها زياد
لعاد الى سياسة بعين مستزادته، لخفت عليه حتى
صرير الجنادب سكن حتى دبيب العقارب، وهذا حتى
شغب المراتب، وسكت حتى دوي المذاهب، وكانما
اقبل به شقيق الشتاء فلكل سامة او هامة في الوجار
انجحار، وبالمغار استتار، لابي تمام لقد بث عبد الله خوف
انتقامه، على الليل حتى ما تدب عقاربه ها ان هيبة
السلطان هي التي حطمت اللهاميم، وخطمت الاقاليم
فلو وكل بعض همته برواسي الجبال لاصبحت منسوفة،
او بطوامي البحار لعادت منزوفة، فما خطر حظة
بغية بها ناية، ويعمى عندها عن قصد الصواب نبه او نابه
ومن

ومن احسن في جنب مثاله فمن عون القدر، وحكم الملك
الدّفّار على البشر، وابى الله ان يحمد على ذحر المزيد شهاب
او يمدح على سقى المحول ذهاب، وتطرّق الرئيس
حواشي المقصود ينتزع منهم ما اخذوه رُسى، واجتنبوه
شروباً وكشى، ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة
لمن اكل بالله واظهر الزهادة ثم لم يتوكل على الله
وهمّ بصاحبهم فاخذ حذره وارخى من دونه ستره
ولم يقصد السلطان قصد استيصاله، ونقضه
عن فضول ماله، فتركه من وراء الحجاب على قدم
الزهادة، وغضّ الغطام عن العادة وعطف
من بعد الى جماعة الاشراف العلوية ذوي
الاقدار العلية، فاشعرهم ان حشمتهم بالطاعة
موصولة، وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدّي الحد
مكفولة، فتلقوه بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال
علما بانه ظل الله في ارضه فما يغني عنه غير الانقياد
والميل على الغلو للاقتصاد، واستخلف على الري

عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن رامش
وهو يضرب به بغرابته الى السلطان الا قطعها عليه
صيانة له من تعيير الكرام، وتتريب الرجال عند ذكر
الارحام، فطوع له قياد الاحرار، والاشراف الكبار
والزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا، ويخصوه بطاعته
جملة وتفصيلا، فمن ورم في التمني انفه دون طاعته
شريفا كان او مشروفا نفي عن بلده، وعري عما تحت
يده، فشخصت اليه الاعناق، واحدقت بفنائه
الاحداق، واستتبت له رياسة لا عهد لاحد
بمثلها، من رؤساء خراسان الا ابا عبد الله العصمي رئيس
هراة فانه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد، وعز شديد
عتيد، وخدم وعبيد، ومال ينادي على العباد و
العفاة هل من مزيد، وفرش في زمانه بساط العدل
فقواعد الاخفاش، كرجالات الثروة والرياش
اشتراكا في الانصاف ونفقت سوق الاحتساب
بالدرة فوق الاكتاف، فمن بدعة مرفوعة، وديبة

مرفوضة

مخفوضة

محفوضة، وحدود على الحق مقامة، وعيون دون
الفضول منامة، وبطلت معها الحانات والمواخير،
وخرست العيدان والمزامير، وركدت الحان
النايحات والسكارى واستوى في الانجحار، واللياذ
بما وراء الأستار، عون النساء والعذارى فاما
شوارع اسواق البلد فقد كانت منذ بنيت بنيسابور
فضاء لا يكنها غطاء ولا يظلها دون السماء سماء
تخرقها الاعاصير تارة وتردعها الاهاضيب أخرى،
فاما التراب مثارا، واما الانداء ثلوجا وامطارا،
لم يفطن احد من ملوك خراسان تسقيفا لها وتستيرا
وتنظيفا، على الانداء وتطهيرا، حتى ورد الرئيس
ابو علي فطالب اهلها به فلم يمض شهران حتى
سمقت نحو السكاك سقوفها، وقامت على ركائز
الاسواد حروفها، فمن بين منقش ومن مزخرف
ومدبج بالاصباغ ومفوف تفتح منها فرج بقدر ما
تملي ضياء النهار على الابصار، دون ما يوسع

لثدور الغبار، ويمكن للدور الاقطار، وخمن البصراء
استغراق قدر العمارة مائة الف دينار عن طيب
النفوس وفضل الكسوب لم يكلف احد عليها،
ولم يستكره دون المثال فيها، بل عمّتهم المباهاة،
وشملتهم المباراة، فانفقوا موقرين ومستبصرين
ولا نفسهم على العجز دون المراد مستقصرين،
فمن يسوق تاسعًا او عاشرًا ليس باديًا أو ثانيًا ردّ
الى الكاهل قذاله، وترك على شغل النظر اشتغاله،
فيا لها من سمك شاخص نحو السماك والسكاك
وزايد فلكًا ثامنًا على الافلاك، ولما عاد الرئيس
ابو علي الى الحضرة وقرر حال ما تولاه، ومن
عزله وولاه، وافق هوى السلطان ورضاه
فصادف تقريرًا وتمكينًا، واحمادًا واسعًا
مستبينًا وسنورد شرح ما يتجدد
من هذه الاحوال ان اراد الله ويسّره
ذكر الامير صاحب الجيش ابي المظفر

نصر بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما ملك خراسان
واخلاها من شرذمة آل سامان، عرف له موالاته اياه اوقه
فيها اسمعيل بن ناصر الدين اخاه، اعظاماً لحق الكبر و
اعترافاً بواجب الفرض، فولاه نيسابور مظنة اصحاب الجيوش
الاكابر على وجه الزمن الغابر، سادّاً به مكانه قبل اذ هو
سائس الجمهور، ومدبرها تيك الامور، ومن وضع
اخاه موضعاً قد سدّه قبل بنفسه ورآه اهلاً لبعض قدره
فقد بالغ في البر والتوقير وخرج من عهدة التقصير، فوليها
سنين عدة حميد السيرة، في الخيرة كريم الفعال في سياسة
الرجال، وجرى على يده من حميد الآثار في مطاردة ابي ابراهيم
المنتصر عند كضائه وكفاته ما كان يطراء من معرته وشذاته
ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان بعد ذلك ان يجمع به
شمله، ويصل بمشاهدته حبله، فاستدعاه، واهّله مستجمه
ومعراه فلم يزايله بعد بحال ولم يفاصله في حالتي حلٍّ وترحال فكان
يراه في مقاماته اول سهم بروحه في المحاماة، على دين الله،

والمرامات من دون الحق، وواقيا اياه بمهجة نفسه ان كشف

زحام او عظم على جيوش حق الله استلام، شفقة تجيش

بها لحمة القربى وشجنة من الرحم الدنيا، وكان ينصر مذهب ابي

حنيفة اعتقادا ويرى الاستمساك به رشادا، فامر بمدرسة

بنيسابور في جوار القاضي ابي العلاء صاعد بن محمد وانفق مالا حتى

ابتناها وحبس خبايس على من آوى اليها ودارس بما لى العلم

في ذراها، فبقيت تذكرة عنه بعمل بالعلم ويراح، ويثنى عليها

الامساء والاصباح، ولم ينقم السلطان طول ايامه منه

قولا ولا فعالا، ولفظا دون الصواب مستحالا ولا شكا احد من

الكبار له جانبا، وفعلا لاشفاق الروس على الاتباع مجانبا،

وقضى الله ان خانه الشباب ولما استوفى امده، ونقض

باقي الامال فيه يده، فلحق بالواحد الغفار، ان الكرام قليلة

الاعمار وكتبت في مرثيته رسالة سئلت اثباتها في ذكره

ففعلت اذكان في ضمنها ما يفي بشرح حاله، وتقرير

بعض خصاله، وهي هـــذه

آه من حسرة على الاتراب   آه من سفرة بغير اياب

آه من مضجع الامير المفدى   فوق فرش الحصى وفرش التراب

نصر بن الامير ناصر دين   الله صدر الحروب والمحراب

صاحب الجيش درة الشرق تاج   الفخر غوث الكرام والكتاب

نعاء يا ساسة الرجال، يا سادة الفعال، نعاء يا اعوان العلوم،
يا اخوان النجوم، يا شيوخ الاسلام، يا عيون الكرام، يا احرار
الزمان، يا انصار السلطان، نعاء الى كل حي نعاء،
فمن اجتل ربع الفناء، اتدرون اي ركن انهدم، واي حد
انثلم، واي عقد انفصم، واي سوار انقصم، واي درة جز كل واي نجم افل
واي بحر نضب، واي طود تحصب، واي خطب نزل، واي
نصر رحل، رحل والله نصر بن الامير الجليل ناصر الدين
الامير بن الامير، والشهاب ابن الاثير، والبحر بن الصبير،
والحبر بن النحرير، والعبير بن العبير، من خ الملك وعفاره وسود
الدين وسواره، وركن العز وغراره، ونور المجد وعراره،
غارت به بحيرت الادب التي استعذبتها الشفاه وظلت قبلة العلم
التي وليت شطرها الجباه، وعريت دوحة الكرم التي خبطتها
العفاة، وجفت طينة الفضل التي خدمتها الكفاة، وطلقت

كريمة البر التي درس عليها التوحيد، وغذي بها اليافع والوليد،
واحييت عليها فواصل النهار، وحليت عواطل الاسحار،
واقشعت سماء شام ابناء الدين بوارقها وخاف احزاب
الكفر والجحود صواعقها، فلا نار ولا ماء، ولا خوف ولا
رجاء، فاضحى به جيب الزمان مشقوقا، وسر الحدثان مشوقا
وبناء العز منقوضا، ولواء المجد محفوظا، ودمع الدين مسفوحا،
وطرف الاسلام مجروحا، واقبل العلم في صوت المفجوع
وزي الخشوع يقرمط خطوه، وينفث الى اهله شكوه،
مغرقا في صعداء تذوب لها جوامد الدموع، وتتقد عليها
لواحب الضلوع، بكى الجود لما مات نصر فلم يدع
لعينيه لما ان بكى الجود مدمعا عين
فلو غير المنون اتاه اهوى اليه اخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المفاخر
ولكن القضاء له مضاء تذل له مضاربه المناخر
الا يا صاحبي سمعكما الى ان كنتما مسعدين وجامعين
الى كلتا اليدين ××× الما على نصر وقولا لقبره سقتك

سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا فيا قبر نصرٍ انت اول حفرة

من الارض خطت للسماحة مضجعا ويا قبر نصرٍ كيف واريت جوده

وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود ميت

ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا فتى عيش في معروفه بعد موته

كما كان بعد السيل مجراه مرتعا ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى

واصبح عرنين المكارم اجدعا بكى الجود لما مات نصر فلم يدع

لعينيه لما ان بكى الجود مدمعا لئن جاز للموت ان يغصب الامير

نصراً، لقد ساغ لي ان اغصبها معناً، وابن معنٍ من شقيق ملك الشرق، وسايس جمهور الخلق، والقاعد من قمة الفرقدين على الفرق، سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة من دانت لعزه القروم، واستكانت لهيبته الترك والروم، ففي بعض خصاله الف معنى لم يرق اليه معن لهمته، ولم يلق له ذكراً في ديوان نعمته، نال حظوة من سلطان زمانه باتفاق، اذا الحرب قامت على ساق، ودارت كؤوسها بين حاسٍ وساقٍ، وقد فضحه ابن بان في [illegible] وفضله بالسخاء بموجوده، ثم لم يعترض له قط صيانة افعاله ولم يعترف عليه من بعد ذهاباً بعز حاله وجماله، بها ان [illegible]

نصرا ورث العز اباه، ولم يجد مدى العمر الا اخاه، و لم يشغله
غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب، وفلول الاسياف عن
فراغ الكتائب وقطيعة الدنيا فى صلة الرحم وعصيان الهوى فى طاعة
السلطان ولى النعم، نشأ بين القران والتفسير، والايمان والتذكير،
والعلم بالصلوة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام، ومتحضر
الورى بطرف العنان، وسن العلى بحد السنان، قد اقتسمت
ايامه شرايط السلم باسمه الثغور، والحرب ظاهرة العبوس، فاما
المغافر والبواتر، واما المحابر والدفاتر، واما المحاضر والمنابر، واما
القماطر والمساطر، فيوما فى جحيم الغضب ويوما فى نعيم الادب
فيوما بين ظلال السيوف، ويوما بين معانى الحروف،
رفيقه اذا احتمى زج او قبيعة، ونديمه اذا احتبى حكمة
اوشريعة، فكم فى ديار الهند له من وقايع انطقت الحديد،
واخرست الوليد، وسكرت البثوق، وفجرت العروق، و
غادرت بيض الرباع فى لجة الميل، وخضبة الجرى عن تمثيله
الكحيل، وكم فى نوادى الفضل له من محاسن تلثم اطرافها الكلم، و
تعشو اوصافها الامم، وتسجد لاعقابها الحكم، ويأوى الى برد ظلالها

ظلا لها الكرم، قد غنيت بذوب العقول، عن صفو الشمول، و
بحلو المقال، عن كعب الغزال، وبغرر البراهين، عن نزه الرياحين،
فالخليل على ذكره محشور، وكان سيبويه من طيب نشره منشور، وائمة
الحديث عليه عكوف، وملائكة العرش حوله صفوف، فمن صحيفة للذكر
منشورة، واخرى باقلام العدل مسطورة، لا لغو فيها ولا تاثيم،
الا قيلا صوابا وحديث الخالص الترمذي ابا نفس عليه الدهر مكانه
ان الدهر عبوس، وعلى عقايل الزمان حسود، فصرعه كياد النظار،
واجعه عناد الاحرار، شاغلا عن الجود يمينه، وعن السجود جبينه،
وعن الذكر لسانه، وعن الغزو سيفه وسنانه، حتى اذا كاد يطمع في
انعاشه واستمهاله، وقد وزن على معيار الفداء باضعاف جثمانه،
فجعه بروحه الطاهرة، ونفسه التي لم تغذ الا النعيم الاخرة، فضعفا
عن العزائم ما كان غصن شاب، وانطقه فصل خطاب، واكرمه عود
نضار، واحفظه حق دمار، واوثقه بالدنيا دار قرار، فكم هنالك من
ستور مهتوكة، ودموع مسفوكة، وجيوب مشقوقة، ورؤس
محلوقة، وصدور مكلومة، وخدود بنعال السبت ملطومة
رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

فردّ شعورهنّ السود بيضاً ... وردّ وجوههنّ البيض سوداً

حتى اذا انيسر ردا الردى عليه، وقربت حمولة البلا اليه

تنازعته اكتاف الرجال، كما تنازعته قبل ظماء الامال،

فكانت الشمس غبراء من حثو التراب، والارض غرقى في دموع

المصاب، والاذان موقورة من رفع العقاير، والابصار مخطوفة

من نفض الغداير، وقد غدت الوجوه مسفوقة للنظار، و

الجموع حيثورة للاعتبار، والعيون بين جموم تجري سواقيه،

وجمود لا تبدي ما فيه، وودّت زهر النجوم لو صادفن

ليلاً لدعون ويلاً، وتناوحن على المصاب خيلاً فخيلاً،

فاما الليل فقد احسن فيه من قال وان مركب الارتجال

لقد كت الليالي في دجاها ... لموت القرم مصباح الانام

فاشخاص النجوم الزهر سيما ... تجسّم من مدامعها السجام

وذلك هجيرا كل انسان ماكل ساير، وصار الي موقف الوداع جاير،

من كان مسروراً بموت امرنا ... فليات نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه ... بالصبح قبل تبلّج الاسحار

يخمشن

يخمش حر وجوههن على فتى		عف الشمايل طيب الاخبار

قد كن يخبأن الوجوه تسترا		فاليوم حين بدون للنظار

فانا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا، واوسعت الاكباد ثقوبا، وكظمت النفوس كروبا، وسفحت العيون غروبا، ونضحت الوجوه قطوبا، ونثرت قنا الاصلاب انبوبا فانبوبا، وسادرت بشخص العلى، الى عرصة فرضة البلى فريدا وحيدا لم يغن عنه جوده، ولم يحن عليه جنوده، ولم يقاتل عنه قبوله ولم يناضل دونه مرده وكهوله، خلا الله فاح ذكاء مائره، كما فاح حيا كباء مجامره، ووهت على عرشه الرقاب، كما وهب حين اثقلها النعم الرغاب،

فليس نسيم المسك رياحنوطه		ولكنه ذاك الثنا المخلف

وليس صرير النعش ما تسمعونه		ولكنه اصلاب قوم تقصف

اما ويل العفاة من بعده ما حالهم، وما ضلت بهم امالهم، لقد انفصم والله مجالهم، وانقطع دون هاتيك الموات حقهم وحبالهم، كانى بهم غادين على سترة كانت بالابواع تستبك وثلتن م، وبالافواه تستلم، وبعثير ركابها يتمسك ،،

وبخدمة اركابها بتسالمتي، قد اقفرت فلا اذ ب ولا بواب، ولا حجاب ولا حجاب، يسالون اين الامير، وما فعل السرير، واين الحاجب والوزير، والمنادم والسمير، وما هذه الوحشة المستطارة، والعبرة المثارة، والظلمة الساجية، والغمة الشاجية، يقولون ركب الامير وزر اباه، وحيي بالسلام محياه، ويقضي بذلك الاعتكاف على ثراه، ويعتذر من هجرة طال عليها مداه، فمن يركب السلام يخذل ابوابه، ويعدم بوابه، ويعزل حجابه، ويوحش منتابه، هاانه الركوب فمتى المعاد، يقولون ميعاده والله المعاد، المريواعر شه بالامس مهدودة، وغروسه مخضودة، وجياده مهلوبة، وسروجه مقلوبة، واياماه مفجوعة، وايديتاماه، فوق الهام موضوعة، هنالك نادوا ثبورا، وعلموا انه الحق مقدورا، وعقدوا دون حامة البيت مناحة، وندبوا عين الورى ادبا وفصاحة، وكرما وسماحة، وافعالا كما اسفر الصريم، وابن كفه الكليم، مغاداة ومراحة يعتبون على الحجاب، وقد غدوا في بيض الثياب، اين ع

الصريم الليل والنهار

اين نزع السواد، وقد كثب الحداد، الا فاحوج ما كنتم
اليه نزعتموه هلا اخا الفتم الرسم للوجوب، ولبستم لبسة
المنكوب، ووقفتم وقفة الحجاب السيد المحجوب،

ياقوم ليس بياض الثوب زينتكم ... وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا افضل لبستكم ... ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا ايتنا شدون بينهم عتبا على الزمان، وندبة الفضل والاحسان

يادهر دونك ما فعلت فمذ اعيا ... بك كل ما يخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجى اوقاك بعده ... غادرت نصرا في التراب رميما
من كان اعذب شيمة وسجية ... والذ مكرمة واطيب خيما
ومن العجائب في العجائب جمة ... ان لا تلام وقد غدوت مليما
يادهر مالك طول وقتك ترتعي ... روض المعالي بارضا وجميما
يادهر مالك والكرام اولي النهى ... ماذا يضرك لو تركت كريما

لئن سر الامير اباه بلقياه، وشفى غلة لوعته وصداه، لقد
ساء اخاه بان عدم مثواه، وافتقد مصبحه وممساه، ووكل
من بعده الى نواهس الارض ولواحس التراب، قراه لكنه
ما يصنع وسيف القضا احد، وحكم السماء حتم لا يرد،

ومن قبله ما قد أصيب نبينا ... ابو القسم النور المبين بقاسم

وخبّر قيس في الجاهلية في ابنه ... فلم يتغير وجه قيس بن عاصم

وقال علي في التعازي لاشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر ام تسلوا سلو البهائم

لا يدرؤ دُرّ الموت من وقاح، وقرن كفاح، ما انشب نابه الا افترس، ولا الحّ مخلبه الا انتهس، سواءٌ عليه الملك المحجب، والسلطان المغلب، والفقير المستضعف، والسوق المتنصّف،

الا تعس هذا الموت كيف تولى ... حمى قصره المعلا المنيع الجوانب

ثم على تلك القنابل والقنا ... وجاز على تلك القواضب القواضب

عجبت له والموت ليس بمعجب ... وفيه اذا فكرت كل العجايب

لعمري لقد جرّأه حين غزا على ... نهاب النفوس واغتيال الكتائب

ونقمته فتح الحصون وانها ... سوامي المراقي ساميات المراقب

ونصرة بالفتك في غزواته ... ورمي الرزايا وافتراص المضارب

فكرّ عليه شدة الليث وانتحى ... كطوف نحو السوء حول القرائب

ومن عجيب الامور، في حكم المقدور، ان اخترم الماضي برده

برّد الله مضجعه، ونوّر غرّته، حتف انفه، على خطارة بنفسه في تحمم الحتوف، واعتراضه للشهادة بين الاسنّة والسيوف، كخالد بن الوليد حين وقي جله اذ قال انا ورثت الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز ابرة، الا وفيه حز ضربة او وخزة طعنة وها انا اموت ميتة الحمار، ان الحكم الا لله الواحد القهار، اوكلاما شبيها به اما ان خالدا لم يدر ان سيف الله نفل ولا يقتل بالسيف، وكذلك القتل يزنوا الى موت الشبان من خصام الجيف، وان الله تعالى لما جعله اكرم النفوس مناقب، قبض الله له احمد الامور عواقب، وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى فجوّد، وبيض وجه البرهان بما سوّد،

ان لم يكن ظفر الهيجا منيّته ... فاكرم النبت يذوي غير مختضد
اما ترى الغرس لا تذوي كرائمه ... الا على سوقها في سالف الابد
لميتة السيف قوم يشرفون بها ... ليسوا من الجد في غاية البعد
عزّ الحيوة وعز الموت ما اجتمعا ... الا لبيت العز ذي العمد
لم يعجل السيف ظلما في ضرائبه ... فلم يسلط عليه سيف ذي قود

ولعمري ان الرزيّة به قدّس الله روحه لقاطرة الغموم، متشاطرة بين الرجال على العموم، غير ان القاضي ابا العلا وسائر شيعته والشاربين من زلال شريعته، اوفر من الاحزان اقساطاً، واشدّ على مرود الاشجان ارتباطاً، فقد كان عرّف الله تربته لهم ظلاً ممدوداً، وشرباً موروداً وكهفاً مقصوداً، ولواءً على نصرة الدين معقوداً، ولولا ان الله جلّ ذكره سدّ ثلمة المصاب، وخلّة الاكتئاب، بملك الشرق وسيد الغرب وحجة الله في الارض سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاءه، وحفظ في الدين والدنيا بهاءه وسناءه، ففي بقائه عوض عن كل شاجب، وخلف عن كل غارب وعازب لا تسع القول في عظم هذا النعي وفقد ذلك الشهاب المضي، والنقاب الالمعي، غير ان النعمة بحمد الله فيما بقي ضافية اللباس، نامية الغراس، ناضرة الاكناف جافلة الاخلاف، فلا زال فضل الله عليه عظيماً، وصنعه لديه جسيماً، ولطفه اليه كريماً، ولا خلف عنه الزمان يتيماً، والهمه الله فيما عزاه راجحة الصبر وعرّفه فيما غزاه فاتحة النصر

النصر، وآتاه ملأ الوهم مواهب تخرط الدنيا في سلك ملكه،
وتقررها بحق الوجوب في قبضة ملكه، ورحم الله ذلك الأمير
العديم النظير، والجليل الفقيد المثل والبديل، رحمة تبرد
ضريحه، وتقدس روحه وريحه، وعرف له مساعيه،
في الذب عن دين الله، والسعي في سبيل الله، والفرض من
ماله لأولياء الله، وعوض المشايخ السادة عمادها هم
فآواهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم، ويثقل في موقف
العدل موازينهم، وجعلنا من المستعدين ليوم الدين،
ان حكم الله يقري الجفلى والخلق فيها شرع، والآخر
للأول تبع، والحمد لله على كل حال والصلوة على نبيه
محمد وآله خير آل

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا
المكان من شرح اخبار السلطان من قصد
الوزير شمس الكفاة واقتضائه حق الخدمة
والموالاة قد سبق في اول الكتاب ما سلف الى الأمير
ناصر الدين سبكتكين انار الله برهانه من خدمة، وتمهد عندي من

الى ودمّه، وغرست اثناء ذلك فى التقرب الى الوزير شمس
الكفاة والتكفل بمارآه، والتجرد لما ارضاه، مارجوت على الايام ايراق
شجرته، وايناق نوره وثمره، بعد ان صادفت من آثار رعايته،
مالم يكن يليق الا بهمته، وما نشأ من كريمة المجد فى ضمان
ذمته، فرأى عند وصولى اليه، وعرضى موضوع الكتاب
ومجموعه عليه، ان يسمنى بالتقليد، ويسترنى الى كنج
رستاق على البريد، وعليها فرعون بن ابو الحسن
البغوى العنوى شيخ ظاهره نور، وباطنه ديجور، و
منظره متن السيف، ومخبره رد الزيف، اوله مشور العسل
واخره قرول السنابل، فافتتح موفدى عليه باستهانة
لم تناسب حشمة الامر، ولا حرمة الاقلام والمحابر،
يوهم من جانب انه مبعوث، ومن آخر ان الحقد موروث،
وقد كذب ان الزعاق من منبع الشرب محال، ووراثة
محبات الاولاد حلال، وما علمنا ان موالاة الابناء، معاداة
الآباء، وان والدا يكاثر ولده، ويطوى على الثأر الدفين
معتقده، حتى يباغض من رافقه او عاهده، وضرب على

على وجوب عقد الموالاة يده ومنامني خيانة الدين لمواطاته

على كبائر تعلق الرقاب وتوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم

ان مثلي لا يقر على الباطل ولا يرضى باستيكال مال اليتامى و

الارامل رام ان يغرقني في دردور ويتيه بي في تيهور فاحتال

واكتال وحرش الامراء الاشبال وابى الله لعلمه بعبادة الا

ان يحيق به مكيدته ويكشف عن اقواء الزور وابطاء الغرور

قصيدته ولما ايس عما رامه وابلس دون ما جزم اهتمامه واعتزا

عج على اسيلال شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي

عليه في معرض التشويه موهما اياه ان لي صغوا الى بعض من

ناظره يوما على رتبة المقابلة او وازنه بمعيار الموازنة والمماثلة

علما منه بان حلمه لا يستخف الا بهذا التاويل وان رأيه لا يستنزل

الا على مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه رقيته وعملت في استنزاله

دخنته فتشرب حقدا ولا الارض من صوب العهاد والكف

من وشم السواد والثوب من لون الجساد او صبغ الفرصاد و

علم الله اني لم اكن لاضمر كدرا على صفاء او اسر حسوا في ارتغاء او

استجيز تمحيصا لصنيعة او طما على عين شريعة غيري من نكب عن

نهج الوفاء وعتب دون فرض الثناء وودّع حق المنعم المُثيب

ورد الحجر على قرارة الفليت ونزعني عما قلدنيه لقدم من اهل

جرجان لا يعرف الرشد من الغيّ ولا الظل من الفيّ، ولا

النشر من الطيّ، ولا النقد من اللّيّ، ولا الاثبات من النفي

ولا جرجان من الري، شُوهةٌ بُوهةٌ قد صيغ من طول القناة،

ونزق البُزاة وليقة الدواة وصفاقة الصفاة وتحدير الصحف

تلقفا بالعشرات طالما خرّ على العُثنون لثمًا وتلقفا للعصا في الجز

ولصوقا على المكس بالصروف وتمحيا للالف بنقطتين من بين الحروف

وطفق بعد بر نضح لكنة العجمية في شعره كشعرة الموصوف بوثارة

الصوف مستميحا كل صراف واسكاف، وعطار، وبيطار،

على سعر صفقته الاولى اذ السلعة قايمة، والجملة رايمة، والسحب

ممطورة، والنخلة مابورة، وعثر زمانا على هذه الجملة في الوتاحة

والوقاحة ثم انتجع خراسان ببضاعته المُزجاة فوافقت على

النظرة الخرقاء قبولا ولبست من عز العطاء غرة وحجولا فلما

تعقبها التامل علم ان خُرق الانتقاد ضيع المال واورث الوبال

فاستمل مخذولا وعُوّد رفي قدر شعره مرذولا الى ان غرّ شمس الكفاة

على نفسه فاختاره عليّ ونفّذ معه مكيدة البغوي الغوي في فقصدت
من المكروه في الروح دون ساير الممنوح بما لولا امكان الامير
ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وفضل احسانه واستنقاذه
اياي من فجوات اشد اقما باحد غلمانه لتراقى الخطب الى ما يعز
عن تلافيه ولغلق رهن المهجة بما فيه ولو كنت علمت من سيرة
البغوي قبل ما عرفته بعد لاستعفيت من جواره واحترست
من مساقط احجاره لكن السرائر بيد الله لا يكشفها الا الاختبار
والظلم في خلق النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم
وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتقرير
خلايقه وسجاياه ما هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
لجماعة ارباب الصناعة وعصابة اعلام الاصابة في البضاعة
من مبادي الاشراق الى اقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار
المعروف بابي النصر العتبي رسائل تخص كل حاضر موجود وتعم
كل لاحق مولود ما سمع للحق اذان واطلق على الكفر عنان وشيم في
سبيل الله حسام واقيم على كتاب الله نقط واعجام سلام عليكم
ما راق شارق مضوب وارق بارق سكوب ودر على الابسار

حنوب وكم في حرمة الناس فارح يعوب سلاماً تميد على
نفحات النجم قضبانه وتنم على فتات المسك والعنبر ازهاره
اما بعد فان الله تعالى حجة بازاء نعمه التي يبتلج للناظرين صباحها
ويتبرج للناظرين وشاحها معللة القدود موردة الخدود مضفورة
القرون مسورة الشئون مغلقة العوارض مدبجة المعارض
مخضبة الاطراف معطرة الاردان والاعطاف منّا منه
على عباده ابتداء يقتضيه حكم كرمه وابتلاء الانا ربهم في
جنب نعمه نعما قابلها شوم الخذلان وسابقها لوم الكنود والكفران
تخالط ابناءها مشوهة المطالع منفثة القبائح مرتقة الكلاكل
مقلصة المشافر مغولة المحاري والمحاسر تمرههم بين اخلاق
مذمومة واخطار مثلومة واعراض مكلومة وافعال بعاجل العار
وآجل النار مختومة وقد يستحيل النعم باعيانها نقماً منكورة كما تستحيل
المحن على اربابها منحاً مشكورة تطبعاً على خلق المكان وتبرعاً
عادة المقصود بالاحسان كما يحيث يعطر من فوائح الذود المعطر
والجويل ومن روائح الحشوش المقترة والمزرات ليقظ على عرصة
الروض فيحيلها طهارة ونضارة ويهبط على فروة الكلب فيعيدها نجاسة

نجاسة وقذارة والماء القراح ليسقى عروق الشجر فيقتضى عليها فيقضى
باختلاف الثمر بقبل كل منها على ما كتب له من مرارة وحلاوة
ومزازة وحرافة وكثافة ولطافة لتسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض فى الاكل قدرة من البدى الاول والابدى الموجود
فى الازل ان منّ خلق الله نفسا وشيمة واخبثهم قدرا وقيمة
من تضيفه صنع الله ريان من ماء الطلاقة، لشوان من صهباء
اللباقة، فينان من علل السماحة، ميسان فى حلل الراحة،
حتى اذا حط رحله، وخالط بالبشر الخصيب اهله، قراه من بؤس
الخصال، وعبوس الملال، وضرة الاستبدال، ومضرة الابتذال
ما يطير واقعه، ويهيج وادعه، وينشر ودوده، ويعقر ولوده،
فيرحل فى سواد الحداد شاكيا سوء الجوار وخفرة الذمار، وذلة
المقدار، وغلظة الاكباد والاصهار، ثانيا على بنية الوداع
متمثلا بقول القايل نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت
على اقوام لا يليق الغنى بوجه ابى يعلى ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام
لولا ان العقاب تبع للخطاب وان التامر على الاعراض مجهول فى

حكم الاعتبار ونص الكتاب وان مجاز الشعراء غير حقائق
الكتاب، لادعيت غضب الله على نعمة حين ابتلاها بمجاورة
الانذال وزواها عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال
غير ان المقصود فيها بالكرامة وقد قابلها بالاستخفاف وكابر
عقله في جوارها بغير الانصاف اولى بان يقهره عاجل
الغضب ويصهره آجل اللهب فكم من وارد ماء اشرقه نميره
وقادح زندا احرقه سعيره وشاحذ حد قطع به وريده
وراكب جواد قصم عليه جيده وقد يختلف مواقع النعم من اربابها
على سنيها من صارت اليه ونيلها ممن مالت بسوء اختياره و
قبح آثاره عليه فالاحداث فيها احسن حالا وازين خصالا
من الكهول الطاعنين في الاسنان والشيوخ الجالبين اشطر
الزمان فليس من قوّح ونجّذ وسبر وسبك واخذ على
وجه الاستبصار او ترك كالغر الذي لم تلهه هواجره
والغمر لم تردعه زواجر الدهور والغفل لم تدر به الحادثات
احوالها والمهر لم ترضه الرجال باكفالها وقد يعذر النازي
في طول الجهالة بالشباب الذي هو طليعة الحيرة وشرعية الشهوات

واللذات وان سائس العقل لم يضرب عليه عقاله وصيقل
التجريب لم يحكم على متنيه صقاله وان الراي لم يرغو منه لأن يفتقها
لأكر الجديدين بديد ور وشمس تطلع ثم تغور وموسم زمان
يتفتق النور والنور وان الشباب شعبة من الجنون وان
قلم التكليف مرفوع عن المجنون والحدث الغر كالعجماء جرحها
جبار وعجمتها دون جنايتها اعتذار فما بال من خلع لباس الحداثة
ووضع جلباب الطراءة واجتلى نهار المشيب عيانا وافى
تلك عمائم الوانا سوداء داجية وتحق مفوق واجد لونا
بعد ذلك هجانا وحان له ان يصحو عن قهوة البطالة و
ينزل عن صهوة الاستطالة ويبكي لضحك المشيب براسه
ونصول الانفاس عن قرطاسه وتمشي الوهن في عظامه وقعود
القوى به عند قيامه واصباحه على حال ندمه وافتضاحه بغناء
قدمه وبداء برهان الله عليه بانتساع محجته وانقطاع حجته وابتلاع
النار اعناقا لالتقاطه واختطافها اوبا عن صراطه لسنجيز
العمى عن سبيل الله والصم دون امر الله خبطا في ليل الخبال
وحطبا في حبل الضلال ورجوعا في حافرة الخسار رووتوعا

بفاجرة الآثار وخلاء في شطن الغلو والعتو وإباء الأعلى
النفس الأمارة بالسوء ولا درد ر الشيب صنو بأبد نسل الحبيب
ولا تورث أفاحي القذال الأعلى مكارم الأفعال فاقبح ما
احتلاه الطرف يوماً بياض الشيب في حلك الخصال
نعوذ بالله من غضب الرحمن وختم العمر بطابع الخذلان
وتعريضه المشيب لما يهتك من استاره ويكشف من أسراره
ويمحق من نواره ويحرق من نوره بناره وعصم الله أقمار
الكرام، وأحرار الأنام عن مصرع الغوى أبي الحسن البغوي
ذلة الاحتيال وسكة الإفعال وجراب المخاريق وجرو
التخليط وعفريت التضريب وبلع الأكاذيب وشبه
التدليس وزيبق التمويه ومرآة التزييف ومقراض وآفة الجود
وخرافة الموعود وحرباء الإلحاد وكيمياء العناد، ويربوع
النفاق ويعسوب الشقاق وضبة العقوق وفارة الفسوق
وثعلب الخداع، وخنزير القصاع، وكلب الهباب واسود
وحرصنة الأنذال، وفرضة الخبث والخبال وسكين الأرحام
وتبرين الدم الحرام، ولعل بعض من يتصفح هذه الألفاظ منو

منسوقة، والاسجاع مجموعة ومفروقة، يظن بها ركوب
البهت في حلية الاقتدار، وعصيان القصد في طاعة الاختيار
ادلالاً بنضناض البلاغة واعمالاً لمقراض السفاهة بالفصاحة
وحذواً على غرار الشعراء في استعمال المجاز، واغفال التحفظ
والاحتراز، انكاراً لالقاء هذه المساوي السود في نحض
قد سهى على تصاريف الزمان وجرب واكل على طعمي احواله
وشرب ولم يعلم ان الله جل جلاله اذا خذل من شاء من
عباده لم يبق منه الا حمأ مسنوناً وجلداً على اخلاط الفساد
محطوناً وعلى شك حاصر الشك عن واضحة اليقين بالانصاح
عما ابهم والاصباح عما اظلم تحذيراً لغفلة الانام وتبسيراً
لشاكلة الاستعصام وتنبيها على مزلة الاغترار بظواهر
النعم والانخداع لزواهر الاحاظي والقسم فكم من صبغ يروق
العيون نوره ويروع النفوس مشهوره قد قطف عناقيد
رؤس واراق اباريق عروق وفرا المنايا عن عضل من
الانياب زرق ومن شهاب كما خط من بالا برز كاتب او حل
عن معقود اللواء راكب يستوقف الابصار ضياء املود وبها

باني السماء معقوداً اقتدر مد من طار بطواره وهد من رام الضر في جواره وكذلك الدّ على نحر الناظر مجرّده وتفتر عن عقيق الورد زبرجده ثم هو الداء المجلوب لمن جرّ والسم المقشوب لمن فكر واعتبر ولولا ان قصد الشريعة ان تسمح بخيرها على العموم وتكافي بين الكافة في فضلها المعلوم اباحة للكتابة التي هي قيد العلوم وصيد للحكم المبثوثة في الرقوم لقلت لله در ساسة العجم ورفعة اقدار الدواة والقلم حين عنوها دون ذوي الاستحقاق وخذروها الاعلاج الكرام العتاق لله در انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالدون والسفل نهاهم ان يمسوا بعده قلماً وان يذل بنو الاحرار بالعمل فما كل بحر لها كفاءة في مناكحة الاداب وملاءة في مناجزة الكتاب ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل ذرور يصلح للعين جلاء واضيع شيء عقد في نحر خنزير وحل بكف ضرير وخطر بجنب قتير ونقش على بنان فاجر شرير ها ان المذكور معيدي الاخبار بخراسان دناءة همة وقماءة قسمة وخساسة مفعول وخصاصة

معقولٌ نشأ في بيت الفضل والنعمة ونما على فرش اللين والنعمة وترقرق
نعيم النشب وعبق به نسيم الادب فاصبح محيلاً لصوب
الصواب وافعاله جديرا بمحكم الانتخاب في امثاله فظن
به وبعض الظن اثم ان الفرع الى الاصل نازع والغيث
للغيم مضارع ولا علم يقضي بان النار تنطفي عن رماد ما لم
والجمر تطفو على عكر سافل حتى اذا ايفع وايفع حملته بذالة
الطباع وخباثة السنخ تحت يد الطباع على عقوق ابيه
سعايةً به الى السلطان فيما يحويه واستباعاً له باملاكه
واملاك ذويه فامتلك عليه قبل الاستحقاق ماله وقصم
مجاله ولحال حاله وفجع امه وكاتب عياله واخجره دون
ما اقتناه على كبر سنه وضعف اساسه واشتعال الشيب
براسه وربما قذى العمر آخر كاسه فطفق يمري الشؤون
دموعاً ويقتضي اجل الكتاب مخمصةً وجوعاً ويزجي مطايا
الاسحار بين برد الياس وحر الانفاس بدعوات لم ترجع
مجانيها الا بقاصمة الظهور وحالقة الدين لا حالقة الشعور
وعطف لجد طلعت عليه شمس والده وبرقت عليه اغصان

فوايده فجمعهم بجنب السلم وقرضهم قرض الجلم وقشرهم قشر
القلم وعركهم عراك الادم فعادوا اعرى من الصحيح
معصوراً والسيف مشهوراً والغصن مخبوطاً والدجاج على
السفود مربوطاً كل ذلك بين يديه ولنصب عينيه حتى
اضمرة التراب نديماً للزفرات كظيماً، بالحسرات غرقاً في
العبرات شرقاً بماء الحيوة وعقد على مال خطته بكنج رستاق
عقداً اشترى به اهلها فاخذ يطبيهم بما يريهم من سداد
السيرة ورعاية حق الجيرة ذريعة الى استيكالهم واستيصالهم
دون حرايبهم وامواله وسامح عدة من شيوخ ثنايهم بعض
ما لزمهم استمالة لهم على بوساء معزورين وضعفاء مغرورين
وسامهم بعد الاحكام عليهم في التراضي بزعامته والتواصي
بطاعته عقد الوثايق عليهم بتصحيح مال من ضمانه ينكسر
وجبران حق من عقدة ينجبر حتى اذا استتب له ما اراد و
استوفى عليهم الحق وزاد وضع عليهم يد الاستصقاء بعلة
حاصل وباق وحاير وثاو فاخذ ما وجد من صامت و
ناطق وصاهل وناهق حتى اذا ارب كل من ذي يدهم وبار

بارغير اطلال الضياع والرباع عليه استنزالهم عنها طواعية
وكراهية فمن اهتبل منهم فرصة الخلاص على التظلم مما دهاه
فاوهاه وعراه فعراه سبقه محضر العصبة القايمة بالافك فى
خفارة التوفير وكفارة التزوير فارتد على عقبيه خزيان قد
سال به السيل واسوان الطاف به الويل وناح عليه النهار و
الليل فاما ان يزول على كرب وقلق واما ان يؤول
على غيظ وحنق حتى استخلص الضاحية والضامنة واعتصر
البادية والكامنة وغادر الضياع حشين ومشرد عنها الذراع
عزين واخرس الثغاء والرغا وانطق الهام والاصداء وطم
المنابع والمشارع وحمى المراعى والمراتع فلو ملك عصافير الهواء
وبعافير البيداء لاستكرهها عن طعوم القوانص وحقوق المدارح
والمفاحص قد شحا فاه للاطماع ولا مداخل الكهوف ومفاتح
الولايج المجوف

شعر

كالحوت لا يرويه شئ يلهمه ،، اصبح ظمان وفى البحر فمه ،

وما به التخريب لولا اجتياح الملك بجوعه واستحلال حرام
الملك بربوعه كانما عقد على حلفا لا يخونه واتخذ عنده عهدا

يصونه ويتحاماه من دونه مئونه، وهيهات انها مظالم
حديدات الشغاير ومغارم ثقيلات الغراير ومصايد طالما
خنقت بفخاخها وضربت عليها الشاهمات بخاخها ومطاعم
ظاهرها الاري وباطنها السم وان من الربيع ما يقتل حبطا او
يلم نعم واقام سوق الفسوق خاصة وعامة واباح حمى الفجور
بطانة وحامة ملتزما سمة الشطارة ومستمطرا بقية الحجارة
ومضاهيا نموس المجوس في خبث الالحاد وصلة الاخوات
والاولاد بلاغا تمتهنات خدمة وادته على وجه الاكباد
جيران حرمه وربما اراد والد في السر ملاما وراموا من تحذير
حدود الله وتخويفه عقاب الله مراما فما يزيدهم على ظاهر من
عاهر فنين كحدق الجراد ما لها اجفان تواريها ولا اهداب تقيها
نصلتا بركوب الاثام وتكلفا لمحظور الحرام وانما اثبت لفظ
التكلف نطقا على ما سمعته بعض مشايخ الادب يحكي عمن سمع
ابا حاتم السجستاني عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ابغض
الاشياء الى الله تعالى شيخ زان وعايل متكبر وفقير مخوذ وزعم تجوز
ان القياس يقتضي كون الشاب الشديد المحلة القوي المنة ابغض

اليه من الشيخ المضعوف المعصر المنزوف فقال هو بناء على

قوله صلعم ابغض الاشياء الى الله تعالى التكلف فابغض الشيخ

لان فعله تكلف وتقدمه استكراه للطبع وهو تخلف كذلك هذا

الخرف المتكلف والشره المتورّه قد قضى شيبته على اقتراف الاثم

واختراف المحارم حتى اوضح القتير وزحح المسير وانحل المرير

وافرغ مادة الصبر ابت عادة السوء ان تزحه من عقالها وتعرّيه

عن سربالها وتربيه الاشعب الاران يوم نضالها

لا تتعودي يا اخي عادة تحوي بها ضربا من الشين

فعادة السوء اذا استحكمت شر على المرء من الدين

هذا ولم يرض بالعقوق الذي وسمه وشمه وسخم وجهه و

حممه وارداه بالخزي وعممه حتى قطع على رؤوس الاشهاد

رحمه وقتل في الشايع ولده وكان لحمه ودمه فلو كان كاحد

اولاد السوقة في الخلاق لهم بين الحرة والمخلوقة لكنه الحزم

الجهاد والزنية بلذوب السهاد واللثم بوشف الرضاب والملك

لبشرخ الشباب والامن بطعم الوصال والحلو بطيب الحلال و

العفو ببشرى النوال والعيش بموت العذال وشمس الجنوب بروح

الشمال عشق الادب قبل ان عقت عليه تمايمه وزينته ذو
الاحتضان روايه فجاء كالقدح هدى أوله النصل المطا
وحلا اسفله الريش الظهار ونأهز عشرين من سنيه يرى
الخليل فى جنب فضله خليلاً وسيبويه كليلاً وعبد الحميد
رديًا، وابن العميد عميدًا، ان خط فنقش العيد على ايدى
الكواعب الغيد وان لفظ فعقود الرود منظومة، واقاحى
البطاح مرهومة ولولا ان اباه اعتبطه دون مداه لخلف
من آثار بنانه وحلله من انوار ابداعه واحسانه ما يفضح ما
الورد فى تصعيده وعصير الخمر عن عناقيده لكنه لم تغن الا
قدر ما لمحته العيون حتى احتطفته المنون، فقامت نوائح
المجد بنه جميعًا ويبكينه نجيعا وظللت من بينهم صريعا،
انشدهم واله القلب وجيعا

قد كان لى فى رايه وذكائه اشراط صدق ان يموت سريعا

ولقد ضمنى واياه مجلس بعض اركان الدولة اليمينية فاتفقنا
ثانى اثنين من بين الحضور على تنافث الهموم وتذاكر العلوم
وتناشد ابيات الكرم واللوم، فما كان الا ان حمى المجلس بنا ره و

بنارة وعفر الشرب بعقاره حتى انحل عنه عقال اختياره و
انفتحت له اقفال اسراره فغرق في بحر الدموع عينه والقى الى
ما دار بين ابيه وبينه يعرض ما نشأ عليه من خدمة الادب
والاستغناء بعصام النفس عن عظام النسب على طاعة من ولده
في هجره والبروز على حكمي امره وزجره وانه حين ملك امره
وعرف من خل خمره وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته و
رياسته ناهض باملاه معونة امه ببعض ما يستحقه بررة
الابناء على الاباء فلم يرده على ان زاحمه في ارثه عن امه
وخاله وحال بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعة
لرفيق اعتقده ينذ اق عسيلته واذاقه ذيلته فخلا به عنهما
تدبير دانيته وقاصيته وولاه ترتيب حاشيته وحكمه في عرض
ولده وساير ما تحت يده فاحجر ذلك الفاضل دون نعمته وانعقد
دون الاستمتاع بالجنة وجعل كل من يعترى اليه منقوما ومقهورا
ومن يعتريه ملطوما ومصفوعا حتى اضطره صراخ الياس و
الحاح الافلاس الى قصد شمس الكفاة لاستماحته وانتجاع
ندى راحته فحين علم ابوه المعتوه تجنيه على شاطى الا تبال

واستقلاله على مواطئ الآمال، ندب الفكر لاغتياله، وأسهر
الليل لاقتناصه بإحدى حبائله وحباله، فدسّ إليه على ما شاع
وذاع، وشحن المسامع والبقاع، من دعف له نقيعًا غادره على
فراش المنون صريعًا فانتقل غير نعيبه إلى جوار الله تعالى وداركًا
متشبثًا بيديه فوق هامته ومستصرخًا ولي العدل ومالك الخلق
على ظلامته ومختصمًا حول العرش إلى يوم قيامته وخلّف عن
قهرمان بيته وقد عاد إلى أبيه السفيه بما كان استفضله
عن رواتب نفقاته واقتطعه دون عوارض حاجاته استظهارًا
به على حوادث النُّوَب واستنفاقًا على معالي الرتب أنه وآخر
رفقائه انفقا من جملة المال قدر ما قطعا به المسافة إليه ووضعاه
في أكياسه بختومها بين يديه فكان جزاؤهما منه أن وضع الدهق
عليهما حتى استغرق ملكيهما وانتزف صليب العظام من بين جنبيهما
ثم قصدهما في روحيهما إشفاقًا على صورة الحال ومستوره المآل
من هتكة الإذاعة وفضيحة الكشف والإشاعة لولا أنه اعتصم
بالاستتار دون صاحبه مرعدًا بما تحاماه ومبرقًا باستبراز ما تأباه بغير
ولم يرض بالإرث وقد حازه دون مستحقيه من قرابته وذويه

حتى قطع سباط المطالبة على وكلايه ومواليه وهلم جرا الى
شقيقة له معجرة فى الحجاب معنسة دون الخطاب خلافا لله
فى حكمه واجتراء عليه فى فرض الاسلام وحتمه واستحقاقا لولع
الالسن فى دينه المجروح وعرضه المفضوح وعقدته المحلول
وسره المعجون بالغلول فغرابهم ذكرانا واناثا عما البسوه من
بال وجديد وطارف وتليد اعتلالا عليهم ببقايا اخرجها المتوفى
على ضياعه وهى تحت استغلاله وفى ضمان مزارعيه وعماله و
لم يسبق من جملة الداخلين كانوا اليه رحمة الله عليه لتسليم عنز
موسوم بجريمة ومكدوم بهضيمة ومنفوض عن ذخيرة وكريمة
ومغلوب على ما حواه من تبعة اوتيمة وزارته المقصورة المحجوزة
تشكوا اليه بلابلها خضوعا وتمرى عليه مكاحلها دموعا ضنعا بما
دهاها من اضافة واقدحها على مس التسبيب من فاقة وتساله
سوال المضطر ان يملك عليها ما ملكته ارثا ويحوى ملوحته
عتقا وحدثا مصانعة لعدون ما عليها من ايدى الجنود واخيا
الترك والهنود فهرّ فى وجهها ضجرا بما تشوفته من نظره وقلقا
لما خصفته عليها من ورق الصيانة عن سخوه وجعل يرميها فى

جواب التلطف والتالف باحدّ من موالية القراع واشد من القلاع مملمة القلاع، وقل من لا تكفه حرمة ولا تكفه حجة ولا ترف عليه رافة ولا تحجب اليه ذات الله تعالى مخافة ولا تثنيه عن وجه الناس حياء في درة تذال وعورة تنالها الايدي الطوال فلما آلت بها الاعراض ادركها الامتعاض والنطفة مصبورة لئن لم ينته عالم بقصد بمثله والد ذات خدر وكريمة وراء ستر لتهتكن الحجاب ولتطرحن الجلباب ولتحنين على تزويجها الرتاب مطلقة الى حضرة السلطان في ايضاح ما وارته الحجب منه وطرحته المحاماة عنه وكتمته ضماير الاشفاق منه وطمسته ذيول المواراة دونه فقال المحزون لاخيه وهو معه في ناديه اغلق على هذه الفحجة الوجهاء فقد ابطرتها الفضول وانطقتها دالة الاحتمال فما تدري ما تقول هذه والله حمية الابطال في حماية الذمار وعار حقوق الحرم الابكار ورحم الله ابا الفتح البستي حيث يقول

لي جار فيه حيرة عرسه تلعن ايره ما خلق الله للناس للغيرة غيره

ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده ووراثة ما كان تحت يده واعتصار المظلومة عن بلالة حالها وعلالة مالها ندب لحا

اخاً لها لصلبه وهو عجزة اولاده ومن يرجوه مثله لمعاشه
ومعاده المتقبل بمعاملات تلحيته احتيالاً عليه فى الحاقه
باخيه واقتطاعه دون كفاف يتصرف فيه فتلطف واعتذر
واعترف بالعجز عما امر حتى اذا اعياه التلطف ولم ينفعه الا
التصرف ملاقبته لربقة التقليد وكثر سعيا على طارف المال
والتليد وما زال يحيى كل ولود ونزور ويمرى كل بكى وثرور
حتى نضب المال الا قليلا و عصب ريقه الا بليلا فطفق
يعتره لعجزه وتضجيعه ويبكيه على خرقه وتضييعه وامر يجمع
عليه ما لم يتبينه سمع ولا بصر ولم ينبته نجم ولا شجر ولم تطلع
عليه شمس ولا قمر وسلّط عليه اعلاج الهنود وغلاظ كفاة
السود ما لا اوهى متن طاقته واتى من وراء فاقته وحرشهم
عليه بتطميع فى عاجل موزون وترغيب فى آجل مضمون حتى
اوهنوه سدّا وايثاقا وانحوه ضربا وارهاقا ووضعوا عليه
فى بعض لياليه دهقا استمر به الى الصباح الثائر حتى اذا لم
يبق منه غير نافر الطائر علموا انه مظلوم وان الانحاء عليه فى
دينهم المدخول وشركهم المرذول قرم ولوم فصفوا ايديهم

به لاعين اباه ومن ارضعه وربّاه واطعمه بعد الله وسقاه وماطن الافاضل الكرام بمن توفي رحمة الكافر الفاجر على قساوته وطبع قلبه وغشاوته وبمن يزعم انه والدٌ يجوع على ولده وبعيده فلذة من كبده وبضعة من روحه وجسده كل ذلك طمعا في استزادة مالٍ واستضافة حالٍ فصار راها الى محق وزوال فلا رحم الله كل جافي العقيدة خافي المكيدة قاسي الفؤاد حاسي دماء الاولاد ان للآباء فروضا على الابناء وللابناء حقوق على الآباء فان يكن من فرض الولد ان لا تقتصر منه متى قتل ولده وقطع بيده يده ثم حق الوالد ان يطاع الله في صلة رحمه وتقوى الاقدام على روحه ودمه نعم ولما ان خففت عن البايس كربه واغلى عنه وصبه اسرى الى جانب الامير ارسلان الجاذب فتى السلطان في زحفة السهم المارق والرجم المقذوف على المارد السارق منقيا به عارض الباس ومستبقيا روحا معلقة بخيط الياس فآواه وقبله ونشر عليه جناح رحمة له وكتب الى اركان الدولة في بابه بما اطل سعاية ابيه وغلّ عنه نكاية قصده وتجنيه وحاذر الفاسق المارق افتضاح

بآخر ولده كما افتضح بمن قبله أرهى الله صداه وقبح أبداه فلم يزل يلقاه بشعوذة المخاريق وبرقشة التزويق حتى أقرضه مالا سنّه به منخر بأسه ورد معه عادى استعاضته وشماسه كابن المقنع حين اقترض السهاء واستوجب الامن والامان فلو نقب عن منافس فتوقه ومنابح جلده وعروقه لانصبت خيلا يعجز كل صياغ وصواغ وتغلب عن الوحش رواغ وما زال هذا المذكور يختلف به النسخ والكور الى أن قدم شمس الكفاة وزير السلطان بمرو الرود سنة ثلث عشرة واربعمائة مستوفيا على العمال بقايا الارتفاعات والاموال فحجم اليه لائذا بكنفه وعائذا بواقية الكرام وراقية الايام من شره ومقرا له في الظلم الذي ضرّسه بجريره ومعسه مخض اللجاج غارب بعيره وموطيا لسانه فراش التقية طاعة لله في لزوم الاحترام وصيانة للعرض من وشوم المذام الى ان حشرت مطالبة العمال اياه الى مثواه من باب ولى نعمته ومولاه وكم ضرع اليهما ونفخ وخشع فما نجع وتلطف فما افصح واستعطف فما سمع ولا انصح حتى اذا عارضه الرد بحجابه وكلّمه الياس من وراء نقابه باح على

شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق وصب له جرعًا من الوان
تلك الاباريق واشعره ان صنيعته لم تخم منه الاجاحدًا لاياديه
مجافيا بمساويه مواليًا لاعاديه مخالفًا لكريمة الحفاظ في
مواليه ببراهين كما سطع الصباح او متع النهار الحاسر مفصحة
بصحايح الاقوال مشتفة بفضايح الاعمال فلولا كرم
عذبي بلبانه وعجز على مسكه وبانه لرجمه رجم العفريت و
ضربه بالنفط والكبريت، لكنه راى ان يضم عليه طرفي كساه
وليستبقي مختوم سره من حرزه ورباطه تقديمًا للشفاعة الشيب
وتفويضًا الى ما وراه من الاجل القريب، واقناعًا لمن سمع
اونظر وروى اوحضر بما يتناهب الآفاق من ذكر مسيء معايبه
احداث ولوم مكتسب وفضل ميراث، ولما تسامع اهل عمله
بما ركد من ريحه وظهر من رغوة صريحه، تبادروا الى
مفصل الظلامات صارخين كما نعق في الجوبيات الاعداد
وجهورلي الشعب حجيج البلاد واختلفوا في المظالم فمن قايل
هتك حرمته وآخر انهكت نعمته وثالث انهب ثلثه ورابع
طلقت عليه طلته وخامس قتل على الغصب اخوه وابوه وسادس

الانجم
العفاريت
الكباريت
الوز النجاح
المعصر صوت الطيور

سادس جرت على المعروف وقص فوه فمنهم من ضل فتعد
بالانصاف ومنهم من خذل فشقى على ياس الانصاف و
راى شمس الكفاة ان ليسلك به شعب المجاملة فطم تصرفه
على نبات مساويه وصد عن مسامع السلطان خبايث افعاله
ودواهيه واصم نداء التظلم عن سرهف ناديه فغاد المذكور
وراءه مخذولا ومفلولا واراد الله ان يقضى فيه امرا كان مفعولا
ولما راى ان قد صحت عليه افعاله وضحكت منه حيله وادغاله
وان الالسن قد مضغته حين اطاع عبدا مملوكا فى معصية
خالقه ووصل شهوة الفجور فى قطيعة وليه وعمر اطلال
ضيعته بخراب اخرته وشب به وثوب الثاير الموتور والحايف
المسعور يجمع ما جلاه على الفسوق ووقاه من ثمن الاستلذاذ
بسلعة تلك السوق ويرى ان ضيعه ذلك يحميه سمة الالا
ويقيه نبال الالسن الذامة فاسترد ما خلاه من صداق ورجع
عليه بقيمة ما اسرف من مجاحة امذاق وعراه عما اعطاه
بعدما علاه فامتطاه ونطحه للسياط بعد ان بطحه لوطء اللوط
مبتذلا منه جردة طال ما امتصها بشفرتيه وكشفها بعارضيه

يقال علاه كعبه وعلوا
وعلاه اذا رسخ منه
شيئا بغير اجره

ودفنها بنفسه وابويه ودفن عليها احد وله به هذه والله
الجود لاما يُبنى عن حاتم العرب ورُوى عن سادات بنى عبد
المطلب فلحا الله من رضى بها لنفسه سيرة وجباها على تاج
الاحقاب كنزا وذخيرة وذات الاستار ببطن مكة لارذل من
والغ فى جيفه مقلوب واذل من طامع فى شريطه مصلوب
ان كان اراد ما اتاه انتقاما فهلا ذلك والولد حى
وفى اليد من ملك الجارشى الان وقد سبق السيف العذل
وقد فعل القضاء ما فعل اوزدا وقد نضب الماء رسيما وقد
اصحت السماء وغبرة وقد سقط الجدار وسترة وقد طهر السؤار
وهيهات بطن حايل ورأى فايل وظل زايل ورجماء سايل سه
أيتها النفس اجملى جزعا أن الذى تحذرين قد وقعا ٭ ولحال
مفترش لذته ومعتصر شهوته للانقطاع الى العض كبراء الامراء
فقبله وآواه وانتزعه من قبضة مولاه مراغمة كوته بنار اضغانه
وشوفته على حرارة غمومه واشجانه ولا حميم ولا قريب ولا ولى
ولا حبيب ولا والد ولا مولود ولا عابد ولا معبود فاما الشرع
وطريقه والدين وتحقيقه فى هلاكه آن فى وضوح هذه الخلال

على شنوه احكامها وسفه احلامها لغنية دون شرح الحال
وتشريحها وتبليغ لسان المقال وتفصيحها عن ان التقرب
الى الرسول المصطفى الابطحي المجتبى صلى الله عليه وعلى
آله وسلم بقوله اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس
يقتضى التنبيه على مخازيه تلخيصا لخفايا نكره وخباياه وتشكيلا
لاصلاء خبثه وزواياه ليعلم الافاضل انى جاورته على البرية
قريبا من سنتين فلا والله ان تضيقت الاحداق به في المسجد
الجامع للفرض الا يوما واحدا كبيضة العقر او كقصة البكر
فما ادرىء احطات به خطاه ام الحاه عن تخوف عقباه او
لجا ربنا حديث الصلوة فقال مما رختا وما صدقك الا مما زح او
سكران قام بعضهم وهو ليسعى يوم الجمعة للفرض وقد تودى
للصلاة فقال له صاحبه مكانك ان اربعة من خبز البيوت
بخير من اثنين من عمل السوق وقد كان من طريق التجوز مساغ
للتاويل على وجه التملح ولكن من هذا قبله وترك العبادات
سبيله، فلا عيد يعاد ولا فرض كما يقتضيه العبادهما الى
عين اليقين بالالحاد وتلقى اوامر الشرع بالعناد واطن قول العلا

الواصف مولاه انه ليغرب في الشتم ويلحن في الاعراب و
يصلي من قعود ويبنيك من قيام يحي الى صورة حاله ويأوي
الى مقصورية خبثه وظلاله فجل احواله عيوب ومعظم افعاله
ذنوب يصلي فيخفض اركانه ويشهى فينصب سيفانه
يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بالزاي غلمانه
ويكفت للمنزل كمامه ويسحب للانزار دانه
ومن نادرة البلد اعتقاده مذهب الاعتزال على وعيد
الابد ثم لا يتقى محظورا ومحجورا ولا يستبقي عملا موزورا
ومنكرا من القول وزورا هاهو طمع بشهدي في مال رجل
كان قد انقطع اليه منذ زمان بامان فاغرى به ربيبا له
كقضيب من الاس متياس بعلة فكة كانت بامه اذ هو رضيع
وعلى حبالة العجز صريع ولقنه استعداء الامير الجليل ابي
مسعود بن يمين الدولة عليه وتنجز الامر في معنى الانتصاف
اليه فتنبه ذلك الامير الالمعي والسيد اللوذعي على غامض
كيده وباطن ختله في صيده فامر بالكتاب الي في تعرف الحال و
تجنب جانب الاحتيال والافتعال والانتداب لاعدا الشاكي عليه

على خصمه وايقانه بحكم الله في امه فلما احس اخوذ له المحالة

ان حريته قد فالت وظنه اسفا وسعيه الى التبور قد مال منع

شهود الزور ان يصدعوا بالحق فيما بذلوا من خطوطهم ترغيبا

وترهيبا فرضوا القول وادعوا على مسئلتهم العول ومال المزور

الى التوسط عن ارش المستباح دمها على مائتي درهم قيمتها

دنانير فلم ادر اية بحلة وقفت بان ديات الامهات على هذين

العقدين مما في الاسلام له ذكر معلوم ولا في الفقه باب

مرقوم ولا عند اهل الكتاب مرحوم ولا في ديار الشرك رسم

مرسوم ولا في فطر النفوس ان تنزل عن امها تها مقولة بهذا

الوكس والثمن البخس ولا الخنافس او القردة لو نطقت ترضى

عن واضعها بمثله كم قد قلت واقول انها ليست دية تودية

او ودية بل هي دية لئيمة مسلمة قد حقن الله دمها الا باحد

معان ثلث نصا عن رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى

آله الطاهرين فهل يستبيح الرخص في هذه الاحكام الا

المستخف بدين الاسلام اما ان المحكوم عليه لم يلق منها الا

بقرة وثمن مائة وعشرة فقال المجوع المخدوع بالله لا

بهذا الغبن ولا شرب الدم الحرام باللبن وسم بالرحيل في امر
القتيل فاغتيل فلم يدر اكلته النار ام شربه الماء و
لفظته الارض ام اختطفته السماء فلله هما من دمين
ذهبا بطلا وشخصين فقدا غيلة وبحرا هذا والله الدين
السليم والعقد الحكيم والامر القويم والسمت المستقيم و
المبالاة بما وراءه الجحيم ومما يزيده الله عزه المناصح فضوحا
ويفيد هذه المقدمات وضوحا ما كانت الاخبار يتشاهد
به من استحلاله عند الاشفاق من لواحق جناياته على
سلطان زمانه ورعايا عمله وسكانه حين ما نسب اليه من
ضياع وعقار وباغ ودبار لتناهب ذكره الاسماع ويتقاصر
دونه الاطماع حتى اذا ما خلا جوه واستقام على ايقاع المراد
شدوه ندم على ما فعل ورجع فيما بذل وفضل بالعفو كل
ما اجمل فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الامكان ويبعد
اخرى حتى اغنى شخص العيان عن الخبر وناب شمس البيان
عن القمر وذلك حين بعث السلطان قاضي قضاته ابا محمد
عبد الله بن محمد الناصحي رحمه الله الى ديار خراسان اسبارا لاموره

امور الاوقاف وانتزاع ما اقتسمته ايدي التسلط والاغتصاب
فرفع اليه خليفته واناصرو الى حقايق ما يرد ويصدر ناظر
ما ظهر عنده من احتجانه ما يقارب مائة الف دينار عن
اوقاف وضع عليها سمة التملك وسومة التغلب والتحجر
والتحجن كاعمًا فيها افواه اربابها دون التظلم بوعد دونه رونق
السراب ووعيد عنده فراق الرقاب حتى درج عليها قرن بعد
قرن آيسين عن الانتصاف وخلف من بعدهم خلف قانعين
من دونه بالكفاف فاوحى اليه باتمام الاستقصاء على
حكم امانة القضاء فقام فيه وقعد وابرق وارعد وانتزع
ما لا اعظمها من تحت اضراسه وحذره الافتضاح ان تعرض
لمراسه وكان قصاراه ان سكن وسكت وخشي اسوة امثاله
العنت واحضر الرجل طواعيت الشهود وعفاريت الفسوق
والمرود وعقد بمشهدهم وعلى شهادتهم وثايق بوقفه كل ما ملك
واطلاقه على وجه الله جميع ما امسك يري بافعل ان التمحح
بما تحت يده من قليل وكثير وزهيد وغفير لتبرأ من الطمع في مال
لغيره موقوف وعرض الى وجوه القربات مصروف فلم يتراخ

الاستقصاء

براءة

الامة على هذا العقد الوثيق والحل لان المشبه بالتوفيق حتى
قال لي وهو يشكو الوزير شمس الكفاة وسماعه اباطيل السعاة
ما هو الا ان احل عقود املاكي هذه على طفرة الى العراق
سائلا عن خراسان واهلها وقائلا زيارة الميلاد ومباءة الطارف
والتلاد فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شبح هذه تقية

وما لفظ به على وجه الاستخلال وغيظ العجز عن املاك
الرجال بقيته هذا او من فضل سماحته واساحته فيض راحته
ان كل من ساكنه في حلته على عمل يليه او مال يجبيه كاله ما
شاء جزافا ووزنه تبذيرا واسرافا، استحقاقا لسهاداتهم
له بجوده وتخرقه حذو الكرام بوجوده حتى اذا اقتضى الوطر
منهم وملك بسطة الاستغناء عنهم تقبع عليهم بصبابات
القدور، وحلالات الثغور، وقلامات الاطراف وضواحات
الاصواف، وجعل المطعوم في زنة الذهب المصون والمشروف
في قيمة الجوهر المخزون، والدرهم الواحد قنطارا وحديثا في
دونه بين الرزق مطارا سعاية من خشنت ارومته، ورسب على
دمنة اللوم جرثومته فيصدر عنه العامل والجابي على الامل مغبونا

مغبوناً مدة مقامه، موضوعاً في شرابه وطعامه، مفجوعاً بما
اقتناه غابر ايامه، مجزوعاً على شهادة ختمت صحيفة آثامه
قد خضف على فرجيه بكلتي يديه يباري في عدوه السليك
وينادي لبيك اللهم لبيك، نعم وليست هذه من آثاره
باعجب من كون احباره، وسؤول الاستار دون اسراره
وقصور يد الانتقام من معقد ازاره، غير ان لكل منى امداً، و
يابى الله ان يفلح الظالم ابداً، الا ان المال يغزر الماء و
يحقن الدماء، ويجمع الاهواء، ويدفع القضاء، ويستر العوار
والعوراء، ولقد بالغ ابو الفتح البستي في النصح حيث يقول

اشفق على الدرهم والعين لتسلم من العينة والدين
فقوة العين بانسانها وقوة الانسان بالعين

غير ان المال متى سلب الجمال واورث القيل والقال وبال
ولا الدين مطلوباً ولا الذنب مكتوباً والانف مجدوعاً، و
البنان مقطوعاً فقبح الله الاعراض متى دنست الاعراض
والاموال متى لطخت السربال، والاملاك متى اعربت الاوراك
والحوايب متى ابدت المعايب، فاما موايده ومطاعمه فخزوها

اليكم باسنادٍ كما انفتحت الاصابع واتسقت الكعوب القوارع
انه يغدو مع صفير العصافير على اطعمة يرتوا عليها احشاه كما
حشا الدقيق جرابًا وانتقل الرصاص كعابًا فما هو الا ان يذرّ ذرور
الشمس على صلايات الجدران حتى كانّ اولاد البقر تلحس
فواده وكان الطليم يدعى فيه ميلاده فيتغذى بالفواسنة
وعادةً وبما يجانسه من عمل السوق شهوةً وارادةً حتى اذا طفح
كالدلو لمن ميتح كفّ وقبض الكف على قرم لا يطير داجن ولا
ينثني دون الجلاب محاجنه فاذا انتصف النهار او كاد وتجعف
الحرباء بالاجاد دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم
رسمة الصلف فاحتشى من كل حلوٍ وحامضٍ وامتلأ من
كل بكرٍ وفارضٍ حتى يخشى عليه في الصفاق من الانشقاق و
في العروق من البثوق فيظل باقي النهار يشكو امعاء معاوية
وخلاءً خابيةٍ خاويةٍ حتى اذا جنحت الشمس للاصيل وهمّ الطفل
على الليل بالطفيل اعيد اليه الطبائخ والعروف وحشر
اليه القراطف والقروف ثم يؤتى بلسيته بلفائف كالاضابير
مطويةً والطوامير مختومة ومسحيّة وربما تعار بعض ساعات

الليل فينادي بالجوع ويلاقي الطهاة بالقنوع فيحاش عليه
عجالة الوقت من مستودعات البسانيق ومطجنات
الطيور والغرانيق فيتهجد عليها من غير قيام ويتسحر منها بغير
صيام طعاماً لا يشركه فيه غير الملائك حاضرة والكواكب
من محاجر الظلماء ناظرة فما الارض وهي الغاية في
الالتقام والالتهام ولا العص وهي النهاية في الاشتفاف
والارتشاف بابلغ منه لولا فناء زاده لا بالجوع ولا قضاء نفاده
ومن نادر امره في المعاقرة انه يكتب ضماني التنقل من
الصبوح الى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق فان نشط
للتنزه تبوأ مقاعد الاكتاف كما تعود معاقد الاحقاف
فيهادى بين اثنين حرضا في جلدة شيطان وجيفة في صورة
افعوان قد تجزى بينهما تنوخ الفحل للرماك بل صنيع الداهنين
بالضحاك وربما بقي في التمارض سنة او اكثر شفقا من
تكلف الخدمة لولي النعمة وتجشم المسير الى باب الوزير فيرشو
على التعلل مالاً ويحلو وجوه الاطباء واصحاب الانهاء نوها
خفافا وبدراً ثقالاً وليس هذا الاحتيال باغرب من اكتنابه

الزمانة على امتناع الطباع وشموس النفوس دون الاصغا
اليها عن القرار عليها فسبحان من خلق النفوس اطوارا وجعل
من الهمم انجادا واغوارا هذه من اعيان مساوي هذا
الفاضل العاطل ولو سردت امثالها لطال الكلام وعال الملام
ووراءها من دقايق الظلم المذموم والدغل المكتوم، ونقل
الحيزوم، والذل المبلول بلعاب اللوم، ما يربي على دقايق
الابراج واجزاء جواهر الامشاج والصغاير على الاصرار
كبائر كما تغب الثمود على الايام غدايره ولقد احسن ابن المعتز
حيث يقول خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى
ومما اقتضى التنبيه على معاير المذكور ومعايبه والقلق عن
سنط عقايصه وذوائبه مقابلته صنايع لي عنده ايام آل ساما
وبعدها في حق قضيته وعهد لسعته، وعيب طويته، وسر
اخفيته، وشغل كهفيته، وبر اوليته، بان كاشفني لموجدة
ووالده المعتبط ابا المظفر رحمة الله عليه بعد اوده لم يرج
سبيلها صفاء ولا لبهيم ليلها انقضاء وذلك ان شمس الكفاة لدب

شمس الكفاة تذابني لمحاورته وتقمّن لي خير المعاشرته مكافلة
على خدمتي دولة السلطان بالكتاب اليميني في شرح اخباره
ومدح مقاماته ووقيعة كسراب بقيعة على غفلتي دون ما ينصبه
لي من شراك ويجيئه من معترك تمويها له الى حقه كافرعون وفرض محبته
نافذ والى مروق بعين الكفاءة في استحقاق صدر الوزارة مايل وفي
شعب الاختصاص به والانقطاع اليه سايل اكذوبة لم يخلق
الله لها راسا ولا ذنبا ولم يضرب لها ودّا ولا طنبا ودمنة لم يحتد
اليها دمنة لنسو حوازها ومصفوف كلاها وابا هرها حتى هاج
على كالليث موتورا والنمر محرجا ومضرورا فكم كدحت حتى استنزلته
عن حرانٍ وشماسٍ وجهدت حتى نحوت منه راسا براس وطفقت
انشد وقد فارقته سالما ٭ ٭ ٭

اذا نحن ابنا سالمين بانفس ٭ كرام رجت امرا فخاب رجاؤها
فانفسنا خير الغنيمة انها ٭ تؤوب وفيها ماءها وحياءها

واعزى بى بدر الملك ابن شمسه يمين الدولة وامين الملة في عظيمة
لولا ان الهمه الله الاناة واشعر الحصاة فنقّر ونقّب واستشف
امتثال البلاغ فعل من جرّب ودرّب لثارت على منه داهية لا تبقى و

لا تبذل ولا استطارت عباقية يغني عليها الشعر والبشر فمن الله
على بان فضح الفاضح فيما زوّره وكسف وجهه وكوّره واهواه
فيما جفره وخنقه بقوى ما صفره وسخّم وجهه بنود الافتعال
وكشف عورته لفحول الرجال وجعل عبرة للغابرين بشرح هذه
الاحوال فمن قرء هذه الفصول فليحمد الله تعالى على السلامة
من مثلها والبراءة من فوادح الاوزار وخطبا
جليلا ولسانا كالحسام صقيلا وقبح الله من نقص عمره على زيادة
الاثام ومساءة الانام وحيازة الملام والتصدى لزور الكلام
ويرحم الله عبدا قال آمينا

تمت

فرغت من تحرير هذا الكتاب يوم السبت في شهر رمضان سنه ١٢٦٣ه

فہرس مطالب التاریخ الیمینی

ذكر خروج ابى ابراهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه